علمتني الحياة

عنوان الكتـــاب : علمتني الحياة

بـــــــــأقلام: نخبة من الشرق والغرب

اختيــــــــــار: مالك صقور

تقـــــــديم: فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/140/ شباط

الـنـاشـــــر : اتحاد الكتاب العرب

الإخــــراج الفـــني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني:mawkif@tutanota.com

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

علمتني الحياة

بأقلام

نخبة من الشرق والغرب

إشراف: د. أحمد أمين

اختيار: مالك صقور

تقديم: فلك حصرية

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (140)

تقديم

فلك حصرية

يعد أحمد أَمين إبراهيم الطباخ /الأول من أكتوبر 1886 ـــ 30 مايو 1954/ أديباً ومفكراً ومؤرخاً وكاتباً مصرياً معروفاً، وهو أحد أهم المثقفين الذين درسوا الثقافة العربية الحديثة في النصف الأول من القرن العشرين وصاحب تيار فكري مستقل قائم على الوسطية.

في العام 1886 ولد بحجي /المنشية/ بالقاهرة، لأب يعمل مدرساً أزهرياً، تدرج في تعليمه من /الكتاب/ إلى مدرسة/ والدة عباس باشا الأول/ الابتدائية، إلى /الأزهر/ وهو في الرابعة عشرة من عمره ليكمل تعليمه. والتحق بمدرسة /القضاء الشرعي/ فنال شهادة /القضاء/ في العام 1911، وينتقل إلى القضاء ليعمل قاضياً مدة لما تتجاوز ثلاثة أشهر ليعود إلى مدرسة القضاء كمدرس.

بدأ أحمد أمين مشواره في التأليف والترجمة والنشر إذ قادته الأقدار في العام /1914/ إلى معرفة مجموعة من الشباب والأساتذة والطلاب لكل منهم ثقافته المتميزة، واتجاهه الفكري، فكان يجلس مع بعضهم في المقاهي التي كانت بمثابة نوادٍ وصالونات أدبية في ذلك الوقت يتناقشون فيها ويتبادلون الأفكار والثقافة والاهتمامات الفكرية والثقافية التي تسعى إلى إثراء الثقافة العربية، وتشجيعها، والاستفادة من ميدانها وتراثها.

هذا وقد أشرف على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة أربعين عاماً منذ إنشائها وحتى وفاته /1954/ وكان لهذه اللجنة أثر بالغ في الثقافة العربية حيث قدَّمت للقارئ العربي ذخائر الفكر الأوروبي في كل فرع من فروع المعرفة تقديماً أميناً يبتعد عن الاتجار، كما قدّمت ذخائر التراث العربي مشروحة مضبوطة، متجاوزة /200/ كتاب مطبوع، وقد كانت الثقة في مطبوعات اللجنة كبيرة جداً، مما منحها حظّاً كبيراً من الذيوع وتخطفتها الأيدي والعقول، كما أنشأت هذه اللجنة مجلة /الثقافة/ في العام 1939 ورأس تحريرها لتستمر أربعة عشر عاماً في الصدور، وكان يكتب فيها مقالاً أسبوعياً في مختلف مناحي الحياة الأدبية

والاجتماعية، وقد جُمعت هذه المقالات في كتابه الشهير /فيض الخاطر/ بأجزائه العشرة. وقد امتازت مجلة /الثقافة/ بعرضها للتيارات والمذاهب السياسية الحديثة، وتشجيعها للتيار الاجتماعي في الأدب وفن الرواية والمسرحية، وعنيت المجلة بالتأصيل والتنظير. كما كان يكتب في /مجلة الرسالة/ الشهيرة وقد أثرى صفحاتها بكتاباته ومقالاته.

تقلد الدكتور أحمد أمين مناصب عدة: رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، عضو مجمع اللغة العربية ـ عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ـ مدير للإدارة الثقافية بوزارة المعارف ـ مدير للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، من مؤلفاته:

فجر الإسلام ـ حي بن يقظان ـ من زعماء الاصلاح ـ كتاب الأخلاق ـ حياتي ـ فيض الخاطر /10أجزاء/ ـ النقد الأدبي ـ علمتني الحياة.

ويسعدنا أن نضع بين أيديكم أحد كتبه الشهيرة /علمتني الحياة/ وهو أحد أروع الكتب التي تنطوي على نصائح وعصارة فكر، وخلاصة تجارب ومبادئ رائعة يطرحها الكتاب مادة للتبصر والتأمل. فثمة مائة حياة في كتاب واحد، كُتَّاب من الشرق وآخرون من الغرب، يسطرون

خلاصة ما استفادوه وتعلموه وخلصوا إليه من الحياة. ولعل هذا الكتاب هو الأول من نوعه ينشر باللغة العربية إذ يعد موضوعه جديداً، ومتعدد المؤلفين لا بمؤلف واحد أو اثنين، بل هم أكثر من خمسين مؤلفاً من هيئات مختلفة من الشرق والغرب وقد شارك في إعداد الكتاب الدكتور /محمد حسين هيكل/ الذي قال: "حب العزلة عادة لم أتعلمها من الحياة. بل أخذتها من أبوي بغير تعليم".

جاء في مقدمة الكتاب: "هناك مئات من الكتب تدور حول حقيقة موقف الإنسان في الحياة والتزاماته، ولماذا يجب أن يعيش. وكتاب "علمتني الحياة" يثير فيك اليقظة ويقدّم لك المساعدة، فهو مادة للقراءة، ومادة للتأمل في الوقت نفسه، وإثارة ذهنك وحملك على تصوير معتقداتك.. وأيضاً فرصة تتاح لك لفهم كيف فكر هؤلاء الناس، وكيف كانوا يعملون"

وفي داخل الكتاب نتوقف عند بعض الكُتَّاب والشخصيات المعروفة فها هو الرئيس المصري /محمد نجيب - لواء أركان حرب/ يقول:

"علمتني الحياة أنه ليس كالصبر هادٍ ومرشد لمن تاهوا في صحراء الحياة، وفقدوا الأمل في كل شيء، وراحت أنفاسهم تضيق في دنيا الأمل الفسيح، ونظراتهم إلى الناس

تزداد حلكة فوق حلكة... ولو درى هؤلاء أنه ما من ظلام إلا سيعقبه نور أو ضيق إلا سوف ينتهي بالفرج لاعتصموا بالصبر إلى أن يصلوا إلى شاطئ الأمان، ولعاشوا في ظل السكينة والإيمان".

وهاهو توفيق الحكيم الأديب والمسرحي والكاتب الشهير يقول:

"علمتني الحياة أن النجاح في الوصول حتى في مجال الألعاب العلمية والأدبية، والاجتماعية وغيرها، لا يهمني بقدر ما يهمني تكوين نفسي، وكل نجاح يأتيني عن طريق آخر غير طريق هدفي الحقيقي وهو تحقيق ذاتي في الخلق الأدبي الفني هو نجاح لا يستحق في نظري بذل جهدي للحصول عليه لأني لا أزن الحياة بميزان المنافع العاجلة، فالحياة عندي في جوهرها هي تحقيق الذات أي استخراج خير ما في أعماق الإنسان من ملكات. وفي الإنسان أحياناً ملكات كاذبة يجب في اعتقادي أن يضحي بها في سبيل إظهار الملكات الأصيلة... حتى ولو كلفة ذلك خسارة مادية أو معنوية، وفكرة واحدة تعذبني دائماً هي احتمال الخطأ في تقدير الملكة واختيار الهدف".

ويقول الدكتور أحمد زكي الوزير والمدير لجامعة القاهرة:

"علمتني الحياة أن التربية الأولى هي الأصل الأوّل من أصول النجاح في الحياة... ومرجع ذلك إلى الوالدين والبيت والبيئة، وأن التربية الواسعة العريضة حتى مع الضحالة خير من التربية الضيقة العميقة وأن التعميم في أول الأمر خير من التخصيص... ذلك لأن الرجل منا لا يدري ما يأتي به الغد، لذا فكل احتمالات الغد يجب أن تكون نصب عين المربي... والأدب أول مربٍّ، وكذلك الأم".

أما عضو مجمع اللغة العربية، وعميد كلية الآداب في الجامعة السورية شفيق جبري فيقول:

"الحياة مسرح يجرب فيه الإنسان عقله وشعوره وعاطفته وحسه وذوقه... فيهتدي كل يوم إلى أمور جديدة لأن الحياة غير ثابتة، ففي كل عصر مذاهب جديدة في كل ناحية من نواحي الفكر... في الفلسفة والأدب والعلم والاجتماع والاقتصاد وما شابه ذلك... في كل عصر حركات جديدة وأزياء جديدة وعلى هذا الشكل تتسلسل آثار العقول فيؤدي كل عصر نتائج ما يهتدي إليه إلى العصر الذي يليه، ويزيد كل عصر في هذه النتائج بقدر ما يتيسر له من العلوم والتجارب. قد يتعلم المرء في حياته أموراً لا سبيل إلى إحصائها في ورقة أو ورقتين.. لكن لا نرى العبرة بكثرة علومه، وإنما نرى العبرة بمقدار انتفاعه بهذه العلوم".

ويقول سلامة موسى:

"أنا شاب في السادسة والستين احترف الأدب والعلم والصحافة كنت أكثر الناس تعاسة عائلياً واجتماعياً وتعليمياً، ولكني في سن الستين وجدت نفسي فوضعت برنامج حياتي، وعيّنت هدفي... وهو أن أكون رجلاً مثقفاً متطوراً أنمو وأكبر بالنضج النفسي".

وهاهو محمد شفيق غربال يقول:

"علمت نفسي أن أتعلم من الحياة أنها تستحق أن أحياها ولا أدري على وجه التحقيق كيف ومتى ولم بدأت ذلك".

وكما كانت نقطة الانطلاق من محطة الدكتور أحمد أمين متناولين سطوراً من حياته، ومعلومات حول شخصيته وإمكاناته الفكرية والأدبية والنقدية نختم بقول جميل ومعبر جاء به وانتقيناه خاتمة لمقدمتنا إذ يقول:

"رأيت من أبنائي أن أنجحهم في الحياة ليس أعلمهم بل أحكمهم، وأذكر أنه كان في فصلنا في مدرستي أول الفصل وآخره... فأول الفصل كان أعلمنا، ومع ذلك لم ينجح في الحياة، وآخر الفصل كان أحكمنا ولذلك نجح في الحياة..."

مقدّمة

هذا الكتاب موجز لفكرة بسيطة أساسية.. هي ـ على أساس ما يبدو ـ هدف كثير من الناس، حتى لقد استجاب لها كل من سنحت له الفرصة للاستماع إليها، أو قراءتها، أو التفكير فيها. فلم تكد تكتب الصحف عن كتاب "علمتني الحياة" أو تتناوله الإذاعة، حتى تقدم آلاف الناس ـ منهم مئات من رجال التربية، وما لا يقل عن ست عشرة وكالة من وكالات النشر ـ تطلب طبع هذه المقالات في كتاب خاص.

ولقد ابتدئ بإذاعة موضوعات كتاب "علمتني الحياة" وكذلك تستمر إذاعة موضوعاته، والواقع أنه يذاع في الولايات المتحدة الأمريكية على فترات منفصلة يبلغ عددها ألفين ومائتي مرة في الأسبوع الواحد. وتقوم بذلك مائة وست وتسعون محطة من أقوى محطات الإذاعة، يصل صوتها إلى آذان تسعين مليون نسمة في تلك البلاد فقط، بمعدل مرتين في

الأسبوع وكذلك تذاع 900 مرة في الأسبوع من 150 محطة في خارجها، كما تذاع من محطة صوت أمريكا أسبوعياً مترجمة إلى ست لغات، أضف إلى ذلك أن الصحف الأمريكية تنشر عن هذا الكتاب ما يقرب من.... و 500 و 8 مرة في الأسبوع، فتظهر مرة كل أسبوع من 85 صحيفة يومية أساسية، كما أن الرقابة الحكومية تزود به أهم صحف البلاد التي ترتبط معها بعلائق دبلوماسية، ويبلغ عددها 97 بلداً. وإلى جانب هذا يستخدم في مئات من المدارس.

لقد اقترحت فكرة كتاب "علمتني الحياة" في عام 1949 على مائدة غداء، جمعت أربعة رجال، كان حديثهم يدور حول ظاهرة خطيرة هي أن أغلب الناس ـ اليوم ـ يستهدف القيم المادية وحدها.. أما القيم الروحية فآخذة في الانهيار.

وتطور الحديث إلى التفكير في اختيار عدد من الرجال والنساء يكلفون بعرض فلسفتهم وخلاصة تجاربهم في الحياة، على أن يكون ذلك في إذاعة تستغرق خمس دقائق، أو في مقالة أسبوعية لا تزيد على 600 كلمة تنشر في الصحف. وأخذ "أدوار مارو" ـ أحد المتحدثين الأربعة ـ على عاتقه مهمة استكتاب عدد كبير من رجال الأعمال، والمحامين، والأطباء، والكتاب، والمربين، والرياضيين والممثلين ـ رجالاً

ونساء ومن مختلف الأجناس والألوان والعقائد ـ معروفين وغير معروفين، يمثلون مختلف نواحي النشاط، يشترط فيهم النجاح بما يقومون به من أعمال..

بالإضافة إلى استقرار يلائم بينهم وبين ظروف حياتهم. ومن مجموع هذه المقالات يتألف كتاب "علمتني الحياة".

ونتساءل الآن عن هدف هذا الكتاب، وعن قيمته العملية، وكيف يستطيع أن يحقق أهدافك الخاصة.

من الواضح أن أهم ما يشغل بال الإنسان هو تسيير دفة حياته. والواقع أن كل فرد مسئول عن تنمية مواهبه ومعارفه وإدراكه، حتى يتمكن من المساهمة في النشاط الحيوي الدائر حوله بقدر.. ولكن فيما عدا دائرة هذا النشاط، تتركز حياة المرء على ما يدين به من معتقدات هي نسيج الشخصية الإنسانية ومكوناتها. وتلك المعتقدات لا ينبغي أن تكون دينية فقط، أو خاضعة لسلطان الدين في مجموعها، رغم أن الاعتقاد في إله يبدو أنه أحد الأسس التي ينطوي عليها تفكير أغلب الناس. تلك المعتقدات هي قوام الحياة اليومية.

وهي التي نستطيع ـ استناداً إليها ـ أن نجيب عن هذا السؤال: كيف أستطيع توجيه جهودي ابتغاء تحقيق حياة كاملة سعيدة تبعث على القناعة والرضى؟..

إن مئات من الناس، ذوي الخلق الكريم، بحثوا في خفايا أنفسهم ثم حاولوا أن يصارحوك بحقيقة هذه الخفايا في الكتاب الذي نقدمه لك اليوم.

هناك مئات من الكتب تدور حول حقيقة موقف الإنسان في الحياة، والتزاماته، ولماذا يجب أن يعيش، وكيف يعيش.. وما جاء في هذه الكتب لا يعدو أن يكون لوناً من ألوان التعليم أو النصح أو عرضاً لوجهة النظر التي تقول: "عليك أن تفعل هذا أو ذاك".

أما كتاب "علمتني الحياة" فإنه لا يطلب إليك شيئاً، وإنما يثير فيك اليقظة ويقدم لك المساعدة، فهو مادة للقراءة، ومادة للتأمل في نفس الوقت. فإذا لم يوفق هذا الكتاب في إثارة ذهنك وحملك على تصوير معتقداتك فقد فشل في رسالته. أما إذا وفق إلى هذا فقد أدى هذه الرسالة خير أداء.

تصدير

للدكتور أحمد أمين

عهدت إلى مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر - وهي مؤسسة ثقافية تضم كبار الناشرين الأمريكيين - أن أشرف على ترجمة كتاب (This I believe) وهو كتاب يتبين القارئ أهميته من مطالعته وترجمة مقدمته. فلما قرأت الكتاب رأيت العنوان مضللاً، إذ يفهم منه أنه كتاب يبحث في الأديان ورأيت أنسب عنوان له: "علمتني الحياة".

وقد ترددت في قبول هذا العمل لضعف صحتي أولاً، ولأني لم أعتد أن أعمل غير ما أختار بنفسي لنفسي.. ولكنني رأيت من العدل والانصاف أن أرجئ البت في هذا الموضوع إلى أن أقرأ الكتاب، وأتبين قيمته. فلما قرأته أقدمت على العمل غير متردد، لأني رأيت فيه إيماناً بالله وإيماناً بالإنسان، وديمقراطية صحيحة، وتفاؤلاً بالحياة.. وكل هذا أحبه، وأقف حياتي عليه.

وكثير من الأمم راعت أن الناحية العلمية ينبغي أن تكون أكثر أهمية من الناحية السياسية.. فأخذت من الأمريكان علمهم، وترجمت مؤلفاتهم إلى لغتها، إذ أن العلم للجميع ولكل دولة سياستها.

وقد عهدت إلى المؤسسة أن أضيف إلى المقالات الأمريكية مقالات أخرى من رجال العرب مختلفي النوازع كرمز إلى الصداقة.. فاستكتبت كثيراً من رجال الفكر والأعمال والمال والفن، من رجال ونساء. وأحمد الله أن أجابت طلبي نخبة ممتازة، على رأسها رئيس الجمهورية المصرية اللواء محمد نجيب، فلهم الشكر أجمعين.

ولقد انتدبت لترجمة الكتاب الأستاذ محمد بكير خليل الموظف بالإدارة الثقافية بوزارة المعارف والدكتور مختار الوكيل الموظف بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية، وقد كان كل منهما يترجم نصيبه ويراجعه الآخر، ثم يعرضان عليّ ما ترجما لمراجعة الأسلوب العربي.

والكتاب يحتوي على نحو مائة مقالة.. كل مقالة في نحو خمسمائة كلمة، تسبقها ترجمة لحياة كاتبها.

وقد عهدت المؤسسة إلى الأستاذ الدكتور جون بادو مدير الجامعة الأمريكية السابق، باختيار نحو ثلاثين مقالة منها،

ففعل.. فله الشكر. وأجاب طلبي من كتاب العرب، أربعة وعشرون كاتباً وكاتبة، وكانت فكرة لطيفة يفرح بها الناقد العربي، لمعرفة الفروق بين كتابة الشرقيين وكتابة الأمريكيين.

وقد اغتبطت كثيراً بما كتبه الشرقيون، لأنه لا يقل قيمة في نظري عما كتبه الأمريكيون. وربما لاحظ الناقد فروقاً بين المجموعتين، منها أن الكتابة العربية رصينة بحكم أنها كتبت باللغة العربية بادئ ذي بدء.. وأما الأخرى فمترجمة إلى العربية، ومهما يكن من قوة المترجم، فلا بد من أن يكون على المقالات المترجمة ظل ولو قليل من أثر الترجمة. وفرق آخر، هو أننا نلاحظ على الكتاب الأمريكيين الإيمان بالإنسان، والفرح بالحياة وحب الاستمتاع بها ونلاحظ على الكتاب الشرقيين عدم الإيمان بالناس، وانقباض الصدر، نتيجة للظلم الذي وقع عليهم من آلاف السنين. وشيء ثالث، هو أن الروح الأمريكية تغلب عليها روح الديمقراطية الصحيحة، فتراهم يعهدون بالكتابة إلى شاب مغمور بجانب كاتب مشهور، وإلى سائق سيارة بجانب رئيس جمهورية، وإلى فتاة بجانب رجل، وهكذا. فنحن أن فعلنا ذلك، فإنما نقلدهم في اتجاهاتهم.

وقد اشترطت حين قبلت هذا العمل، أن تكون لي حرية التصرف في حذف جمل نابية أو عبارات ترمي إلى ناحية سياسية، فأجبت إلى هذا الطلب.. وبحمد الله لم أجد هذا النوع إلا في القليل النادر فحذفته.

ومما بعثني على قبول هذا العمل أن وجدت هذا الكتاب يوافق مزاجي الخاص.. فالكتاب يدعو إلى الإيمان بالإنسان والإيمان بالله، والتفاؤل بالحياة، كما يدعو إلى التمسك بأهداف الفضائل.. وكلها، والحمد لله، مما أغتبط به، وأدعو إليه، منذ تعلمت أن أمسك القلم. وأني لأرجو أن يساعد هذا الكتاب الشباب الناشئ، فيؤمن بالإنسان وبالله وبالتفاؤل وبالفضيلة.. فذلك عندي من خير ما أصبو إليه.

كما أن للكتاب فائدة أخرى، هي أنه يتيح لكثير من القراء الشرقيين أن يفهموا كيف يفكر الأمريكيون، ويتيح للقراء الأمريكيين ـ بعد ما نرجوه من ترجمة القسم العربي وإذاعته في أمريكا ـ أن يفهموا كيف يفكر العرب.. وفي هذا مكسب كبير، وخصوصاً للعرب، من حيث أنه دعاية لهم، وإعلان عن رقي تفكيرهم، بعد أن مكثوا عهداً طويلاً لا يسمع لقولهم، ولا يعرف نوع تفكيرهم.. فنشكر للقائمين

بهذا العمل أن أتاحوا للعرب هذه الفرصة السعيدة، وأرجو أن يشفع بأمثاله.. فعندي أن هذا هو نوع الدعايات النافع للعرب، لا دعايات الجرائد والمجلات السافرة التي لم تبلغ هذا المبلغ في السمو.

والله الموفق

أحمد أمين

الجزء الأول
أقلام من الشرق

إرادة الشعوب لن تقهر

للواء أركان حرب محمد نجيب

رئيس جمهورية مصر

الرئيس محمد نجيب ولد بالخرطوم سنة 1901. حصل على دبلوم الدراسات العليا في القانون والاقتصاد السياسي ، ونال شهادة أركان حرب. اشترك في معارك فلسطين وجرح ثلاث مرات. وكان قائداً للواء الثاني ، وقائداً للواء الرابع. منح نجمة فؤاد الأول تقديراً لبسالته ، ورقى إلى رتبة أميرالاي سنة 1948 ثم إلى رتبة لواء سنة 1950 وقاد الثورة الأخيرة في 23 يوليو سنة 1952. وتولى رئاسة الوزارة ثم رئاسة جمهورية مصر في 18 يونيو سنة 1953.

علمتني الحياة ما لم أتعلمه في المدرسة، وليس كالحياة معلم يستفيد منه الإنسان الدروس ويستوعب الحقائق والعبر.

ومدرسة الحياة مدرسة قائمة بذاتها.. يبدأ الطالب فيها تجاربه في اللحظة التي ينتهي فيها من مدرسة العلم والتلقين، ليواجه المدرسة الواقعية. وهي مدرسة كبرى لا يكتب النجاح فيها إلا للمؤمنين بالمثل العليا والصابرين على بأساء الحياة.

لقد علمتني الحياة أنه ليس كالصبر هاد ومرشد لمن تاهوا في صحراء الحياة، وفقدوا الأمل في كل شيء، وراحت أنفاسهم تضيق في دنيا الآمال الفسيحة، ونظراتهم إلى الناس تزداد حلكة فوق حلكة.. ولو درى هؤلاء أنه ما من ظلام إلا سيعقبه نور، أو ضيق إلا سوف ينتهي بالفرج، لاعتصموا بالصبر إلى أن يصلوا إلى شاطئ الأمان، ولعاشوا في ظل السكينة والإيمان.

وعلمتني الحياة أن الظالمين مهما طغوا في الأرض ومضوا في طغيانهم لا يرعون في بلادهم إلاً ولا ذمة، ولا يخافون الله فيمن ولوا عليهم من عباده، فإن حساب الله أدنى إليهم من حبل الوريد، لأنه لا يهمل الظالم إذا ظلم وأن أمهله ليمضي في هدم ما هدم!

وكان من أروع دروس الحياة ذلك الدرس الذي تعلمه من قدر لهم أن يتعلموه من قادة الأمم والشعوب، وهو أن إرادة الشعوب لن تزيف وأن مشيئتها لن تقهر، وأن كلمة الحق دائماً هي العليا سواء رضى الكارهون، أو أصم آذانهم المفسدون، أو حاول أن يغير مجرى التاريخ من بالتاريخ يستهزئون.

وعلمتني الحياة كذلك أن شريعة النضال لا تعادلها شريعة وأن القلة في جانب الحق لن تهزم أبداً لأن للحق خصائص يستمد منها الضعفاء قوة، ويتخذ منها المؤمنون عبرة، وفي صفحات التاريخ من هذه القصص ما يبهر الأبصار، ويحيي فضيلة الاستذكار، ويجعل من الناقمين على الزمان هداة يبشرون الناس بهديهم ويكشفون الحقائق لمن أضلهم شيطانهم.

وعلمتني الحياة فيما علمتني أن الإيمان بالحق يزيد قلب المؤمن به صلابة فوق صلابة، ويجعل من حياة الكفاح في نفسه لذة لا تعادلها لذة، فنحن عندما ننسى أشخاصنا ونفني وجودنا في مصلحة الوطن العليا، إنما نضرب الأمثال أروع الأمثال على أن قضية النضال من أجل التحرر من ربقة الذل والاستعباد الداخلي، هي القضية التي نستهين فيها بالبذل، ونقدم عن طواعية واختيار حياتنا قرباناً على مذبح الوطن.

ولعل أروع درس تعلمته، ويجب أن يتعلمه الناس عنا هو أن مصر لم تكن في يوم من الأيام عقيمة في الرجال الأحرار الذين يأبون الضيم لبلادهم ولا يقبلون أن تحنى رأسها لطاغية ـ مهما كان هذا الطاغية ـ لأن إيمانها بكرامتها يعادل إيمانهم بحياتها فصبروا وصابروا، وربطوا ورابطوا ولما ضربوا ضربتهم كان على الله نصرهم لأنه وعد بنصر المؤمنين ومؤازرة المجاهدين وتحقيق آمال الصابرين وهو نعم المولى ونعم المعين.

والحياة التي تعلمنا من دروسها أروعها وأقساها، وفتحت أمامنا آفاقاً من العلم والمعرفة ما كان لنا أن نعرفها لو لم نتعمق في استيعابها عن طريقها، هي الحياة التي يمضي ركبها ساخراً مستهزئاً بأولئك الذين تخلفوا عن الدرس وعاشوا في زوايا الإهمال والجهالة ليومهم وشهواتهم ونزواتهم دون أن يفكروا في أن وطنهم في حاجة إلى عقولهم وإلى وقتهم، وأن الوطن الذي يتخلف عنه بعض بنيه لا يشقى بأمثالهم لأنه وطن قوي مؤمن، وإنما الشقوة ستكون للمتخلفين بعد أن دبت في أوصاله الحياة العامة كل مظاهر القوة والنشاط ونهضت مصر من كبوتها لتمضي إلى عالم سعيد في ظل الحكم الجديد.

الحياة تافهة إذا خلت من مثل أعلى

للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري

تخرج الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري في مدرسة الحقوق بالقاهرة في سنة 1917 وكان أول فرقته في جميع سنى الدراسة الثانوية والعالية، ثم أوفد في بعثة إلى فرنسا، حيث حصل على درجة الدكتوراه في العلوم القانونية، وعلى درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية. ورجع إلى مصر واشتغل بتدريس القانون المدني في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وفي عام 1936 انتخب عميداً لكلية الحقوق بجامعة القاهرة. ثم قاضياً بالمحاكم المختلطة، فمستشاراً ملكياً، فوكيلاً لوزارة المعارف، فوكيلاً لوزارة العدل. ثم اختير وزيراً للمعارف وهو الآن رئيس مجلس الدولة.

علمتني الحياة أنني ما حرصت على بلوغ شيء فبلغته إلا وأكون بعد بلوغه قد زهدته.

كنت صبياً صغيراً أعيش في أسرة مستورة الحال، تهيأت لها أسباب العيش في شيء من الطمأنينة والدعة، ولم تتهيأ لها أسباب الثراء.. فتطلعت إلى خفض من العيش أوطأ مما كنت فيه. فأراد الله أن أبلغ شيئاً من ذلك. وإذا بي أزهد ما في يدي منه. لا أرى البيت الذي أسكنه ـ وكنت أتطلع إلى مثله في مقتبل حياتي ـ إلا شيئاً عادياً لا يشقي ولا يريح. ولا أرى المال الذي أحرزته ـ وكنت أحسب أنه يحقق شيئاً من السعادة ـ إلا شيئاً تافهاً لا يؤخر ولا يقدم. ولا أرى الجاه الذي بلغته ـ وكنت أنظر إلى مثلة في غيري فأتوق إليه ـ إلا شيئاً فارغاً لا ينقص ولا يزيد، فعلمت أن الحياة تافهة، ما لم يرسم الإنسان لنفسه هدفاً سامياً يسعى لتحقيقه، هدفاً يعلو عن المادة، ويبقى على الزمن، إذا ما حقق شيئاً منه طابت نفسه، وطلب المزيد.

*

وعلمتني الحياة أن الناس في درك هاو من الخسة، وفي درجة عالية من السمو، ينطوون على الشر والخير، ويهبطون بقدر ما يرتفعون. عرفت وأنا شاب في العشرين شابا في سنى

وقامت بيننا أواصر الود والصداقة. ثم تنكر لي الصديق، وأبدى من أسباب الجفوة ما دل على انحطاط في الخلق ودناءة في الطبع، ثم ما لبث هذا الصديق، في ظروف أخرى، أن صفا معدنه، وسمت نفسه، فتقدم في ميدان الجهاد، وبذل روحه فداء لوطنه، ومات شهيداً، فعلمت أن الناس لا يخلصون شياطين، ولا يتمحضون ملائكة، والعاقل من لبس الناس على حالهم، لا يزهد في الصديق وأن بدأ شره، ولا يقطع ما بينه وبين الناس لجرح لا يلبث أن يندمل، ولعارض لا يلبث أن يزول.

وعلمتني الحياة أن حظوظ الناس تبدو متفاوتة أكثر من حقيقتها، وهم في الواقع متقاربون في الشقاء والسعادة.. لكل من حظه ما يسعده ومن همه ما يشقيه. عرفت رجلاً كثير العيال رقيق الحال، لا يشك من ينظر إليه في أنه ضيق بحظه من الدنيا. وهو لا يكاد يفيق من هم إلا ويعثر في هم. وعلمت بعد ذلك أن الرجل ليس من الشقاء بالقدر الذي توحي به حاله. فهو قد ألف ضيق العيش، ووطن نفسه عليه، حتى إذا أصابته نعمة ضئيلة على غفلة من دهره، كان تقديره لها كبيراً، وفرحه بها عظيماً، وذاق بها السعادة كما ذاق من قبلها الشقاء.

وعلمت من ثقة أن أحد ملوك المال في مصر - وهو رجل من أقوى الرجال في بلده ومن أعرضهم جاهاً وأوسعهم نفوذاً - وقد عرفت بالسيطرة على أقدار الحكومات حتى أنه ليسقط حكومة ويقيم أخرى.. هذا الرجل كثيراً ما يخلو إلى نفسه، لينسى سوء حظه وليبتعد بشقائه عن عيون الناس، بل أنه ليتسلل من سريره في جنح الظلام لينفرد بنفسه ويبكي.

وعرفت سيدة كانت تتبرم من ضيق العيش ثم ورثت شقيقاً لها، فأصبحت تتبرم بما أصابته من مال لا تعرف كيف تستغله. فآمنت بعد كل ذلك أن الناس سواسية في الشقاء والسعادة على خلاف ما يبدو من تفاوتهم في ذلك وأن في الأرض عدلاً بين الناس أكثر مما يظن الناس.

*

وعلمتني الحياة أن نجاحي فيها رهن إيماني بنفسي وإيمان الناس بي.. فقد كانت ثقتي بنفسي تدفعني إلى العمل، وكانت ثقة الناس بي تجعلني أطمئن إلى نتيجة عملي. وهذا القدر المتوازن من ثقة الإنسان بنفسه وثقة الناس به، لابد منه لنجاحه في الحياة.. فإن زادت ثقته في نفسه على هذا القدر، كان ذلك غروراً يضله عن الحقائق. وأن جاوز اعتماده على

ثقة الناس به هذا القدر، بحيث أصبح لا يصدر إلا عن رأي الناس ولا ينزل إلا عند هواهم، كان ذلك ضعفاً واضطراباً يورثان انقياداً واستسلاماً. وتابعت في نفسي وفيمن حولي هذا التوازن، فأدركت أنه ضروري في كثير من الصفات الأخرى. هو ضروري في الواقعية والخيال فإن زادت الواقعية على الحد الواجب، كان ذلك جموداً وضيقاً في الأفق. وإن زاد الخيال، كان ذلك ميوعة وإغراقاً في البعد عن الحقائق. وهو ضروري في المادية والروحية، فإن زادت المادية، كان ذلك بلادة وتنكراً للقيم العليا في الحياة، وإن زادت الروحية، كان ذلك عجزاً عن مواجهة الحياة في حقائقها المادية. وهو ضروري في الاختلاط بالناس والانطواء على النفس، وإلا كان الإمعان في الاختلاط بالناس إهداراً للشخصية، وكان الإغراق في الانطواء على النفس عزلة ضارة. ومع ذلك لابد من التسليم بصعوبة أن يجمع الإنسان في نفسه هذا المزاج الموفق من الاعتدال والتوازن، والأمر الجوهري هو أن يعرف كيف يستطيع أن يتخفف من الإفراط في صفة أو التفريط في أخرى.

وعلمتني الحياة أن الغفلة عن المستقبل هي من أهم أسباب الراحة.. وما تعبت لشيء أكثر من تعبي عندما أفكر في المستقبل. ولعل الموت هو الحقيقة الأولى التي لا يتطرق إليها

الشـك، وهـو المسـتقبل المحـتم. ومـن نعـم الله علـى الإنسـان أن جعله قادراً على التغافل عن هذه الحقيقة، وإلا ظل قلقاً حـائراً لا يفكـر إلا في الموت.

وعلمتني الحياة أن النعمة لا أعرف قيمتها إلا عندما تزول وعلمـتني الحيـاة أن تتسـع أطمـاعي فـلا أعـرف أيـن أقـف، ثـم يتعثر بي الحظ فأرضى بالقليل.

وعلمتني الحياة أنني أتعلم منها كل يوم، ولن أنقطـع عـن الـتعلم حتـى تنقضـي الحيـاة. ومـن يـدري ـ إذا أنـا عشـت ـ مـاذا سـأتعلم منها غداً.

القوة بالعلم لا بالسيف والمال!

للدكتور شارل مالك

ولد الدكتور شارل مالك ببلدة بيت الرام "الكورة" من أعمال لبنان في عام 1906. وتلقى دراسته الأولية والابتدائية في المدارس الموجودة بمسقط رأسه. وأتم دراسته الثانوية بمدرسة الإرسالية الأمريكية بطرابلس الشام وأنهى دراسته العالية بالجامعة الأمريكية ببيروت عام 1927 ثم سافر إلى أمريكا حيث ظفر بدرجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد عام 1937. وشغل منصب سفير لبنان في الولايات المتحدة الأمريكية.

علمتني الحياة:

- أن مشكلة العالم العربي خلقية عقلية روحية قبل أن تكون اجتماعية اقتصادية.. وأنها اجتماعية اقتصادية قبل أن تكون سياسية، وأن المتاجرة بالسياسة والتسوس من أسوأ بلايانا.
- وأن لا عيش للعرب بالانكماش والانفصال، وأنه إن حلت وتحل بنا محن فما ذلك إلا لأننا كنا منقطعين عن العقل الفعال، محرومين منه طيلة هذه الحقب.
- إن الفعل إنما هو بالاشتراك المسئول المتواضع، لا بالجفاء والقطيعة والاكتفاء الزائف.
- إننا في العالم العربي لا نعرف بالفعل الغرب الحقيقي - عبقريته الأخيرة وروحه الإيجابية الخلاقة - وأن التبعة في ذلك تقع على الغرب بقدر ما تقع علينا.
- إن قيماً أساسية كثيرة في تراث الشرق الأدنى يمكن بل يجب إذكاؤها والمحافظة عليها، وأن لا شيء في هذه القيم يتنافى بالفعل مع أعرق ما في التراث الغربي المتراكم.
- أن لا شيء في الشرق أشد أثراً وأمضى حساً من ضغط الغوغاء ووحيها، وأن قيام قائد حقيقي يرفع

عامة الشعب إليه، ولا ينحط مع الزمن إليها يكاد يكون معجزة فوق طاقة البشر.

- أن المنافقين لابد في النهاية مفضوحون، وأن المخادعين مهما طال حبل خداعهم ففي الحقيقة لا يخادعون إلا أنفسهم.
- إن شرط وجودنا أن نسمح لأنفسنا بالبحث عن كامل حقيقتنا في جو طلق حر مسئول، كيما نعرفها معرفة تامة ونجرؤ على مجابهتها وإعلانها، وأنه طالما أن حقيقتنا معروفة لدى غيرنا أكثر منها لدينا.. فوجودنا ناقص مشروط.
- إنه في وسعي التام ألا أسمح للشهرة والفطرة أن تستبدا بي، وأن الويل للفرد أو للأمة التي لا تعرف مبدأ فوق مبدأ الطبيعة والشهوة.
- إن الشهوة والفطرة بالعقل والمعرفة تضبطان، وبالصداقة والثقة ترفعان وتطهران، وبفعل المحبة الرفيعة الكائنة تكبحان وتصقلان.. وذلك كله من أجل فرح وخلق يشدان الإنسان إلى الله.
- إن الوجود إنما هو بالقوة.. والقوة ليست بالسيف أو بالمال أو بالعدد، بل بالعلم والمعرفة. وهذان بالبحث

الحـر المـنظم، وبالنقـد المسـئول، وبالتربيـة العريقـة الحـرة، وبـالتطلع إلى القـيم الإنسـانية الرفيعـة، وبالاتصال بالتراث الإيجابي المتراكم، وبمحبة النظر والبحث لذاتهما ومن أجل موضوعهما.

- إن الحقيقة موجودة لكنها ضائعة وعسيرة المنال، وأن خلاصنا كقوم وكبشر إنما هـو في نشدانها والظفر بها، وأن أنقياء القلب لابد أن يعاينوها.
- إن الانكبـاب الـدائب المتواضـع علـى شـيء وحصـر الجهد فيـه والأمانـة التامـة لـه ـ علـى أن يكـون شيئاً حقيقيـاً موجـوداً لا خيـالاً في رأس شـاعر ـ هـو شـرط كل خلق، وأن لا شيء أضر مـن الالتفـات الحـائر إلى كل من أومأ.
- إنـي بالفعـل مـدين للحيـاة لا دائـن، وإنهـا تسـخو علـي بالنعم بقدر ما أصدق بإقراري الفعلي الشـاكر بهذا الدين.
- إن الزمان وكل ما فيه يزول، والتاريخ وكل ما يخلق من قيم وثقافات ينتهي.. لكـن شـيئاً واحـداً يبقـى إلى الأبد، هو رؤية الحق والشهادة الأمينة الحية الصـادقة له.

- إن سر الوجود الأخير هو المحبة ـ محبة الشيء، محبة الموضوع، محبة القريب، محبة الله ــ وإن المحبة تقتضي الألم والإيمان والمعرفة كي تفعل.
- إنه مهما فعلنا في هذه الحياة الدنيا فسيلازمنا حتماً على الدوام رصيد من أخطائنا ووقوع الظلم بنا، وأنه وجب لذلك التطلع بثقة إلى ملأ أعلى يؤمن فيه إحقاق الحق كاملاً ويعوض لكل نفس بقدر ما تطهر وتتوب.
- إن الحقد والانتقام يؤديان إلى الهلاك. أما الحياة الأبدية فبالغفران والصفح والمحبة.
- إنه بالآلام، فالتوبة، فالعودة، فالغفران، فالقبول.. كل فرح وكل خلق وكل وجود.
- إن الحقيقة الحقة الأخيرة هي الشخص العارف السامي الباذل الغافر الرحيم المحب الفاعل الكائن.

هذا بعض ما علمتني الحياة.. والحياة خير معلم، والمعلم خير حي.

رضى الضمير مفتاح السعادة

للدكتور محمد حسين هيكل

نشأ في كفر غنام من أعمال مديرية الدقهلية وحفظ في كتابها ما يزيد على ثلث القرآن ، ثم التحق بالمدارس الأميرية وحصل على إجازة الحقوق في سنة 1909 ثم سافر إلى فرنسا وحصل على دكتوراه الحقوق من جامعة باريس في سنة 1912. واشتغل بالمحاماة. وفي أثناء اشتغاله بالمحاماة قام بتدريس تحقيق الجنايات العملي ، والاقتصاد السياسي ، بالجامعة المصرية الأهلية من سنة 1917 إلى سنة 1921 وترك المحاماة إلى رئاسة تحرير جريدة السياسة ثم تولى الوزارة ، ثم انتخب رئيساً لمجلس الشيوخ سنة 1945 وبقي في هذه الرئاسة إلى 17 يونيو سنة 1950.

كنت تلميذاً بالمدرسة الثانوية.. وكنت معتزاً أشد الاعتزاز بمعلوماتي في اللغة العربية، وألقي علينا أستاذ هذه اللغة يوماً سؤالاً أجاب عليه أحد زملائي إجابة استرحت إليها موقناً بصحتها. ولشد ما كانت دهشتي حين ذكر الأستاذ أن زميلي أخطأ، وحين صحَّح هذا الخطأ. عند ذلك أيقنت بأنا يجب أن لا نبالغ في الاطمئنان إلى كل معلوماتنا وأنه يجب علينا أن نراجع أنفسنا ما بين حين وحين، لنستوثق من هذه المعلومات حتى لا يدفعنا الخطأ في بعضها إلى التورط من بعد في أخطاء أخرى.

وحينما كنت أدرس الحقوق، كنت قوي الذاكرة، فلا أحتاج إلى تلاوة الموضوع الذي أدرسه أكثر من مرتين لينقش في ذهني.. وإني لأناقش أحد زملائي الطلبة يوماً وأدعم حجتي بنص حفظته، إذ أشار هو إلى نص آخر لم يغب عني حين سمعته، ولكني لم أفكر من قبل في التقريب بين النصين ومقارنتهما.

ومن يومئذٍ أيقنت أن الاعتماد على الذاكرة وحدها، وبخاصة في الشئون العلمية، لا يكفي لكشف الحقيقة كاملة.. بل يجب أن يهضم الفكر ما تعيه الذاكرة ليخلف منه مجموعة وثيقة لا تنافر بين أجزائها كيما يتسنى

لإدراكنا أن يتمثلها فتصبح جزءاً من محصولنا العقلي قائماً بذاته، وله من ثم أثره في توجيه أحكامنا توجيهاً سليماً.

فلما أتممت دراستي، ومارست شئون الحياة.. رأيت الكثير مما يقع فيها يخالف ما تعلمته من مبادئ وقواعد وقوانين. ورأيت كثيرين ينجحون، ويرجع سبب نجاحهم الظاهر إلى مخالفة هذه المبادئ والقواعد والقوانين.. لكني تبينت بعد سنين قليلة أن النجاح بمخالفة قواعد الخلق ومبادئ القانون، يعرض صاحبه لمتاعب جمة، وقد يهدم حياته من أساسها، وأن التشبث بما نؤمن أنه الحق، والدفاع عنه دفاعاً صادقاً، وسلوك سبيلنا في الحياة على هداه.. ذلك هو الذي يرضي ضميرنا ويبعث الطمأنينة إلى نفوسنا. ورضى الضمير وطمأنينة النفس مفتاح السعادة وعمادها المتين.

وكان لما تعلمته من ذلك أبلغ الأثر في حياتي، فقد قضيت السنوات الثلاثين الماضية منها صحفياً، ومؤلفاً للكتب، ووزيراً، ورئيساً لمجلس الشيوخ.. وكل وجهتي في هذه المراكز جميعاً أن أدافع عما أؤمن بأنه الحق، وقد تعرضت بسبب هذا الدفاع لمتاعب كثيرة. قدمت من أجلها لمحكمة الجنايات في تهم صحفية، وتعرضت لغضب السلطات العليا، والسلطات الحاكمة، ولم أكسب في الحياة المادية ما

كنت أستطيع أن أكسب أضعافه لو أنني جعلت قلمي أو جعلت مجهودي في خدمة هذه السلطات. ولم أنتصر في بعض الحملات التي أثرت غبارها إلا بعد سنوات، لكنني لم أيأس يوماً من النصر، ولم أعن يوماً بالكسب المادي، لأنني كنت مستريح الضمير لأداء ما آمنت بأنه الواجب دفاعاً عن الحق، ولأنني رأيت الحق ينتصر آخر الأمر لا محالة، وإن طال انتظارنا قبل انتصاره.

وكثيراً ما شعرت بأن السبب في طول الانتظار وقوعنا في خطأ عن غير قصد، كما أخطأ زميلي ونحن بالمدرسة الثانوية حين ألقي الأستاذ سؤاله في اللغة العربية، أو أن السبب يرجع إلى إغفالنا جانباً من الحقيقة كما حدث لي أثناء مناقشة صاحبي وأنا أدرس الحقوق.. على أن الكبرياء لم تدفعني يوماً إلى التورط في الخطأ، بل كنت أعود دائماً إلى الحق لكيلا يزيد الشطط في طول انتظاري، مع اقتناعي الثابت بأن الصبر مع صدق الإرادة وحسن القصد كفيل بدرك الغاية التي أقصد إليها.

ونحن مدركون هذه الغاية ما كان هدفنا هو الحق، وهو الخير العام. ولا سبيل للخير العام إلا من طريق الحق. والحق والخير العام يقتضياننا إنكار الذات مع الثقة بالنفس،

والثقة المطلقة في نفس الوقت بالله جل شأنه.. فالله هو الحق، والحق سبيلنا إليه. ورضى الضمير وسيلتنا إلى رضى الله. والضمير لا يرضى إلا عن الخير وعن الحق.

وصدق الله العظيم: [والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر].

موقفي من الناس!

للأستاذ عباس محمود العقاد

ولد بأسوان في الصعيد الأعلى سنة 1889. اشتغل بالوظائف الحكومية، وتركها ليشتغل بالصحافة، ثم اشتغل بالتعليم، ثم كانت الحركة الوطنية فخاض معركة السياسة وانتخب لمجلس النواب، وعين عضوا بمجلس الشيوخ، فعضوا بمجمع اللغة العربية، وألف عشرات الكتب في النثر والنظم تدور حول الموضوعات الأدبية والفلسفية والاجتماعية، والتاريخية، والسياسية، وتراجم المشاهير منها كتاب عن "عبقرية محمد"، وكتاب عن "عبقرية المسيح"، وكتاب "ابن الرومي"، وكتاب "فرنسيس باكون".

علمتني الحياة خطتين في سياستي مع الناس.. خطة أتبعها فيما يصيبني من الناس، وخطة أتبعها فيما يصيب الناس مني، فاسترحت كثيراً من تبديد شعوري في غير طائل، وعرفت كيف يكون الاقتصاد في إنفاق ثروة الحياة.

أما خطتي فيما يصيبني من الناس، فهي أن أتناول طباعهم وأخلاقهم جملة واحدة.. ولا أفرق بينهم على حسب اختلاف الأشخاص والأفراد.

كان الخلق الواحد في مبدأ الأمر يسبب لي الألم وخيبة الرجاء عشرات المرات بل مئات المرات.. وكنت في كل مرة أشعر بصدمة المفاجأة كأنني أكتشف شيئاً جديداً لم أتوقعه من قبل.

ثم تعودت مع الزمن أن أجعل للناس جميعاً حساباً واحداً في رصيد المكسب والخسارة، فهبطت الخسارة كثيراً على الأقل.. وهذا في ذاته مكسب معدود.

تعودت أن أجمع الأخلاق إلى أنواعها، وأن أضع كل نوع منها تحت عنوانه. في الناس أنانية.. في الناس صغار.. في الناس سخافة.. في الناس نقائص وغرائب.. وهكذا، وهكذا.. إلى آخر هذه المألوفات التي توارثناها نحن أبناء آدم وحواء، فليس فيها من جديد.

فإذا أصابني من الناس شيء مكدر رجعت به إلى عنوانه، فوجدته مسجلاً هناك ولم يفاجئني بما لا أنتظر. في الناس أنانية.. في الناس صغار.. نعم.. نعم. وماذا في ذلك؟ ألم تعلم هذا من قبل؟ بلى، علمته مرة بعد مرة.. فما وجه الاستغراب، ولماذا الألم والشكوى؟

وراقبت نفسي طويلاً فوضعت نفسي في القائمة.. وتعودت أن أقول لها كلما أصابها ما يكدرها: "وأنت أيضاً كذلك". فلا محل للحساب والعتاب.

أما خطتي فيما يصيب الناس مني، فهي أن أسأل نفسي كلما شعرت بسخطهم أو انتقادهم: "هل الأمر يعنيني؟".

وبعبارة أخرى: "هل يضيرني أن أفقد رضاهم؟ وهل يعيبني أن أفقده؟".

فإذا كان في الأمر ما يضير أو ما يعيب فالأمر يعنيني، ولابد من معالجته بما أستطيع وإلا فلا وجه للتعب والاكتراث.

وعولت دائماً على المقياس العملي، لأن الجري وراء النظريات لا ينتهي إلى غاية.. فكنت أضع أمامي على الدوام خمسة أو ستة من الذين أعرفهم، وأعرف أنهم من أصحاب الخطوة عند الناس، وأن الناس لا يسخطون عليهم ولا

ينتقدونهم فأتساءل: "هل يسرك أن تكون مثلهم، وأن تحصل على الرضى كما حصلوا عليه؟".

وكان جواب هذا التساؤل نافعاً لي على الدوام، لأنه يحدد لي العمل اللازم، أو يعفيني من كل عمل، ويبين لي في معظم الأحوال أن ثروة الرضى والثناء عملة زائفة أو عملة صحيحة على أحسن الوجوه

ولكن الاستغناء عنها غير عسير.

*

ومن التجارب الكثيرة في الأشخاص الذين عرفتهم حق المعرفة، تبين لي أنهم يحتالون، ويتعبون عقولهم وضمائرهم في الاحتيال طلباً للشهرة التي لا تهمهم لذاتها، ولكنها تهمهم لغاية يصلون إليها من ورائها.

وحمدت الله لأن تلك الغاية لا تهمني أنا، ولا تستحق عندي أن أبذل فيها أقل تعب حتى لو استطعته كل لحظة وكنت كمن يتمنى نصيباً من المال ليشتري به شيئاً، ثم علم أن الشيء لا يستحق الشراء، فاستغنى عن المال واستغنى عن تمنيه.

خطتـان سـهلتان: خطـة مـع النـاس وهـي أن أجمعهـم جملـة واحدة.. وخطة مع نفسي وهي أن تقصر جهودها وهمومها على ما يعنيها. والخطتان سهلتان كما قلت، ولكنني لا أنسى أن أقول أنهما سهلتان على من هو مثلي، مطبوع على العزلة وقلة الاختلاط بالناس.

وحب العزلة عادة لم أتعلمها من الحياة، بل أخذتها من أبوي الاثنين بغير تعليم.

فمن استطاع أن يتعلمها فليتعلمها.. إن كانت تعنيه!

الحياة هدف وإرادة

للأستاذ توفيق الحكيم

تخرج توفيق الحكيم من مدرسة الحقوق. ولكن اهتمامه كان موجها للأدب والفن المسرحي فألف مسرحيات مثلتها بعض الفرق التمثيلية. وإن كانت روايته التمثيلية الأولى قد كتبها قبل ذلك العهد بعدة أعوام ــ سنة 1918 ، واسمها "الضيف الثقيل" ــ وكانت ترمز إلى احتلال الإنجليز لمصر ، فلم يسمح بتمثيلها. وسافر توفيق الحكيم إلى فرنسا وانغمر في جوها الأدبي والفني. ثم عاد ليبحث عن عمل يعيش منه. فاضطر إلى الانخراط في سلك القضاء ثم انتقل إلى وظيفة مدير للإرشاد الاجتماعي بوزارة الشئون الاجتماعية. ثم لاح له أمله القديم في ترك المناصب والانقطاع إلى الأدب والفن ، فاعتزل خدمة الحكومة وخصص نفسه للكتابة أعواماً طويلة في الكتب والصحف ، إلى أن خشي من طغيان الصحافة على عمله الأدبي ، فقبل تعيينه مديراً لدار الكتب المصرية.

أعتقد أن أهم خطوة في حياتي، هي أني استطعت أن أحدد هدفي في الحياة منذ الصبا.. فإني لم أكد أمضي قليلاً في مرحلة التعليم الثانوي، حتى وطنت العزم على أن أكون أديباً كاتباً، ولم أدر لذلك سبباً. فأنا لم أكن من المبرزين في اللغة وآدابها.. بل كنت تلميذاً عادياً. على أني أذكر ميلي الخاص دائماً إلى الفنون الجميلة منذ الطفولة. فكنت مولعاً بالرسم ثم بالموسيقى، ولكن ازدراء أهلي لهذا العمل لم يشجعني على التشبث به. فلما جاءت مرحلة المطالعة ووجدت في يدي ما صادفني من كتب وقصص، تيقظ في نفسي حب الفن في صورة أخرى. وكان والدي من رجال القضاء، ولم تكن الجامعة قد أنشئت في مصر وقتئذٍ.. فأدخلني مدرسة الحقوق لأصبح فيما بعد مثله من رجال السلك القضائي. ولكني لم أظهر ميلاً إلى القانون، وكان حبي للأدب والفن قد نما بمطالعاتي الكثيرة الخفية. ولحظ والدي مني ذلك، فجعل يحذرني من سوء المصير إذا انحرفت عن القانون إلى الأدب. ولكني كنت قد قررت في نفسي مصيري.. وهذا القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره قلما تنقضه الأيام، إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان.

ولا أعني بالإيمان هنا أن يؤمن الإنسان بمواهبه، فأنا من أقل الناس ثقة بأن لي مواهب.. وإنما أومن بالهدف الذي وضعته نصب عيني، وركزت إرادتي في السير نحوه. ولم يكن أمامي خطر أخشاه إلا تعدد الهدف وحيرة الإرادة. وكان هذا الخطر من أشد ما تعرضت له في حياتي وكافحت للتغلب عليه. فقد تفتحت أمامي أبواب كثيرة كان من الممكن أن تغير مجرى حياتي.. كانت أمامي وظائف السلك القضائي، وكان أمامي الاشتغال بالسياسة..

بل كانت أمامي يوماً فرصة العمل للسينما على نطاق تجاري. وكان في مقدوري النجاح في كل باب من هذه الأبواب، لأن طبيعتي قابلة للتكيف.. ولكن إيماني بوحدة الهدف جعلني أخصص نفسي لخدمة الأدب وحده. وعلى الرغم من اعتقادي أن الحياة هدف وإرادة، فإني قد لحظت فيها وجود كائن هائل هو وحده الذي أحسب له كل حساب.. ذلك هو "القدر"، وهو معي ساخر دائماً. وهو لا يبدو لاذعاً في سخريته إلا عندما يلمح مني بادرة شعور بأني اقتربت من هدفي.

وقد علمني بذلك أن المقصود من الهدف هو السير نحوه لا بلوغه.. لذلك ما أحسست يوماً بأني بمأمن إلا عندما أسير

وأعمل، لأن القدر لا يسخر ممن يسيرون ويعملون. وإذا فعل فإنه لا يجد لديهم وقتاً أو فراغاً يتألمون فيه كثيراً لما يفعل بهم.. ولكنه يسخر أقسى السخرية من أولئك الذين يظنون أنهم وصلوا وانتهوا إلى الغايات.

لذلك لا أعرف بالضبط ماذا جنيت من حياتي حتى الآن. فأنا ـ وقد تجاوزت الخمسين ـ لا أستطيع أن أقول أني بلغت هدفاً. ولكني أستطيع القول أن حياتي كلها قد أنفقتها في السير المضني نحو هدف واحد لا يتغير. وإني لا أسأل نفسي أحياناً: هل كنت على صواب في تركي الأهداف الأخرى التي كانت من الممكن أن أنجح في تحقيقها..؟ فأتلقى الجواب من طبيعتي الخاصة أن مجرد النجاح على إطلاقه ما كان قط يغريني. فالنجاح في الوصول ـ حتى في مجال الألقاب العلمية والأدبية والاجتماعية وغيرها ـ لا يهمني بقدر ما يهمني تكوين نفسي. وكل نجاح يأتيني عن طريق آخر غير طريق هدفي الحقيقي، وهو تحقيق ذاتي في الخلق الأدبي الفني، هو نجاح لا يستحق في نظري بذل جهدي للحصول عليه، لأني لا أزن الحياة بميزان المنافع العاجلة. فالحياة عندي في جوهرها هي تحقيق الذات، أي استخراج خير ما في أعماق الإنسان في ملكات. وفي الإنسان أحياناً ملكات كاذبة يجب في اعتقادي

أن يضحي بها في سبيل إظهار الملكات الأصيلة.. حتى ولو كلفه ذلك خسارة مادية أو معنوية. فكرة واحدة هي التي تعذبني دائماً.. هي احتمال الخطأ في تقدير الملكة واختيار الهدف. من أدراني أن ما حسبته ملكة أصيلة لم يكن سوى ملكة كاذبة؟!. وأن تلك الحياة التي ركزتها كلها في استخراج قطعة من حجر نفيس لم تكن سوى حياة ضائعة هباء؟ عزائي الوحيد هو أني أعتقد أن مجرد الجهد المبذول في الحفر على أعماق النفس لاستخراج خيرها هو عمل شريف في ذاته، حتى ولو كشف في النهاية عن حصى ورمال مخيبة للآمال!

الرجل الحق يغم نفسه ولا يغم عياله!

للأستاذ شفيق جبري

ولـد شـفيق جـبري في دمشـق الشام سـنة 1898 ، ودرس في مدرسـة فرنسـية أصـحابها رهبـان عـازاريون ، ثـم انصـرف إلى المطالعـات الخاصة. فقرأ من شـعر العـرب وكتبـهم طائفـة لا بـأس بهـا ، وعـني بصـورة خاصـة بالكتـب الـتي تغذي العقل ، وأولع بالكتابات الـتي تشـيع فيها بشاشة الحياة. عالج الشعر. فكان شـعره مطبوعاً بطابع وطني قومي بالنظر إلى الأحوال التي قيل فيها ، ومارس الكتابـة الـتي يغلـب عليها الجهـد والتعب. وهو الآن عضو المجمـع العلمـي العربـي في دمشق وعضو مراسـل في مجمـع فـؤاد الأول للغة العربيـة ، وعميـد كليـة الآداب في الجامعـة السـورية.

الحياة مسرح يجرب فيه الإنسان عقله وشعوره وعاطفته وحسه وذوقه، فيهتدي كل يوم إلى أمور جديدة، لأن الحياة غير ثابتة.. ففي كل عصر مذاهب جديدة في كل ناحية من نواحي الفكر، في الفلسفة والأدب والعلم والاجتماع والاقتصاد وما شابه ذلك، في كل عصر حركات جديدة وأزياء جديدة.. وعلى هذا الشكل تتسلسل آثار العقول، فيؤدي كل عصر نتائج ما يهتدى إليه إلى العصر الذي يليه، ويزيد كل عصر في هذه النتائج بقدر ما يتيسر له من العلوم والتجارب.

قد يكون من هذه العلوم والتجارب ما يحتاج إلى تعديل. فمن عصر إلى عصر يظهر علم جديد يعفى على آثار علم قديم، وتظهر تجارب حديثة تبطل تجارب عتيقة. فالإنسان يحتاج من حين إلى آخر إلى تعديل ما تعلمه أو جربه، والخطأ كل الخطأ في الثبوت على علوم باطلة أو تجارب فاسدة، والذي يفيد البشرية إنما هي هذه التعديلات التي ندخلها على آرائنا من حين إلى آخر.

والآن نصل إلى جوهر السؤال: ماذا علمتني الحياة؟ أو ماذا تعلمت في الحياة؟

قد يتعلم المرء في حياته أموراً لا سبيل إلى إحصائها في ورقة أو ورقتين.. ولكن لا نرى العبرة بكثرة علومه، وإنما نرى العبرة بمقدار انتفاعه بهذه العلوم. فإذا ذهبت إلى الأتيان على ذكر ما تعلمته في حياتي، طال على المجال. وقد يكون الذي تعلمته أو جربته قد تعلمه غيري أو جربه، فالمهم ـ على ما أعتقد ـ أن يذكر الإنسان ما انتفع به من علومه وتجاربه في حياته.

لقد قرأت بعض الكتب ووقفت على بعض التراجم.. فإذا كنت استعظمت رجلاً من رجالنا في قديم الدهور، فقد استعظمت رجلاً قالوا فيه أنه إمام في العلم، رأس في الزهد عارف بالفقه، بصير بالأحكام حافظ للحديث، مميز لعلله، قيم بالأدب جماع للغة. هذا الرجل إنما هو إبراهيم بن إسحق الحربي، عاش في القرن الثالث. وعلى الرغم من الأمور التي حصل عليها، لم تكن له شهرة كشهرة عظماء أدبائنا أو علمائنا.

قرأت ترجمته وعسى أن أنتفع بخلق من أخلاقه.. كان لا يشكو إلى أمه ولا إلى أخته ولا إلى امرأته ولا إلى بناته حمى يجدها. كان به صداع بأحد جانبي رأسه خمساً وأربعين سنة

ما أخبر به أحداً قط، وعاش أكثر من عشر سنين بفرد عين ما أخبر بذلك أحداً، وأفنى من عمره ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة. ولو أردت الإتيان على هذا النوع من شظف عيشه وصبره، لذكرت الشيء الكثير.. وإنما المهم أن نعرف هذه الحكمة التي انتقلت إلينا على لسانه، وهي "الرجل الحق هو الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يغم عليه". ما أظن أني أخرج عن موضوعي إذا استشهدت بسيرة عظيم من عظمائنا، لأن أصل السؤال "ماذا علمتني الحياة؟" فإذا قلبت السؤال، قلت: "ماذا علمني إبراهيم بن إسحق الحربي؟!.." والنتيجة واحدة أنا نعيش في عصر غلبت فيه المادة على كل شيء.. فكان لهذه الغلبة عواقب وخيمة في أخلاقنا واجتماعنا.. في حياتنا كلها، فالعصر الذي نعيش فيه إنما هو عصر المادة، فكل شيء يقاس بها. لقد ضعفت قيمة الروحانيات حتى كادت تموت، لقد أفسدت هذه المادية سياستنا وأدبنا وعلمنا وأوضاعنا الاجتماعية بحذافيرها ولاسيما الزواج.. فإذا كان من الواجب على رجال الفكر أن يبينوا في هذه الأيام ماذا علمتهم الحياة حتى تنتفع البشرية بآرائهم، فمن الواجب علي أن أعترف بأن الذي علمني إياه إبراهيم ابن إسحق الحربي في احتمال الحياة والصبر على مكارهها إنما هو شيء عظيم.

ولست أرى في هذا التعليم أثر زهد يقعد بصاحبه عن السعي في الحياة ويميل به إلى الكسل والخمول، وإنما أرى فيه جواً روحانياً يقوي سعي صاحبه ويشد آماله.. فالرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يغم عياله، إنما هو رجل يخلق لنفسه أفقاً روحانياً يعيش في ظلاله في كثير من الهدوء والعالم حوله مضطرب، وفي كثير من الراحة والدنيا حوله تعبة، وفي كثير من القناعة والجشع حوله هائج مائج. ويستطيع في هذا الأفق الروحاني الهادئ المستريح القانع أن يعمل كثيراً، وأن ينتج كثيراً، وأن تنتفع البشرية بعمله وإنتاجه!.

لتكن آراؤك من وحي ضميرك!

للدكتور فيليب حتى

ولد الدكتور فيليب حتى في يونيو سنة 1886 ببلدة شيملان من أعمال جبل لبنان. وقد ظفر بدرجة البكالوريوس في الآداب من جامعة بيروت الأمريكية في عام 1908 ، وحصل على الدكتوراه من جامعة كلومبيا الأمريكية سنة 1915 ، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة وأصبح مواطناً أمريكياً عام 1920. وقد اشتغل بتدريس التاريخ بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم التحق بقسم الآداب الشرقية بجامعة برنستون في الولايات المتحدة حتى أصبح رئيساً وأستاذاً لهذا القسم منذ عام 1944. وهو معروف بنشاطه الواسع في الميادين الأدبية والثقافية والاجتماعية ، وله مؤلفات كثيرة.

علمتني الحياة أن أعرب عن آرائي - إذا طلب إليّ ذلك - في اعتدال ولباقة، وطبقاً لما يمليه الضمير، ووفقاً لما تتطلبه الأمانة الفكرية.. وذلك بغض النظر عما إذا كانت تلك الآراء مناسبة أو مقبولة من الجانب الآخر، سواء أكان مستمعاً أم قارئاً. وبعد، فإن المرء إنما يعيش مع نفسه، ولن تتاح السعادة أبداً ما لم يتوفر السلام الوثيق بين اللسان والقلم من ناحية، وبين المبادئ الشخصية من الناحية الأخرى.

حدث في أوائل شهر يناير سنة 1951 أن نزلنا في القاهرة ضيوفاً على الحكومة المصرية بمناسبة الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء جامعة فؤاد الأول، وكنت أنا ممثلاً لجامعة برنستون. وكان هنالك مندوبون للجامعات وللهيئات العلمية في مختلف أرجاء العالم.

وسعى رجال الإذاعة الحكومية لتسجيل حديث يذاع في مختلف أرجاء العالم العربي. وكان بين الأسئلة المطروحة على هذا السؤال المعتاد: "ما رأيك في مصر، وما هي الآثار التي انطبعت في ذهنك عن تقدمها في مختلف نواحي الحياة من ثقافية واجتماعية واقتصادية؟" وهنا ألفيتني في ورطة.. لقد كانت الحكومة تبالغ في إكرامنا، وكان مندوبوها يعاملوننا أحسن معاملة.

أفهل يسعني إذن أن أعرب عن آرائي بأمانة وصراحة بغض النظر عن كافة العواقب، أم أعرض ضميري وأمانتي الفكرية للمهانة لمجرد إرضاء المستمعين؟ ومهما يكن من أمر فقد جرت إجابتي على النسق التالي: "لا شك أننا قد تأثرنا بالمثل، بتلك الثغرة الواسعة الغفيرة من الأميين. ومثل هذا يمكن أن يقال عن الثغرة الواسعة التي تفصل ما بين عصبة الأرستقراطيين الثرية والجماهير الفقيرة التي يخطؤها العد والتي تعيش عيشة الحرمان والجوع، وما لم يعمد ذوو السلطة إلى التنازل عن بعض نفوذهم وسلطانهم، ويجعلوا الذين لا يملكون يشاركونهم بقسط أوفر فيما يملكون، ومن ثم يهبطون ـ من ناحية ـ بأعلى المستوى، ويرتفعون ـ من ناحية أخرى ـ بحده الأدنى، حتى تضيق المسافة بينهما ـ أجل، ما لم يبد ذوو السلطان طواعية واختياراً رغبتهم في صنع ذلك، فلسوف يأتي وقت ـ وربما عن قريب ـ يضطرون فيه إلى صنع ذلك قسراً وعن غير رغبة منهم".

وحدث أن كان مدير جامعة استنبول على مقربة، بحيث استمع إلى الحديث المسجل، فأعرب عن دهشته من "جسارتي وجرأتي" وأفضى إلي بما سمعه من همسات رجال الإذاعة باللغة العربية، التي لم يستطع فهمها بوضوح.

ولم يكـن بفنـدق شـبرد أي راديـو. ومـن ثـم لم نسـتطع الإصغاء إلى إذاعـة الحـديث المسـجل. ومـع ذلـك فقـد أخبرنـي رجال الإذاعة عندما قابلتهم في الصباح التالي أن "رقيب جلالة الملك" قد مر بقلمه الأحمر على العبارة بحذافيرها، ومن ثم لم يذع حديثي المسجل.

وفي يوليو من عام 1952 أي بعد مرور عام ونصف عام على هـذه الحادثـة أصـبح الملـك "لاجئـاً" إلى إيطاليـا وقـدم "رقيبـه" للمحاكمة!.

استقرار المرأة في البيت يربو على آلاف الحقوق السياسية.

للسيدة أمينة السعيد

دخلت الجامعة المصرية في الفوج النسائي الأول ، وكانت أول فتاة تدخل قسم الأدب الإنجليزي وأول خريجة فيه. وقد حصلت على شهادة الليسانس عام 1925 ومنذ ذلك العهد وهي تشق طريقها في عالم الكتابة بجد ومثابرة وكانت دائماً شديدة الاهتمام بقضايا المرأة ، فاشتغلت بالنهضة النسائية. وعندما أسست الزعيمة الخالدة هدى شعراوي الاتحاد النسائي العربي العام سنة 1944 ، اختيرت السيدة أمينة السعيد أمينة سر عامة للاتحاد وهي تشترك الآن في تحرير ثلاث من مجلات "دار الهلال".

كنت في السابعة عشرة من عمري، عندما دخلت كلية الآداب بجامعة فؤاد.. وكان والدي على غير المألوف من أهل جيله رجلاً تقدمياً بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ كريمة فاضلة. فتمتعنا في صغرنا بكثير من الحريات التي لم يكن يستمتع بها البنات إذ ذاك. وكان طبيعياً أن أمضي في حياتي الجامعية على ما اعتدت من تحرير عظيم، غير مبالية بتقاليد العهد الصارمة، فلم ألبث مثلاً أن اشتريت مضرباً للتنس، ومارست به رياضتي الحبيبة، وتدرجت من ذلك إلى الشيش، فكنت أول مصرية تمسك السيف بيدها.. وآلمني أن أرى الطالبات حزباً، والطلبة حزباً آخر، فأقمت في بيتنا حفلات للتعارف، أشرف عليها والدي بنفسه، وحضرها بعض أساتذتي وعمادئي.

وكان سلوكاً غريباً لم تعرفه الجامعة في طالبة قبلي، وكانت التقاليد الرجعية مازالت سائدة والبنات يخضعن لها خضوعاً تاماً، فينطوين على أنفسهن، ويبتعدن عن كل وجه من أوجه النشاط الجامعي.. وأغضب المتزمتين أن أخرج عن العرف المألوف، واعتبروا تصرفاتي بدعا تسيء إلى الأسس الاجتماعية الوطنية، فثارت نفوسهم لذلك ثورة شديدة، وبدأت الزوابع تتجمع حولي، وأنا لاهية عنها بحياتي الجامعية المسلية.

ولم أنتبه إلاّ وقد انفجرت مراجل الغضب، فابتعد الزميلات عني خوفاً من أن ينالهن الأذى بصداقتي، وانبرت المجلات الأسبوعية إلى التنديد بي في أسلوب جارح مهين. واشترك بعض رجال الإدارة الجامعية في الحملة. فكانوا ينتقدونني علناً وعلى مسمع مني، وغرضهم بذلك أن يسيئوا إلى شعوري بقدر ما أسأت ــ في رأيهم ــ إلى العرف الشرقي المألوف. وأعترف صراحة بأن هذه الثورة أصابتني في صميم كياني وتركت في نفسي آثاراً لم تزل حية إلى يومنا هذا، ولكني لم أكن بطبعي جبانة لا تقهقر. ولم أكن أيضاً خبيرة بشؤون الحياة لأحسن تصريف الموقف، ولذلك اعتبرت الثورة تحدياً من أسرة الجامعة.. فقبلت التحدي في غضب طائش، وجعلت أرد الصاع صاعين، لمن ألمح فيه بادرة للانتقاد. وكثيراً ما كنت أبدأ بالعدوان وأمعن فيه لأنتقم لنفسي قبل أن ينالني الأذى... فساءت الأحوال إلى أبعد حد، وأصبحت حياتي في الجامعة أشبه ما يكون بمعركة رهيبة أحارب فيها وحدي بأسلحة خائبة.

وظل أبي يرقب الحال من بعيد ولا يتدخل في أموري بكلمة أو إشارة، حتى إذا رأى أنني بدأت أخرج في غضبي عن دواعي الحكمة والمنطق ناداني إلى غرفته، وقال:

- إني أراك في ثورة جامحة، فما السبب؟

قلت وأنا أغالب الدموع:

- إنهم يظلمونني ويهاجمونني، وأحب أن أرد لهم إساءتهم بالمثل وأكثر.

قال: "وماذا يأخذون عليك؟"

قلت: "إنني ألعب التنس والشيش، وهم يعتقدون أنني أخرج بذلك عن دواعي الاحتشام".

قال: "ولكنك تدفعين رسوم الاتحاد في أول العام الدراسي، ومن حقك أن تمارسي الرياضة على مختلف أنواعها.. فأنت والأمر كذلك على حق، وليس لأحد أن يمنعك من الرياضة أو ينتقدك عليها.. فهل هذا كل ما يأخذون عليك؟".

قلت: "إنهم يكرهون أن أشترك في المناظرات الثقافية، إن وقوفي على المنصة مع الرجال، جنباً إلى جنب، يتنافى مع الحياء النسوي".

قال: "ولكن المناظرات نشاط اجتماعي محمود، ومن واجب الطالبة الجامعية أن تشترك فيه. ويسرني أن تكوني في هذا الميدان قدوة طيبة لبقية البنات.. فهل من مأخذ آخر؟".

قلت: "إن الحفلات التي أقمتها للتعارف أثارت ضجة خبيثة.. وقيل في وصفها ما قيل من التهم القبيحة".

قال: "ولكن التعارف واجب بين الزملاء والزميلات، وأنا الذي أذنت لك بإقامة الحفلات في بيتي.. وأشرفت بنفسي على كل صغيرة وكبيرة في أمورها، وقد حضرها أساتذتك وعمداؤك، فمم تخافين؟".

قلت: "إنهم لا يفهمون منطقنا هذا، وأخاف أن يوقعوا بي حتى تفصلني الجامعة من سلك طلابها. وإذا كان لابد من فصلي فأنا أحب أن أسبقهم إلى الإساءة فأنتقم لنفسي وأغيظهم".

قال: "ولكنك تخرجين بغضبك عن دواعي العقل والمنطق، وأخشى أن تدمري نفسك بنفسك".

قلت: "هذا لا يهم...".

قال في صرامة: "ليس من عادتي أن أتحكم في أمرك، ولكني أحب أن تكوني على بينة من اتجاهاتي، لتختاري طريقك في غير التباس.. أنا أكره أن تكوني جبانة فيخيفك الهجوم، ولكني أكره أن يضلك الغضب والتحدي فتخطئي سبيل العقل.. ولذلك أؤكد لك أنك إذا فصلت من الجامعة

مظلومة لأي سبب من الأسباب السخيفة التي يأخذونها عليك، فسوف أكافئك على الفصل بإرسالك إلى أرقى الجامعات الأوروبية تتمين فيها تعليمك العالي.. أما إذا فصلت عن حق وكنت الملومة بخطأ صغير أو كبير، فلن تنالي تعليماً عالياً، وسأبقيك في البيت جاهلة شأنك شأن ملايين الفتيات المصريات. هذه كلمتي الأولى والأخيرة ففكري فيها ثم اختاري ما يعجبك".

ولم يشأ والدي أن يقول أكثر من ذلك بعد أن وضح اتجاهاته ونواياه. وترك لي مطلق الحرية في تقرير مصيري. وأشهد أني لم أفهم فلسفته في بداية الأمر.. فلما أمعنت التفكير فيها، لم تلبث الغيوم أن انقشعت عن رأسي، وتكشفت لي الحياة على حقائقها في جو جديد من الإيمان بالمبدأ، والثقة بالنفس. ورأيتني أراجع نفسي في كل خطوة قبل أن أخطوها، وأناقش منطقي وضميري في كل فعلة أفعلها، حتى لا أخرج عن سبيل الحق فأحرم فرصة التعليم الجامعي، وحرصت كل الحرص على أن أتمتع بحقوقي مؤمنة بها، وأقوم في مقابل ذلك بواجباتي على أحسن وجه، وأن أسير في الحياة مطمئنة إلى عدالة والدي الرجل الوحيد الذي يملك ناصية مستقبلي.

وكان درساً خلقياً ممتازاً.. فإن المثابرة على سلوك سبيل الحق شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، غرس في نفسي حب الحق والانتصار للعدالة في كل تصرفاتي وأحكامي، وعلمني أن أطلب الحق من نفسي قبل أن أطلبه من غيري، وتكيفت أخلاقي على مضي الزمن بهذه الخلة الحميدة فعرفها الزملاء والأصدقاء، وعندما وقفت في ميدان الكتابة، وبنيت اسماً صحفياً طيباً، اقترنت شهرتي دائماً بالعدالة والانتصار للحق.. فقصدني في طلب المشورة أعدائي وأحبائي على السواء، وكلهم إيمان بأنني لا أحيد عن العدل ولو كان الغرم من نصيبي شخصياً.

وقد أفادتني هذه الصفة في جهادي الطويل من أجل ترقية أحوال المرأة، ولا أذكر أنني خرجت يوماً عن دواعي الحق في مطلب أو دعوة، فأنا أعلم مثلاً أن الجهل مازال منتشراً في النساء وأن التشريعات العائلية بصورتها الراهنة أحق بالعلاج من دخول البرلمان. وبالرغم من أنني من أصلح نساء مصر لدخول البرلمان، فإن البيت في رأيي جنة ما بعدها جنة، وأن استقرارها فيه يعادل آلاف الحقوق السياسية.

ولاشك أن اتجاهي هذا كان السر الحقيقي في ثقة أصحاب الشأن بما أكتب أو أقول، ولا شك أن انتصاري للحق قد ساهم في بناء شهرتي أكثر مما ساهم القلم، ولكني لست صاحبة الفضل في الميزتين.. إنما كان صاحب الفضل والدي بنصيحته الغالية فألف رحمة عليه.

الرحمة تسع المحسن والمسيء!

للدكتور أحمد زكي

ولد في السويس ، وتعلم في المدارس الأميرية المصرية من ابتدائية وثانوية. ثم نال مدرسة المعلمين العليا. واشتغل بتدريس العلوم في المدارس الثانوية والأزهر ، ثم سافر عقب الحرب العالمية الأولى إلى إنجلترا فقضى بها نحوا من عشر سنوات ظفر خلالها بعدة درجات علمية رفيعة وبدرجة الدكتوراه في العلوم ، ثم عاد لمصر حيث أصبح أستاذاً بكلية العلوم ، ثم مديراً لمصلحة الكيمياء ، ثم مديراً لمجلس فؤاد الأول للبحوث ثم عين وزيراً. ثم مديراً لجامعة القاهرة.

ألا ما أكثر ما علمتني الحياة..

ومما علمتنيه الحياة، أن التربية الأولى هي الأصل الأول من أصول النجاح في الحياة. وأن مرجع هذا إلى الوالدين، وإلى البيت، وإلى البيئة. وأن التربية الواسعة العريضة، حتى مع الضحالة، خير من التربية الضيقة العميقة. وأن التعميم في أول الأمر خير من التخصيص. ذلك لأن الرجل منا لا يدري ما يأتي به الغد.. إذن لأعد له، وأعد له وحده.

فكل احتمالات الغد يجب أن تكون نصب عين المربي، والأب أول مرب، وكذلك الأم. ولو أني ملكت من أمر تربيتي في صغري ما أملك الآن، إذن لتعلمت الرياضة والسباحة والرماية وركوب الخيل، وإذن لتعلمت الرسم والنحت والموسيقى والغناء، وكل ما وقع في طريقي من صور الفن. وإذن لتعلمت اللغات من إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية.. ذلك والعمر غض، ومادة المخ مرنة تلتقط بأيسر جهد. وإذن وإذن....

هذا إلى جانب ما تعلمني المدارس، فإذا كبرت اتسع اختياري للحقل الذي أعمل فيه لكثرة ما أعددت للحياة من عدة. وليس فيما أعددت ما يذهب أبداً هدراً.

وممـــا علمتنيـــه الحيـــاة، حاجـــة صـــاحب العـــيش إلى الأصدقاء.. إن الذي يعيش في الناس لابد أن يعرف النـاس، وأن تعرفه الناس، وأن يعين وأن يعان. ولقد حرصت على الأصدقاء صغيراً كل حرص، وحرصوا. وكان الولاء ولاء قلب.. وكلما كبرت وكبر معي الأصدقاء تحول ولاء القلب إلى ولاء عقل، وولاء حسـاب، مـن جمـع وطـرح. وثقلـت مطالـب العـيش علـى الصديق منهم وتـزوج.. فتركـزت همومـه في داخـل أسـرته علـى الـزمن، فقـل همـه بالـذي خـرج عنهـا، فبالأصـدقاء! وتـدهورت الصداقة فصارت مفاوضات، في الخير وفي الشر.. فلم يبق مـن خـير الصـديق الصـادق يبذلـه للصـديق الصـادق إلا النصـيحة الخالصـة، والنصـيحة الخالصـة شـيء عزيـز عظـيم. فأنـا أستنصح الأصدقاء الخلصـاء.. لا لأتبـع، ولكـن لأزداد فهمـاً، ولأدرك كيف يرى الناس الأمور من زوايا غير زاويتي، لتكون نظرتي أشمل ثم يكـون الحكـم آخـر الأمـر لـي، ولـي وحـدي. وكثيراً ما خالفت النصحاء، فحمدت العاقبة.

*

وعلمـتني الحيـاة كراهـة الضـيق.. الضـيق في المكتـب، والضـيق في المسـكن، والضـيق في المغـدى والمـراح.. وكـذلك ضيق عقول، وضيق قلوب. إن الـذي ظهـر لنـا مـن هـذا الكـون

دنيا لها أفق واسع، والذي لم يظهر لنا منه له أفق بل آفاق أوسع. وليس يناغم الحي الحياة بهذه الدنيا إلا بالواسع من كل شيء. وأكره ما أكره من صنوف الضيق ضيق الأذهان على أي صورة في الناس كان.. وما أكثر صوره التي يكون بها في الناس. وهم يعبرون عنه بالتعصب الذهني. وقد يتعصب الرجل لرأيه جزافاً، وقد يتعصب لأسرته جزافاً، وقد يتعصب لأمته، أو للونه، أو لدينه، أو حتى لعقيدة سياسية تقع عنده أنها الصواب، وسائر العقائد الخطأ. وهذا حمق ذهني لم أجد وراءه حمقاً، واعتداد بالغ بقدرة عقل بعد أن تبين الناس ما في العقول من قصور.

أما ضيق القلوب فصفة للقلب الذي لا تدخله الرحمة من باب واسع، الرحمة التي تسع الناس جميعاً، من كل رأي وكل جنس وكل أرض. الرحمة التي تسع المحسن وتسع المسيء، وتدرك حقيقة الطبيعة الإنسانية في أوج علاها، وفي الدرك من حضيضها. فتفهم كل شيء، وتغفر كل شيء... الرحمة التي تطول فيطاول بها الإنسان رحمة الله.

وعلمتني الحياة وعلمتني...

إن الحياة علمتني دروساً ألفاً.. هذه ثلاثة منها.

إذا سرت وصلت

للأستاذ حافظ وهبة

الأستاذ حافظ وهبة سفير المملكة العربية السعودية بلندن. ولد منذ ستين عاماً في حي بولاق بالقاهرة. وتعلم بالأزهر ، ومدرسة القضاء الشرعي. وأولع بالمغامرة وهو في مطلع الشباب ، فسافر لأستنبول والهند والكويت إلى أن التقى بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فاتخذه مستشاراً سياسياً له ، ثم جعله سفيراً للمملكة العربية السعودية في لندن.

لقد كانت حياتي كلها كفاحاً ومغامرة.. كفاحاً ضد الأمراض التي كانت تعصف بالأطفال والشباب في أيامنا، وكفاحاً ضد الخرافات السائدة في أحيائنا.

لقد كنت طموحاً بفطرتي، فلم أقنع بلون من ألوان الحياة التي كان يقنع بها زملائي في الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي.

لقد منحني الله من قوة الصبر والاحتمال ما مكنني من احتمال كثير من محن الحياة.. لقد كان سلواي في محني الآية الكريمة: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم". صدق الله العظيم.

لقد كان لبعض أساتذتي بالأزهر الفضل الأكبر في تحرير عقلي من عبادة المؤلفين وتقديس الكتب، كما كان لكتابي "سر تقدم الإنكليز السكسونيين" ترجمة فتحي زغلول، و"التربية الاستقلالية" ترجمة عبد العزيز محمد الأثر الأكبر في اعتمادي على نفسي وحبي للمغامرة والمخاطرة.

ولدت قبل ستين سنة في حي بولاق من أحياء القاهرة في وقت ساد الجهل فيه مصر، وتحالفت على جيلنا جميع الأمراض المعدية والفتاكة، فلم يبق من هذا الجيل إلا من كتب الله له السلامة بما منحه من المناعة القوية. وبالرغم من

جهل وسطنا، فإن آباءنا كانوا شديدي الحرص على تعليمنا بالقدر الذي تمكنهم منه مواردهم المالية ومداركهم الفطرية.

دخلت الكتاب أو المدرسة المتواضعة، فتعلمت القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظت القرآن الكريم كأمثالي طلبة الكتاب.. وهنا قامت أول معركة بين والدي ووالدتي. فأمي تريدني أن أكون من المطربشين، وتود أن ألتحق بإحدى المدارس النظامية كمدرسة عباس في حي بولاق.

ووالدي يريد أن ألتحق بالأزهر لأكون عالماً من علمائه كالشيخ بخيت، أو الشيخ محمد عبده، أو الشيخ على حسين البولاقي الذي ارتفع شأنه في حيناً.

أما أنا فكنت أميل إلى رأي والدتي، فلم أكن في تلك السن أفهم من الالتحاق بالأزهر إلا أن أكون من المحترفين بقراءة القرآن سواء في البيوت أو في المآتم أو على المقابر، وكنت بفطرتي أكره هذه الحرف أشد الكره.. غير أني التحقت بالأزهر بالرغم مني، وكما أراد أبي.

لقد كانت خيبة أملي عظيمة.. فالنظافة لم تعرف بالأزهر في تلك الحقبة من الزمن، والأخوة الإسلامية قد تركت مكانها للعصبيات الجاهلية.. فالمعارك بين الصعايدة

والشـراقوة لا تكـاد تنقطـع. وكـثيراً مـا قـادت العصـبيات المشـايخ، فاشـتركوا فيهـا بسـهم بـارز. ولكـن بجانـب هـذه العيـوب كـان الأزهـر عـامراً بـبعض العلمـاء ممـن آتـاهم الله بسطة من العلم والعقل ومتانـة الخلق والزهـد في الـدنيا وحريـة البحث مما أنسانا جميع المساوئ..

لقد كانت لنا الحرية التامة في اختيار أساتذتنا وكتبنا، فكانت هناك روابط روحية تربطنا بمن أحببنـا مـن أسـاتذتنا، وهي أشبه بما نراه اليوم في جامعات أوربا.

ثـم اختططـت لنفسـي طريقـاً آخـر في الحيـاة، فالتحقـت بمدرسـة القضـاء الشـرعي.. والحق أقول أنـه بـالرغم مـن نظـام المدرسـة وحسـن العنايـة بالطلبـة وحـرص القـائمين بأمرهـا علـى إخراج جيل يقـوم بإصـلاح القضـاء الشـرعي في مصـر، لم أجـد في المدرسة ما يرضى نزعتي إلى الحرية وحرية البحث.

لم أجد فرقاً كبيراً بين ما نتعلمه في مدرسة القضـاء ومـا نتعلمـه في الأزهـر اللـهم إلا في طريقـة التعلـيم وتنظـيم الحيـاة وترتيب التفكير. أما الكتب والمادة فهـي مـادة الأزهـر وكتـب الأزهـر.. وبعـض المدرسـين قـد اخـتيروا مـن الأزهـر إرضـاء للأزهريين. ولذا فإني لم أجد في المدرسـة مـا يتفـق مـع رغبـاتي المتطرفة.

وتركت مصر إلى استانبول، وكنت أعتقد أن استانبول قد سبقت مصر بمراحل في مضمار الحضارة والتقدم.. ولكني وجدت الأمر على عكس ذلك فالطرق في مصر خير منها في عاصمة الخلافة، والترام حتى سنة 1913 كان لا يزال يسير بالخيول لا بالكهرباء. ولم يكن في العاصمة التركية ما يسترعي النظر سوى الجيش، وقد ظهرت قوته واستعداداته في حرب البلقان التي انتهت بالقضاء على تركيا في أوروبا تقريباً.

ولقد يممت الهند بعد تركيا، فأقمت بها عشرة أشهر متنقلاً من مدينة إلى أخرى. ولقد رأيت بالهند ما لم أجد بمصر، فالمسلمون بالهند قد سبقوا المصريين في التأليف والترجمة إلى الإنكليزية.. ترجموا القرآن وتفسيره إلى الإنكليزية، ووضعوا كتباً قيمة عن الإسلام وتاريخه والدفاع عنه. وقد كان المصريون أولى بذلك، فهم أعرف بدقائق اللغة العربية من أخواننا الهنود. ورأيت من أهل الحديث في الهند عصبة ليس لها نظير في أيامنا الأولى..

على أن هنالك أشياء كثيرة في الهند لا تختلف عما كان في مصر.. فالبوليس السياسي يحصي على الناس أنفاسهم، والويل لمن يقع تحت أيديهم، وقد بلوت شرورهم تسعة أشهر كاملة أثناء الحرب الأولى.

لقد ضاق صدري من التفرقة في الهند بين الهنود والإنكليز حتى في النوادي والقطارات، مما لم يوجد له مثيل في بريطانيا.. فالمساواة تامة بين من تضمه بريطانيا من السكان، ولكن الهندي في بلاده يرى نفسه أقل منزلة من الإنكليزي.

وتركت الهند بعد إعلان الحرب الأولى، وكانت نيتي الرجوع إلى استانبول عن طريق العراق.. ولكن شاء القدر أن أحط رحالي بالكويت لأن الباخرة التي كنت أستقلها لم تتعد الكويت. وهنالك بالكويت، رأيت من الوفاء وحب التعاون بين الناس ما حببني في إطالة الإقامة بها. وبالكويت اشتغلت بالتعليم، فكنت بلا فخر الرائد الأول للتعليم بها، وإني لفخور أن أرى جيلاً وطنياً مخلصاً يشارك حكام بلاده في تحمل كثير من المسؤليات.

لقد شننت حرباً شعواء على الجهل والخرافات السائدة، وعلى سياسة الحكام الجائرة، وسياسة بعض الوكلاء السياسيين الذين تعدوا حدود وظائفهم من الإرشاد والإصلاح فاعتبرت العدو الأول للسياسة البريطانية، والحق أنني لم أكن إلا منتقداً لبعض التصرفات التي لا تتفق مع ما كنا نقرأه عن السياسة البريطانية، وبعض الموظفين البريطانيين لا يريدون منك إلا أن تكون خادماً لا صديقاً تصدقهم.

ثم سمع السلطان عبد العزيز بما أقوم به من الجهد في سبيل الدعوة إلى الحق في الخليج الفارسي، فأرسل إلي دعوة كريمة لزيارة الرياض.. وكنت قد تعرفت إلى جلالته عند زيارته للكويت أثناء الحرب العالمية الأولى. فلبيت الدعوة وهنالك عرض على جلالته الإقامة بالرياض لأكون بجانبه كمستشار في الأمور السياسية.. فترددت أول الأمر، ولكني قبلت بعد إلحاح على شرط أن أكون صديقاً أصدقه القول، وهو حر في قبول ما يعرض عليه. وقد قلت لجلالته مقولتي المشهورة المعروفة في جزيرة العرب: "إذا عاملتني كصديق وجدتني خادماً، وإذا عاملتني كخادم وجدتني ثائراً".

وأشهد أن جلالة الملك عبد الملك عبد العزيز عاملني طوال الثلث قرن كصديق وفي، كثيراً ما اتسع صدره لمناقشتي. وإذا كنت قد أطلت في خدمته، فذلك لأنني أحببته من كل قلبي.. فوجدت فيه الرجل العظيم الحكيم السياسي البارع والقائد المحنك.

تلك هي قصتي باختصار، لعلها تحفز الشباب إلى الوثوب، وإذا لم يسر الإنسان لم يصل إلى غاية، ومن جد وجد، ومن زرع حصد.

الحياة جديرة بأن نحياها!

للأستاذ محمد شفيق غربال

ولد محمد شفيق غربال بالإسكندرية في عام 1894 ، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا في سنة 1915. وأوفدته وزارة المعارف لدراسة التاريخ الحديث في إنجلترا ، فدرس في جامعتي لفربول ولندن وتتلمذ في الجامعة الثانية على أرنولد توينبي وقد فتحت له هذه التلمذة آفاقاً لا يتصورها بدونها. وقد قام بتدريس التاريخ بالمدارس الثانوية ، وبالمعاهد العالية وبالجامعة ، ولم تنقطع صلته بالتعليم حتى اللحظة الحاضرة ، حتى بعد تركه الأستاذية الرسمية وانتقاله وكيلاً لوزارة المعارف منذ سنة 1940.

علمت نفسي أن أتعلم من الحياة، أنها تستحق أن أحياها. ولا أدري على وجه التحقيق كيف ومتى، ولم بدأت ذلك.. أكان هذا لسعد الطالع ـ إن صح أنه كان سعيداً ـ أو كان لنوع المزاج الذي وهبته ـ إن كان هناك معنى لما يقال في أنواع الأمزجة وآثارها.. أو كان للبيئة السعيدة التي نشأت فيها. وربما كان هذا العامل الثالث أقوى ما أعدني لتعلم الدرس.

على أني أعلم علم اليقين أنني منذ أن وعيت ومنذ أن أخذت أنظر في نفسي وفيما حولي، ومنذ أن حاولت الوقوف على أسرار الأصول والمصائر، ومنذ أن جاهدت لأقيم أفعالي على أساس من المعقولية، ولأوجهها لغايات مفهومة، وأنا موقن بأن الحياة تستحق أن أحياها، وأن نظرتي هذه إليها خليقة بأن تكون دستور سلوكي في فترة العمر، وأن ينظم على أساسها ما بيني وبين الناس.

ولا أستطيع أن أزعم أن لهذه النظرة للحياة قيمة فلسفية أو مذهبية.. ولذا فإني لم أحملها ولا أحملها أكثر مما تطيق. ولم أتخذ منها يوماً ما وسيلة لتفسير أصل أو مصير. ولكنني وجدتها تقبل صحبة غيرها من المذاهب طيعة معتدلة، وتتمشى مع ما في الوجود من الخير الكثير والشر المستطير، ولا

تناقض الرأي القائل بالارتقاء أو الآخر الذاهب إلى أن الخراب قضاء محتوم أو الإيقان بأن الكون يخضع لنظام، وإن كان قدر البشرية فيه ضئيلاً - أو على الأقل - غير واضح المعالم.

ولم أجد - من ثم - دستوراً خيراً من الإيمان باستحقاق الحياة للحياة. ولم أجد أحسن منها مثلاً لفكرة "الوسط المذهبي" الذي تحدث عنه اليونان أو كما نقول "خير الأمور الوسط"، إذ هي لا تسمح للنجاح بأن يدفع الإنسان في طلب المستحيل، ولا تمكن الفشل من التعطيل، فلا زهو ولا بطر ولا إفراط ولا تفريط، تقبل الناس على ما هم عليه، ولا تطلب منهم ولا تطالبهم بما هم عنه عاجزون.

*

ولم أتعلم الدرس من حياتي أنا بالذات وحدها، ولا من حياة جيلي وحده.. بل كان معلمي الإنسانية، كما احتوتها دنيا التاريخ وجعلتها دنياي.. أعمارها عمري وأجيالها جيلي، وناسها أجمعون معاصري.. فلم أهتم بدنيا الطبيعة، ولا بالإنسان العاري ذي الظفر والناب.. بل كان إنساني الإنسان الناشئ في عشيرة تكفله ببرها وحنانها، تطعمه وتكسوه، وتقيه الغوائل، وتلقنه معارفها، وتكسبه آدابها وشرائعها،

وتربط مصيره بمصيرها.. ومن هذا السجل المبسوط تعلمت أن الحياة تستحق الحياة.

وطريقتي تجري على قاعدة الجمع بين الاتصال والانفصال.. فأتصل بشؤون الحياة أحياناً، وأنفصل عنها أحياناً أخرى أو يكون الأمر مزيجاً من الخطتين، وهذا كله أرضاء للضمير، أو تحقيقاً لمنفعة عامة، أو درءاً نشر. والدافع الأكبر في جميع الحالات هو أن أحفظ حقي إنساناً مسئولاً محاسباً مع ما يؤديه من خير وما يقترفه من شر، وأن أؤدي حق العشيرة علي.

وقد قرأت ما حكاه أديب عن جماعة القنافذ، كانت إذا التصق آحادها طمعاً في الدفء أو دفعاً للأعداء آذتها جميعاً أشواكها، وكانت إذا تباعدت فقدت الأمن والحرارة.. فكان عليها أن تسوي ما بين القرب والبعد، ما بين الاتصال والانفصال.

ولا يستطيعن أحد أن يرسم حدودهما رسماً دقيقاً، وأن يعين لكل ظرف ما يناسبه.. فلابد من ترك تقدير كل هذا الفرد، إلا أنه في سبيل الكشف عن الطريق وتبين المنهج الصالح، لا يستغني عن درس سير الرجال. ولقد أدركت ذلك

عندما انتهيت من دراستي الثانوية، فاخترت أن ألحق بمدرسة المعلمين على كره من يهمهم أمري لهذا، وكان أساس اختياري أنها كانت، مع التزامها بإعداد المعلمين في أضيق الحدود، المعهد الوحيد في مصر إذ ذاك الذي يصلني بالدراسات الإنسانية. وتم لي أن مكنتني المدرسة، من متابعة تلك الدراسات على نطاق أوسع في المعاهد الخارجية، وتهيأ لي بذلك الإطار الذي أعمل فيه مواطناً مصرياً، وإنساناً جاداً في أن يجعل حياته جديرة بأن يحياها.

حدد أهدافك

للأستاذ أميل زيدان

ولد السيد أميل زيدان عام 1893. وحاز شهادة الدراسة الثانوية في مصر ثم شهادة بكالوريوس علوم من جامعة بيروت الأمريكية ، ثم ليسانس الحقوق. وقد والى إصدار مجلة "الهلال" بعد وفاة والده سنة 1914 ، ثم أسسا بالاشتراك مع أخيه الأستاذ شكري زيدان عدة مجلات أسبوعية وشهرية. منها كتاب الهلال وروايات الهلال والمصور والاثنين والكواكب وإيماج الفرنسية كما أسسا قسماً ثقافياً بدار الهلال لإصدار الكتب والمجلات الثقافية الأخرى.

أستطيع اليوم ـ وقد أشرفت على الستين ـ أن ألقي على تجاربي نظرة فاحصة تتضح معها المبادئ التي اعتمدتها فيما أنجزت من عمل، والعبر التي خرجت بها من تلك المعركة المتصلة التي نسميها "الحياة"..

كان والدي معلمي الأول.. ولم أنس يوماً قصة رواها لي وأنا حدث، فرسخت في ذهني من ذلك الحين وأعانتني في أحرج الأوقات. قال: "ركب جندي بريطاني حماراً في طريقه إلى ثكنته بالعباسية.. وكانت الحمير من وسائل الانتقال المألوفة. وكان صاحب الحمار وهو يعدو خلفه يوجه إليه ألواناً من السباب ثقة منه أن الجندي لا يفقه شيئاً من هذه الألفاظ.. ولكن أحد المارة استوقف الجندي، وقال له: أتدري ما يقوله صاحب الحمار؟ إنه يسبك ويصفك بكذا وكيت.. فما كان من الجندي إلا أن سأله: وهل هذه الألفاظ تمنعني من الوصول إلى الثكنة؟ قال: لا طبعاً.. فقال: إذن دعه يقل ما يشاء فإنما يهمني أن أصل إلى حيث أريد".

تعلمت من هذه القصة أنه ينبغي للإنسان أن يعرف هدفه، فإذا عرفه وحدده مشى إليه في ثقة واطمئنان دون التفات إلى ما يعترض طريقه من المنغصات والمثبطات.. فليس

النجاح بعيد المنال بالقدر الذي يراه شباب اليوم، وإنما سبيله الأكيد تحديد الهدف وتسخير الوسائل الفعالة لبلوغ ذلك الهدف، ويندر أن تجد شاباً يعرف ما يريد ويصرف له جده ونشاطه دون أن يصل يوماً إلى الغاية التي ينشدها. وإنما يفشل أولئك الذين يريدون الغايات الجميلة دون أن يبذلوا في سبيلها ما تقتضيه من جهد، ينفق بلا حساب، وعرق يتصبب يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة.

ثم إن طاقة الإنسان محدودة، فما يصرف منها في الكلام والنقاش أو في الغل والحسد والبغضاء، إنما يسقط من حساب العمل الذي يستطيع إنجازه.. ومن ثم ندرك حكمة عمر بن الخطاب إذ قال: "إذا أراد الله بقوم سوءاً سلط عليهم الجدل ومنعهم العمل".

أصدق نفسك

وثمة حكمة كان لها الأثر الأول في حياتي، وهي قول شكسبير في رواية هملت (بشيء من التصرف): "أصدق نفسك تصدق الناس جميعاً". فالإنسان أبرع من خداع نفسه منه في خداع الناس. ومن راض نفسه على مواجهة الواقع ـ مهما آلمه ـ فقد تسلح بأفعل الأسلحة في نزاع الحياة..

وقد يبدو من السهل أن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه، ولكنه من أشق الغايات ولا يتأتى إلا بالمران الطويل. فالإنسان نزوع بطبعه إلى تصديق ما يريده والاقتناع بما يريح ذهنه. أما مواجهة الحقيقة المرة، وأما مجابهة الواقع المؤلم.. فدون ذلك ترويض شاق للفكر وتطبيع طويل الأمد لنزعات النفس.

أعذر الناس

وحكمة أخرى كان لها أبلغ الأثر في حياتي، وهي القول المأثور: "أعقل الناس أعذرهم للناس" فالحوافز الأساسية تكاد تكون واحدة في البشر. وإنما يختلف فريق منهم عن فريق باختلاف الأحوال التي نشأوا فيها، فمن أعسر العسير على من عاش في بحبوحة النعمة أن يحس ما يحسه المعوز الذي لا يحصل على ما يتبلغ به إلا بشق النفس.

وقد يكون من التعسف ــ أو في الأقل من التفكير البدائي ـ أن تقام حدود تفصل بين طوائف الناس.. فالفروق بين الأخيار والأشرار، وبين العقلاء والمخبولين، وبين الصادقين والكاذبين إلخ.. ليست بالقدر الذي يبدو لأول وهلة. وفي كل منا عناصر ــ بنسب متفاوتة ــ من تلك النزعات جميعاً. ولو كان أحدنا مكان من نسميه شريراً أو مخبولاً أو كاذباً

وتأثر بما تأثر به منذ نشأته، لما تصرف في الغالب إلا كما تصرف ذلك الرجل الذي يزدريه..

وقد تعلمت من الحياة أن نصيب الفكر والمنطق من أعمال الناس أقل بكثير مما يدعون.. فهم مسيرون بغرائزهم ومصالحهم في المقام الأول، ولكنهم يحتالون على الفكر والمنطق لكي يستسيغوا ما يفعلون، ولكي يستسيغه أيضاً سائر الناس..

تسامح مع المرأة

وأود أن أقول كلمة عن المرأة فهي نصفنا الذي لا غنى لنا عنه، ولعلي أغضب فريقاً من السيدات فيما أنا قائله، ولكني أقوله وأمري لله: من الخطأ - بل من الظلم في نظري - أن يعامل الرجل المرأة على نفس القواعد التي يعامل بها زملاءه من الرجال.. فنظرها إلى الحياة غير نظره ومنطقها غير منطقه، ولا ريب أن أنوثتها تسيطر على حياتها، كما أن تصرفاتها مطبوعة على الدوام بطابع عواطفها وانفعالاتها.

على أنه ليس فيما تقدم ما يهبط بمكانة المرأة.. وإنما ينقص من شأنها أن تعتقد أنها صورة ثانية للرجل. فقد جعلت لها الطبيعة مجالاً لا يقل شأناً عن مجاله، والأمر الأجل أن تعرف حدود هذا المجال فلا تتعداها.

وإذا أدرك الرجل هذه الحدود ، أمكنه أن يكون على أتم الوفاق مع المرأة.. وخصوصاً إذا تمسك بالقاعدة التي وضعها أوسكار وايلد ـ وأن يكن فيها بعض المغالاة ـ وهي أن المرأة قد جعلت لكي يحبها الرجل لا لكي يفهمها.

*

هذه طائفة من العبر التي خرجت بها من حياتي الماضية.. ولو عشت عشرين سنة أخرى وسئلت مثل السؤال الذي أجيب عنه اليوم، فهل يا ترى أجيب بمثل ما أجيب؟

لست أدري. فقد علمتني الحياة أيضاً ألا أومن برأي ـ أياً كان ـ على أنه حقيقة غير قابلة للتعديل، فسنة الحياة الأولى النمو والتجدد.. والعاقل من فهم هذه السنة ، فكان دائماً مفتح الذهن مستعداً لتقبل كل رأي جديد.

حقائق وأوهام

للأستاذ محمد رضا الشبيبي

ولد السيد محمد رضا الشبيبي في النجف في أواخر العقد الأخير من القرن الماضي بين أبوين ينتمي كل منهما إلى أسرة علمية. وفي تلك المدينة نشأ ودرس وفق برامج المعاهد العلمية الأهلية ، وقد ولدت مع الشبيبي موهبته الشعرية الموروثة عن الآباء والأجداد ، وقد عنى بالسياسة في مقتبل أيامه ، وانخرط في سلك غيرٍ هيئة من الهيئات السياسية العاملة وانتخب رئيسا لبعضها ، وأسند إليه بعد ظهور الدولة العراقية منصب الوزارة خمس مرات ، وانتخب عضواً في كل منٍ مجلسي الشيوخٍ والنواب غير مرة ، ورئيساً للمجلسين ، وعضواً في مجلس النواب.

امتازت المرحلة التي انتقل إليها العالم ـ في أعقاب الحرب العامة الأولى ـ بأحداثها الجسيمة. وقد جاءت أحداث الشرق العربي منها متشابهة في طبيعتها، وفي مقدماتها ونتائجها السياسية والاجتماعية في العراق ومصر والشام.

غلب على الأمة العراقية شعور عام بضرورة الخروج من عزلتها، والاتصال بالعالم للتعريف بأمانيها ومطالبها المشروعة. غلب هذا الشعور على الأمة في تلك الفترة بعد إجراء استفتاء عام في البلاد، من أجل تقرير المصير، واختيار الوازع وتعيين شكل الحكومة... وهو استفتاء أسفر عن طلب الحكم الذاتي والاستقلال. ولم يكن لي مفر من القيام برحلة إلى بلاد العرب وما إليها في الفترة المذكورة كان الفج عميقاً، والسبيل مخوفاً، ووجوه الرفاق متنكرة غريبة.. بيد أننا تغلبنا على هذه الصعاب. قطعنا الفجاج على ظهور النجائب، فرضنا أنفسنا على تحمل المشاق، وهجمنا على المخاوف فغنمنا الأمان، وتمادى السفر فزالت الوحشة، وحل محلها صادق الود والإخاء.

كنا في حلنا وترحالنا نشعر بأننا خلقنا خلقاً جديداً، وأن الدماء المتدفقة في عروقنا دماء حية.. ذلك أن الحياة تريد أن تراك مقداماً مخاطراً بالنفس والنفيس، لا تتردد في اقتحام

الأهوال كلما اقتضى الأمر ذلك. أضف إلى هذا تجارب وخبرة اكتسبناها في شؤون الناس وطبائع الشعوب.

كنا في العراق مأخوذين بما نسمعه عن ثورة العرب في الخارج، وعن النجاح الذي أحرزه القادة الثائرون في بعث الدولة العربية المرجوة.. رايات قومية تنشر، بعد طي طويل، وكيان سياسي مرموق، وحكام تجري في عروقهم دماء عربية، إلى روايات أخرى جذبتنا جذباً إلى الوطن العربي الأكبر تحدونا آمال جسام في الحصول على معونة إيجابية لهذا البلد المنكوب باحتلال الإنكليز. وسرعان ما صدمتنا الحقيقة المرة صدمة أشعرتنا بأننا كنا مسرفين في التفاؤل، مسترسلين مع الخيال، مخدوعين بالأقوال.. فإذا الحركة في الديار الحجازية يخيم عليها الجمود، وفي الشام لاحظنا ــ والحق يقال ــ بعض مظاهر الوعي والنشاط، ولكنه نشاط محدود بحدود الزمان والمكان. أما الدولة الهاشمية هناك، فتنقصها مقومات الدول.. إذ لا جيش ولا سلاح، كما ثبت بعد ذلك في المعركة التي دارت رحاها بين السوريين والفرنسيين. والأنكى من ذلك أن الكثرة الكاثرة في لبنان لا تؤمن بالوحدة القومية، بل تطغى عليها نعرة إقليمية تحقد على العروبة، وتؤثر الانفصال على الاتصال، فمن العبث أن تحمل هؤلاء العرب الثائرين مالا يطيقون.

من ذلك الحين، وبعد انجلاء الموقف عل هذه الصورة، اتجه العراقيون وجهة أخرى في مناجزة الإنكليز، وجهة امتازت باستقلالها، وعدم اتكالها على معونة ما من خارج البلاد.

سقت هذه الأقطار جهودها، ووحدت صفوفها، فحالفها النجاح قبل أكثر من ثلاثين سنة، فصارت دولاً مستقلة ذات سيادة باعتراف الدول الكبرى في الظاهر و"دساتير" أو "قوانين أساسية" عليها مدار الحكم في البلاد. واليوم وقد مضى على ذلك ردح طويل من الزمن، يلاحظ تضاؤل ذلك الشعور الشريف، وانكماش روح التضامن والإخاء، وفقدان الطمأنينة والاستقرار.. فبماذا يعلل فشل التجربة في بعض هذه الأقطار؟

لقد دلت التجارب على أن الأمم الفتية تستطيع بسهولة تنسيق جهودها وتوحيد صفوفها في مجابهة الحكم الأجنبي السافر.. ولكن لا يسهل عليها ذلك إذا موه الحكم المذكور، وطلى ببعض المظاهر الوطنية الخلابة. ففي ظل كثير من هذه المظاهر الأخاذة تتصدع الصفوف وتتضاءل روح التضامن والاتحاد، ويتبلد الشعور، ولا تؤخذ هذه الشعوب ولا تغلب على أمرها إلا بمثل هذه الأشراك والأحابيل، فويل للمخدوع وويل للضعيف.

تعاقبت علينا بعد ذلك في العراق وخارجه غير الليالي، وتصاريف الزمان، بين شدة ورخاء، ويأس ورجاء، وخوف واطمئنان.. وقدر لي أن أنال بعض أوطار النفوس ومطالبها، نلتها بالترفع عنها والزهد فيها، لا بالإسفاف إليها، أو التهالك عليها، كما يخيل إلينا في كثير من الأحيان.

صوبت إلى مقاتلي سهام مسمومة أخطأت أغراضها.. فإذا بأديمي هذا وهو أديم سليم من المطاعن والجراح، وذلك بفضل نوع من الإلهام أو البصيرة بدخيلة هذه النفوس. وهكذا تعلمت أن البصيرة النافذة، وأن الحذر والاحتياط من أمنع المعاقل والحصون في معترك الحياة.

الولد سر أبيه

للدكتور إبراهيم مدكور

ولد في فجر هذا القرن في قرية تعتبر ممتازة بين قرى الريف المصري ، لقربها من العاصمة واشتغال أهلها بالتجارة ، وهي قرية "أبو النمرس" من أعمال الجيزة. التحق ــ وهو في الثانية عشرة من عمره ــ بالأزهر. وانتقل منه بعد ثلاث سنوات إلى مدرسة القضاء الشرعي ، متابعة لدراسة دينية مستنيرة ، ثم امتد به الشوط إلى مدرسة دار العلوم. ثم سافر في بعثة إلى باريس ، حيث درس الفلسفة والقانون ثم اختير لتدريس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة. وفي عام 1937 ، فاز بعضوية مجلس الشيوخ ثم اختير وزيراً ثم عضواً بمجلس الإنتاج.

لا أظن أن هناك درساً أبلغ من دروس الحياة، وهي كثيرة، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار.. ويمكن أن يقاس النجاح بمدى الانتفاع من هذه الدروس. وإذا صح أن هناك حياة طويلة عريضة وأخرى قصيرة ضيقة، فالفرق إنما يرجع إلى مقدار التفاعل والتجاوب بين الفرد وبيئته الجغرافية والاجتماعية.. تطول حياته إذا ساهم في شتى الأحداث المحيطة به، وكان له فيمن حوله أثر، وتقصر إذا عاش في نفسه ولنفسه.

وقد علمتني الحياة، وعلمتني كثيراً.. وأكتفي بأن أشير إلى درسين اثنين من دروسها. أولهما أن الجانب الشخصي يكاد يختفي وراء كل عمل، ولولاه ما دفعت المشروعات الدفعة التي تخرج بها إلى حيز الوجود. يكتب الكاتب، ويدعو الداعي، ويخترع المخترع، وينفذ الصانع.. ولكل من نفسه حافز ومن شخصه هدف. وهناك من يقر لها علانية، وآخرون يحرصون على أن يصقلوها ويخفوها عن الناس، والأمر صادق على الشؤون العامة صدقه على الأعمال الخاصة.. فالقادة والزعماء لا ينسون أنفسهم، وإن بدا من أمرهم أنهم وهبوا كل شيء للصالح العام.

أنا لا أزعم أن الحياة بنيت كلها على الأثرة.. ولكني أذهب إلى أن الإيثار يستر وراءه قسطاً من المصلحة الذاتية، وهذا طبيعي ما دمنا نتحدث بلغة البشر. فلنقبله إذن على علاته، ولنقم دعواتنا الإصلاحية على أساس من التشويق والترغيب والنفع الخاص، إن كنا نريد لها نجاحاً. وليس ثمة سبيل أهدى لاستقامة الأمور من أن نلائم بين المنازع الذاتية والمصالح العامة.

ومن الخطأ أن ننتقص البواعث الشخصية لذاتها، فهي قوة ما أحوجنا إليها.. وفي الاعتراف بها ما يكسبها ثقة، ويدفعها إلى أن تعمل في وضوح، فنكشف عن سرها ونتقي خطرها، وإلا لم يعز عليها أن تجد سبلاً إلى التغرير والمواربة. وأشهد أن كثيراً من المشروعات العامة لم يأخذ بيده إلا دافع شخصي وعامل خاص.

والدرس الثاني هو أن السرية المطلقة في الأعمال والأقوال متعذرة إن لم تكن مستحيلة.. نحتاط لتصرف ما ونخفيه ونسمع الخبر ونكتمه، ولكن لا نلبث أن نراه منشوراً.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن الغريب أن أكثر الناس حرصاً على الكتمان قد يكونون أشدهم مساهمة في إذاعة السر، ويستوى هنا أيضاً شؤون الأفراد والجماعات، فأهل الفضول يظهرون بواطنها ويكشفون خفاياها.

وليتنا نستحضر هذا دائماً أمام أعيننا.. فنقيس أعمالنا بمقياس الجهر والعلانية، ونتقي ظلم الخفاء وظلماته. وكم من رذيلة ترتكب تحت ستار الجهل، ولو أحس المقدمون عليها أنها ستعرف لترددوا كثيراً في ارتكابها، ومن لهم بالجماهير صلة أحوج إلى استذكار ذلك أكثر من غيرهم.

لا يأس مع الحياة!

للسيدة الدكتورة درية شفيق

حصلت الدكتورة درية شفيق على درجة الدكتوراه في الآداب من السوربون بباريس ، ولم تكد تعود إلى مصر حتى غامرت في ميدان النهضة النسائية عن طريق تأسيس جماعة "بنت النيل" التي تنادى بوجوب حصول المرأة المصرية على حقوقها السياسية. وهي تصدر إلى جانب ذلك مجلة "بنت النيل" التي تدافع عن آراء هذه الجماعة ، ذات النشاط الملحوظ في ميدان النهوض بالمستوى الصحي والاجتماعي للمرأة المصرية.

إن الـدرس الأول الـذي لقنـتني إيـاه الحيـاة هـو أن أؤمـن إيماناً مطلقاً بأنه لا يأس مع هـذه الحيـاة، وأن النصـر فيهـا لمـن يطـب لهـا ويعـالج أمورهـا.. والأمـل يحـدوه والصـبر درعـه في الكفاح والنضال.

وقد علمتني الحيـاة أن أصبر وأصـابر.. وأذكـر أنـي حـين سافرت إلى باريس لاستكمال دراسـاتي في جامعـة السـوربون، كان ذلك أمراً غير مستساغ ولا مقبول مـن الـرجعيين الـذين لا يؤمنون بتعليم البنت، ويرون أن مكانها في البيت وحده، وقـد لقينـا في سـبيل اسـتكمال علومنـا هجومـاً وحملـة شـعواء، فصبرنا على الأذى وتجملنا بذلك الصبر القوي الذي يدفع المرء إلى بلوغ المنى في أناة وإيمان.

لم أعرف اليأس في حياتي لأن اليـأس يولـد الهزيمـة، وقـد علمتني الحياة أن الإنسان على قدر ما وهبه الله من قوة إرادة، يتحكم بها في مصيره بحيث يتخطى المصاعب والملمات، ويبلغ الأرب دون أن يهـون أو يسـتخذي. وأذكـر أن عشـرات قبلـي أنشأن صحفاً للنساء.. فلما عزمت على أن أجعل للمرأة المصرية لسـاناً بإنشـاء مجلـة بنـت النيـل خـوفني الكـثيرون مـن فشـل الكـثيرات اللائـي حـاولن قبلـي هـذه المحاولـة، غـير أن الحيـاة علمـتني أن الإرادة القويـة لـن تظهـر إلا إذا أخـذنا مـن الفشـل وسيلة للنجاح الأكيد.. وقد كان والحمد لله.

ويعجب مواطني أن لي زوجاً وطفلتين، وأنني أستطيع، بالرغم من المسؤوليات الملقاة على عاتقي نحو قضية المرأة المصرية، أن أؤدي واجباتي كزوجة وأم، ونسوا أن الحياة علمتني أنه بقليل من حسن التصرف يستطيع المرء أن يوائم بين الخصوصيات والعموميات، وأن ينجح في كلتيهما ولا يصيبه أي فشل. وحسبي أنني بالرغم من جهادي في المسائل العامة لا يزال بيتي يستمتع بحياة الزوجية السليمة وتشع فيه الأمومة، كما أحب أن يكون نظيرها موجوداً في كل بيت مصري.

إن الحياة لا تمر بنا أو نمر بها سهلة مواتية.. فكل ساعة تصدمنا متاعبها، وتقض مضاجعنا مشاكلها، وتأتي ملماتها أحياناً كالطوفان فيغرق الأكثرون فيه، وينتهي أمرهم إلى أسوأ مصير. وهنا تعلم الحياة الأحياء أن الهدوء وضبط الأعصاب هما وحدهما سلاح يحارب به العاقل تلك الفواجع والملمات، حتى ينتصر ويخضع التيارات المختلفة إلى توجيهه ويسيطر على الأمور حتى يبلغ غاية النصر والتوفيق.

لقد بدأ اتحاد بنت النيل رسالته في موجة عاتية من السخط على كل جديد، وتآزرت هيئات مختلفة على القضاء على رسالتنا والحيلولة دون تحقيق أهداف المرأة المصرية

الحديثة ومساواتها بالرجل في الشؤون السياسية والاجتماعية مساواة مطلقة غير معلقة على شرط.. ولكننا بحسن السبك وموالاة الجهاد، استطعنا أن نشطر جبهة الخصوم بالمنطق والعمل المثمر المفيد. واستطعنا بالحكمة والهدوء والصبر أن نأخذ إلى جانبنا كثيراً من الهيئات المتنورة، حتى أصبح خصومنا قلة وأصبحت خصومتهم لنا في أضيق الحدود..

لقد علمتني الحياة أن ألبس لكل حالة لبوسها، وأعالجها بالدواء الذي يناسبها.. فلم أجعل كفاحنا تهريجاً، بل رسمنا الخطوط وعيَّنا الأهداف، وسرنا بانتظام نحو تحقيق رسالتنا. فقطعنا شوطاً بعيداً نحو الهدف المنشود، وأصبحت الدولة تفكر تفكيراً جدياً في أن يكون للمرأة المصرية نفس النصيب الذي قررته للرجل في الشؤون السياسية العامة. ولولا النظام والدأب والعمل، لما قربنا من أهدافنا أو بدت لنا تباشير النجاح. وأذكر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أن الحياة علمتني أن أعتمد في كل عمل من أعمالي الخاصة والعامة على نفسي، فالاعتماد على النفس صفة القادرين.. والقدرة لا تأتي إلا من ذات نفسك. ولعل صفة الاعتماد على النفس هي خير ما علمتني الحياة، فقد بدأت وحدي معتمدة على نفسي، وانتهيت اليوم إلى أن اعتمادي على نفسي كان وحده الكفيل بنجاحي

وبلوغي أقصى ما أتمناه من نجاح. وحسبي أن وقفتي وحيدة في الميدان منذ ثماني سنوات قد انتهت إلى جبهة قوية من النساء القادرات الفاضلات، كادت أن تصل اليوم إلى الهدف الرفيع الذي سعيت إليه معتمدة على الله ثم على نفسي.

الحرية وهبت لي السعادة

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

ولد في سنة 1893 وبدأ دراسته المضطربة في المكتب ثم المدرسة ، إلى أن تخرج في سنة 1914 في مدرسة المعلمين العليا. وقد تنقل في وظائف التعليم المختلفة حتى عين عميداً لمعهد التربية بالقاهرة ، إلى أن صار وكيلاً مساعداً لوزارة المعارف ثم مستشاراً لها ، واختير عضواً في مجمع اللغة العربية ، ومنح في عام 1952 جائزة الدولة في القصة.

أعظم التجارب وأشدها أثراً في النفس هي التي تنشأ من حوادث صغيرة في أيام الطفولة. وليس من السهل على طفل أن يتفتح عقله إلى معاني الحياة مبكراً، ولكن هذه المعاني التي يتفتح لها عقله في صغره تكون أساس حياته.. وهذا ما كان نصيبي من الحياة.

كنت أول ولد يعيش لأبوي، ولم يرزقا ولداً آخر إلا بعد أن صرت صبياً يافعاً. وقد داخلني من معاملتهما الكريمة شعور بأنني عضو مهم في الأسرة، وأنني شريك في تحمل مسؤولياتها. وكنت ألمح في حياة أسرتي صورة غامضة، جعلتني أعرف أن هناك فرقاً بين أسلوب الحياة في بيتنا وأسلوب الحياة في بيوت أعمامي وأخوالي.. كما كنت ألمح أن والدي كان يعاين أزمة شديدة، ويجاهد في مواجهتها جهاداً عنيفاً.

وفي يوم من الأيام تحدثت إلى أبي في حماسة الطفولة عما رأيته عند أبناء عمومتي من اللعب والمتع. ورأيته يصغي إلي في شيء يشبه الدهشة والحزن.. وما كدت أفرغ من حديثي حتى وجدته يمسح رأسي وهو صامت، وأحسست أنه كان شديد التأثر، وسألني في رفق: "أأنت حزين لأنني لا أهدي إليك مثل هذه الأشياء؟" وشعرت عند ذلك بشيء لا أستطيع وصفه بلغة الكبار.. كان مزيجاً من الأسف والعطف والاحترام. وقلت في

حماسة: "أبداً" ولأول مرة في حياتي أخذت أراجع نفسي في قيمة الزخارف التي تفرق بين أسلوب حياتي، وأسلوب حياة الآخرين، وأعتز بالحالة التي أنا فيها.

وأظن أنني مدين لتلك اللحظة في أنني صرت فيما بعد أميل دائماً إلى التقليل من قيمة المظاهر والمتع الكمالية.

وكان لي ابن عم يكبرني ببضع سنوات وهو عزيز عند أمي، كأنه ولدها.. وكانت تمازحني أحياناً قائلة: "إنه أحب إلي منك، لأني رأيته وأحببته قبلك". وكانت قد نذرت له عندما كان في سن السابعة وكنت طفلاً رضيعاً، أنني إذا كبرت وبلغت سن السابعة مثله جعلتني له خادماً أسوق له حماره. فلما بلغت السابعة أرادت أن توفي بنذرها، فدعت ابن عمي وأعدت له دابة ليركبها وحزمتني كخادم وأعطتني عصا وأمرتني أن أسوق له الدابة.

وأطعتها كما تعودت أن أطيعها، ولكني بكيت بكاء مراً بعد ذلك سائر يومي، برغم اعتذار أمي ومواساة أبي. وبغير أن أحس وجدت نفسي أفكر: هل أنا أقل شأناً من ابن عمي؟ وعلى أي أساس يفضل بعض الناس على بعض وأعتقد أن الأسئلة التي بدأت أوجهها إلى نفسي عند ذلك هي التي فتحت لي بابا واسعاً لأسئلة كثيرة أخرى عن الناس وعن الحياة.

كنت دائماً أسأل، وكنت دائماً أفتح عيني لأرى. وكان المعنى الغامض الذي تدور حوله أسئلتي هو معنى العدالة في قياس أقدار الأشخاص وفي معاملة الناس بعضهم مع بعض وفي يوم من الأيام عندما كنت شاباً في الثامنة عشرة من عمري، خرجت كعادتي إلى جانب نهر النيل لأتنزه وفي ذهني أسئلة كثيرة: ما هذه الحياة؟ ما معناها وما غايتها؟ وما هؤلاء الناس؟ كيف تكون السعادة؟ وكيف تكون العدالة؟ وهل الحظوظ عادلة؟ وكانت ساعة من أصيل يوم من أيام الصيف وماء النهر الأحمر يتدفق زاخراً بالفيضان.. ووقفت أنظر إلى اللجة المضطربة، وسرحت بأفكاري في أسئلتي الحائرة.. فلمحت على وجه الموج عوداً يتقاذف به الموج. فشعرت كأن أسئلتي الحائرة تجتمع كلها عند ذاك العود المضطرب، وغبت في تأملي. وما زلت حتى صحوت من سرحتي وقد حددت لنفسي فلسفة خاصة كان لها أثر عظيم في توجيه حياتي: الحياة زائلة والناس يشبهون هذا العود الذي يتقاذف به الموج. هم يأتون إلى الحياة بغير إرادتهم ويذهبون عنها بغير إرادتهم. ولو جردناهم من مظاهرهم التي يخلقونها بأنفسهم لأنفسهم لعرفنا حقائق أقدارهم. وهذه المظاهر التي يخلقونها لا قيمة لها أمام الحقائق الأبدية. وما دامت الحياة هكذا، فما قيمة هذه

الأغراض التي يتطاحن الناس عليها؟ الناس يتطاحنون ليشقوا، والأمم تتطاحن لتشقى، وسبيل السعادة واضحة إذا فطن البشر إليها.

نحن نمر في الحياة تأدية لواجب الوجود.. فلا ينبغي أن نعقد وجودنا بالخروج عن اتجاهاتنا الإنسانية التي تفضي إلى السعادة، وهي في متناول أيدي البشر إذا شاءوا. هي في داخلهم لو تجردوا من الأنانية والحرص والظلم، واتجهوا إلى التعاطف والتعاون والخير والرحمة والعدالة.

وكان لهذه الفلسفة أثر حاسم في توجيه مسلكي مع نفسي ومع الناس.. فأنا أومن بأن أفضل الناس هو أجدرهم بالإكبار، وأن أقواهم هو الذي يمد يده إلى الغير بالمساعدة، وأن أقلهم قدراً هو الأناني الذي يزاحم لكي يخطف ما ليس من حقه، وأما أحقرهم فهو الذي يتعدى على الآخرين.

وقد أخذت نفسي بفلسفتي أخذاً صارماً.. فأذكر أنني عندما تخرجت في مدرسة المعلمين العليا عرضت على بعثة إلى إنجلترا. وكانت البعثة عند ذلك هي السبيل الوحيد إلى الرقي في وظائف التعليم.. ولكني رفضت تلك البعثة بغير تردد، لأن قبولها ينطوي على أنانية، إذ كان والدي شيخاً كبيراً،

وكان سفري يعرض أسرتي للحرج. ورضيت بأن أشق طريقي في الحياة مجاهداً بغير سند من الغير. وكنت سعيداً بأن أكون والداً لأخوتي عندما توفي والدي.

وقد كانت هذه الفلسفة نعمة كبرى عندي، لأنها حررتني من قيود تستعبد الكثيرين من الناس. وجدت فيها حريتي من الشعور بأني لست مديناً لأحد بغير الصداقة الخالصة، ووجدت فيها حريتي من الرغبات والأطماع الجامحة التي تضلل العواطف، ووجدت فيها حريتي من المخاوف التي تضلل الناس عن طريق الحق.

ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الفلسفة وهبت لي السعادة الممكنة على هذه الأرض، لأنها وهبت لي التحرر من نفسي، وجعلت لي في أعماقي صديقاً وفياً.. وهو ضميري الذي لم يخذلني في يوم من الأيام مع كثرة الشدائد التي اعترضت سبيلي.

وكل ما أتمناه الآن أن أجعل أبنائي يدركون قيمة هذه الحرية التي وهبت لي السعادة، ويعملون على أن يكونوا من أنصارها. ولهذا كنت عظيم السرور عندما أتيحت لي الفرصة لأن أكتب هذه السطور.

الإرادة تحقق المستحيل

للأستاذ طاهر الطناحي

تخرج في مدرسة دار العلوم "كلية دار العلوم بجامعة القاهرة الآن" وتعلم اللغة الإنجليزية وترجم عنها شعراً ونثراً ، كما درس الفرنسية ، وهوى الصحافة منذ كان تلميذاً وقد مارسها لأول مرة محرراً بمجلتي المصور وكل شيء. ثم اختير سكرتيراً لمجلة الهلال مع عمله في التحرير ثم رئيساً لتحرير مجلة الدنيا المصورة فمديراً لمجلة الهلال. وهو الآن فوق عمله في الهلال رئيس تحرير ثلاث مجلات أخرى من مجلات دار الهلال. وله عدة مؤلفات طبعتها دار الهلال ودار المعارف وهو في الرعيل الأول من كبار الصحافيين المبدعين.

علمتني الحياة كثيراً، واستفدت من تجاربها الكثير.. ولكنني لا أزعم أنني تعلمت منها كل شيء، فالحياة خضم واسع، ومدرسة عظيمة لا تنتهي دروسها، ولا تقف عند حد، وكلما تعلمت منها شيئاً احتجت إلى تعلم أشياء ورأيت علمي بجانب ما في الحياة يعد جهلاً على حد قول الإمام الشافعي:

كلما أدبني الدهـ ـر أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي

ومع ذلك فلست بظالم نفسي، ولا أنسك نسكاً شافعياً، وإني أقو بقول أبي تمام:

لقد جربت هذا الدهر حتى أفادتني التجارب والعناء

الحياة كثيرة الفرص

لقد أخذت بقسط من علم الحياة، وأفادني ما تلقيته في تجاربها من دروس، وكان أول درس تعلمته ـ وأنا صبي ناشئ ـ درس في الصبر والجلد والثبات أمام الصدمات والمحن التي لا تفرغ الحياة منها، وهذا الدرس كان له أثر في حياتي كلها.

ولعلك تعجب إذا قلت لك أن هذا الدرس كان درساً من الفشل الذريع في صناعة الكتابة التي أعيش منها وأعرف عن

طريقها الآن، فقد كنت في العاشرة من عمري، وكانت مادة الإنشاء تدرس لنا في السنة الثالثة الابتدائية، وجاء مدرسنا لأول يوم يحمل كتاباً تحت إبطه، ويتوقر في خطوته، فخلته الجاحظ في مشيته، وما استقر في كرسيه حتى أسمعنا موضوعاً في "فوائد النظافة" ثم طوى الكتاب. وطلب منا أن نكتب في هذا الموضوع، فكتبت ما عرفته بفكري وما أملته ملكتي الصغيرة في ذلك الحين، وكنت أظن أنني سأنال الدرجة الكبرى، وجاء الدرس التالي، وقد امتلأت نفسي بالأمل الجميل، ولكن المدرس أقبل وعلى وجهه عبوس، ثم فرق الكراسات على زملائي واحتفظ بكراستي في يده، وأعلن أني أخذت أقل درجة في الفصل، لأنني تحررت من فكره، ولم أكتب على طريقته، وتبرع لي بعبارات مناسبة من التقريع، ثم قذف بالكراسة أمامي، وإذا بي أرى درجتي 3/10 وبجانبها عبارة: "إنشاء منحط"!

كانت صدمة لي حقاً في سني الصغيرة، كادت تزلزل نفسي، ولكني لا أدري، وأنا في هذه السن، كيف تذرعت بالصبر، وكيف انقلب ما أصابني من تثبيط، قوة وتحدياً ورغبة في التغلب على هذه الصدمة. وكنت أحفظ في ذلك الوقت قول القائل:

اصــــبري أيتهـــا النـــف   س فـــإن الصـــبر أحجـــى

ربمـــــا خـــــاب رجـــــاء   وأتـــى مـــا لـــيس يرجـــى

واعتصمت بالصبر وثابرت حتى تقدمت "قليلاً" في نظر أستاذي.. وذات يوم أتى ما يرجى وما ليس يرجى.. ذلك أن ناظر المدرسة طلب من أستاذنا أن يطلعه على كراسات تلاميذ الفصل، وكان فيهم ابنه الوحيد، فأمرنا الأستاذ أن يذهب كل منا بعد الانتهاء من كتابة موضوعه إلى الناظر، واقترح أن نكتب في موضوع: "أسعد يوم شهدته"، وكتب كل تلميذ ما فتح الله به عليه، وذهبت مع إخواني إلى ناظر المدرسة وقدمت إليه كراستي، فرأيت أساريره قد انفرجت ووجهه قد علاه الارتياح، وبعد أن قرأ ما كتبت خط في نهايته كلمة لم يكتبها لغيري، وهي: "أحسنت"!

وأخذت كراستي ولم أتكلم، ثم رجعت وقدمت مغلّفاً إلى الأستاذ ـ كما هو النظام ـ وفي الدرس التالي جاء الأستاذ يحمل الكراسات، وقد أعطاني الدرجة الكبرى مصحوبة بعبارات الإطراء والإعجاب، فبهت التلاميذ، لأنهم لم يكونوا يسمعون منه ذلك، ولكنهم عرفوا أنني كما قال الأستاذ، سحرت الناظر، فاعتبرت هذا اليوم الذي رعى فيه أبناءه أسعد

يوم شاهدته، ولعلي لم أقصد السحر ولم أهدف إلى تملق الناظر، لأن سني الصغيرة لم تكن تتسع للتملق ولا لأسعد يوم مر بي، ولعلي الآن لا أستطيع أن أعرف أسعد يوم في حياتي، ولكني اخترت اليوم الذي طلب فيه الناظر أن يرى كراستي لأني اغتبطت به واعتبرته أسعد الأيام في أفقي الصغير..!

هذا هو الدرس الأول، وفيه موقفان: أولهما موقف من الهزيمة والفشل لم أجزع منه، ولم يثنني عن العمل والجهاد، تغلبت فيه على نفسي فألقمتها الصبر حتى استساغته وانقلب يأسها أملاً.. والثاني موقف من مواقف النجاح تعلمت منه أن من النجاح ما يكون وليد الفشل، وأن الحياة واسعة المدى، وكثيرة الفرص وليس من الصواب أن نضيق بها إذا ادلهمت الخطوب، أو تنكرت الأيام..

الاعتماد على النفس

أما الدرس الثاني الذي تعلمته من الحياة، فهو: "الاعتماد على النفس" وأذكر أنني في مفتتح حياتي الدراسية رغبت أن ألتحق بمدرسة القضاء، فتقدمت لامتحان المسابقة، وحادثت أستاذاً لي في ذلك، فشجعني ورأى أن يعطيني خطاباً إلى الأستاذ حسن منصور أحد كبار أساتذة هذه المدرسة

ليساعدني. ولم أطلب أنا منه هذا الخطاب ولكني أخذته ووضعته في جيبي، ودخلت امتحان المسابقة ونجحت فيه، وانتظمت في المدرسة، ثم نزعت الخطاب من جيبي لأدعه للإهمال، ونظرت، فوجدت الاعتماد على النفس خيراً من الاعتماد على خطابات التوصية وبطاقات التزكية، ومن ذلك الحين لا أتوسل في حاجة إلى إنسان إلا بعلمي..!

وحدث بعد اشتغالي بالصحافة أن رغبت في أن أشتغل بإحدى الوظائف الحكومية، لأن الأعمال الحرة ـ كما كان يقال ـ على كف عفريت، ووظائف الحكومة عمل مضمون، مع أن الحياة كلها على كف عفريت.. وصادفت وظيفة خالية في مجلس الشيوخ فتقدمت لها، وقبلت فيها، وطلب مني المرحوم عبد الرحمن فكري السكرتير العام أن أتسلم الوظيفة الجديدة يوم السبت. وقبل ذلك بيومين مررت على المرحوم أحمد حسنين، فأخبرته بوظيفتي الجديدة، فنظر إلي نظرة عتاب وقال:

ـ أولست واثقاً من نفسك؟

قلت: "بلى.. إني واثق من نفسي" قال: "وهل أنت فقدت الاعتماد عليها وعلى الله؟".

قلت: "كلا، فإني أعتمد بعد الله على نفسي".

فقال: "إذن، فإني أنصحك ألا تدخل وظائف الحكومة".

قلت له: "تنصحني بذلك وأنت موظف بالحكومة؟!".

قال: "نعم.. وإني أرى اعتمادك على نفسك في الصحافة خيراً لمستقبلك من اعتمادك على عمل في الحكومة محدود".

ومضى على ذلك عشر سنوات، وقابلته وهو رئيس للديوان الملكي، فقال لي مازحاً: "هل تقبل أن تكون مديراً لمكتبي؟" فقلت: "لا.." فضحك وقال: "إذن، فانظر كيف كان عقبي الاعتماد على النفس لا على الحكومة".. وقد أصبح الاعتماد على النفس ديدني في كل عمل وفي كل وقت، وما أحوج الشباب العصامي المكافح إلى هذه الصفة!

الاستفادة من الكبار

والدرس الثالث: "الاستفادة من مصاحبة الكبار".. فقد نشأت ولي ميل إلى الاطلاع، والاستفادة من تجارب الآخرين، ولا أذكر أنني كنت أميل إلى مصاحبة قرنائي، لأنني لا أستفيد منهم أكثر مما أعرف، وقد قرأت أن أعلام الأدباء كانوا يصاحبون في أثناء تربيتهم ودراساتهم أعلام العلماء

والأدباء والشعراء ويأخذون عنهم، لذلك رغبت في مصاحبة الكبار، لأنهم أكثر علماً وأدباً وأصح تجارب في الحياة، فصاحبت الشيخ محمد المهدي وكيل مدرسة القضاء، فاستفدت منه أدباً وهذبت ذوقي بما اشتهر به من حسن الاختيار، وجودة الذوق، وسداد الرأي، ونزاهة النقد الأدبي..

وصاحبت الشيخ مصطفى عبد الرازق، فاستفدت من نبل أخلاقه، ونظافة حديثه ورقي مجالسه، وترفعه عما يجري فيه غيره من الابتذال، وحبه للعزلة وإيثاره للنسك العلمي والفلسفي والأدبي في مكتبته..

وصاحبت الشيخ عبد المحسن الكاظمي (شاعر العرب) فقرأت معه عدة دواوين من دواوين الشعراء وكانت الليالي التي كنت أقضيها عنده في منزله بمصر الجديدة، عامرة بالدروس الأدبية في فن الشعر ونقده وقد صححت رأيي عليه في بعض الشعراء القدماء والمحدثين..

وصاحبت داود بركات رئيس تحرير الأهرام الأسبق في مفتتح حياتي الصحافية، فتعلمت كيف يكون الصحافي النزيه الذي لا يفكر إلا في المصلحة العامة، والذي اتخذ الصحافة خدمة للجمهور، وفناً نزيهاً يعمل لرقي الثقافة ورقي المجتمع ورفع مستواهما على الدوام، ووجدت في خلقه

وسلوكه خير مثل لخلق الصحافي الكبير وسلوك الرجل العام الذي يحبه الجميع، ويقدرونه على اختلاف هيئاتهم وأحزابهم..!

وصاحبت محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل، فرأيت المثل الحق في الشاعر الذي يصور شعره حياة قومه، ويشاركهم بإحساسه في السراء والضراء، وكانت له رسالة يؤديها فيما يعانيه وطنه من جهاد وطني وما يتطلبه من إصلاح اجتماعي فكانت حياته من أحسن الدروس لأدباء الشباب...

وصاحبت المرحوم أحمد زكي "شيخ العروبة" فاستفدت من سعة اطلاعه ووفرة مراجعاته وتصحيحاته التاريخية واللغوية، واتخذت من نشاطه في شيخوخته خير قدوة لنشاطي في شبابي..

وصاحبت الآنسة مي، وكنت أزورها كثيراً وأتزود من جلساتها زاداً وفيراً وكانت جلساتها كعمر الورد قصيرة، ولكنها عاطرة.. وأنيقة ولكنها عامرة بأسمى المعاني وأجمل الآداب. وقد تعلمت منها درسين كان لهما أحسن أثر في نفسي: الأول ـ أن عزة الأدب فوق عزة الغنى والجاه والمناصب الكبرى، وأن كرامة الخلق وطهارة النفس فوق شهوات

الجسد ومطامع الدنيا، وقد كان شعارها تلك الأبيات التي تروى عن الإمام الشافعي وهي تتضمن خير دروس الحياة:

إذا شـئت أن تحيـا سـليماً مـن الأذى
وعيشـك موفـور، وعرضـك صـين
لسـانك لا تـذكر بـه عـورة امـرئ
فكلـك عـورات وللنـاس أعـين
وعينـك إن أبـدت إليـك معايبـا
فصـنها وقـل يـا عـين للنـاس أعـين
وعاشـر بمعـروف، وسـامح مـن اعتـدى
وفـارق، ولكـن بـالتي هـي أحسـن

وصاحبت خليل مطران، فتعلمت منه كيف يكون خلق الأديب الموهوب، في بره بالأدباء وبذله من أدبه ونفسه ويده للناس، وكان يرى أن الحياة واجب وليست بمتاع، وأن هناك شعرين: شعر أدبي يكتبه القلم، وشعر عملي يكتبه القدم في سعيه للغير ولمصلحة المعوزين، وقد تعلمت منه أن الحياة أقل

من أن يأسى عليها الإنسان، وأن كل شيء من الرزق كاف ما دامت النفس معتصمة بالقناعة والكرامة. وتعلمت منه كيف كان يقابل الإساءة بالإحسان. وقد كان يأسى للمسيء إليه، ويعطف عليه، لأنه في رأيه محروم من سعادة الفضيلة، وكرم الأخلاق، ومع ذلك فقد خاب أمله في الناس وفيمن كان يحسن إليهم أيام رخائه وقال في أواخر أيامه:

خــــدعت بمــــن عاشــــرت أيـــام مـــوردي

لهـــم مـــورد والمحفـــل الضـــخم محفلـــي

فلمـــا انقضـــى مـــا كـــان للنـــاس مـــأملا

إذا يممـــوني خـــاب في النـــاس مـــأملي

الإرادة تحقق المستحيل

والدرس الرابع: "قوة العزيمة، والإيمان بأن الإرادة تحقق المستحيل".

لقد كان للصحافة الفضل في تهذيب عزيمتي وشحذ إرادتي، حتى أصبحت أومن بما قاله نابليون بونابرت: "لا مستحيل في الحياة"!

نعم لا مستحيل ما دامت الحياة هي حياة البشر لا حياة الآلهة وسكان السماء.. ومع ذلك فقد قال النبي محمد (ص): "لو تعلقت همة أحدكم بالثريا لنالها"..

لقد دخلت الصحافة جندياً صغيراً ــ أو على الأصح ــ لم أدخل الصحافة لأشتغل بالصحافة، لأنني لم أهيء نفسي إلا لأكون قاضياً أو كاتباً أو مدرساً في وزارة المعارف، وكان عملي في الصحافة علاجاً لحالة وقتية في حياتي، وإن كان ميلي للأدب منذ كنت تلميذاً يهيئني لمستقبل آخر.

وأذكر أن المرحوم الشيخ محمد الخضري المدرس بالجامعة القديمة والمفتش بوزارة المعارف تنبأ يوماً بأني سأكون كاتباً معروفاً، وكان كلما رآني في دار العلوم يقول لي: "أرى في وجهك الأدب وسوف يكون لك شأن" فكنت لا أرى في ذلك إلا تشجيع أستاذ لتلميذه..

وصدقت النبوءة واشتغلت بالصحافة، فوجدتها لا يكفي فيها أن يكون المشتغل بها أديباً فقط أو كاتباً يعرف فنون الكتابة فحسب، بل تحتاج أيضاً إلى صفات أخرى، منها أن يكون الصحافي واسع الاطلاع قد أخذ من كل علم وفن بطرف أو بأطراف، وأن يكون مجدداً مبتكراً، أو عنده

ملكة التنويع والتجديد، وأن يسير مع أزياء الحياة وأطوار الزمن وأن يأتي كل يوم لقرائه بجديد يريدونه لا بجديد يريده هو وحده، وأن يعيش معهم في الأرض، فيتناول حياتهم وأحوالهم، لا أن يحلق وحده في الأفلاك، وأن يعرف أن ما يكتبه متى خرج من ذهنه إلى قلمه أصبح ملكاً للجماهير.. وأن يكون الصحافي مستعداً للمفاجآت، فلا تخونه الحوادث فيتخلف عن الركب، ويشذ عن الباقين، فيكتب مالا يقرأ فتكون الكارثة لا على كتابته، بل على صحيفته، وأن يهدف على الدوام إلى أن يبني كل يوم لبنة في ثقة قرائه به: فإن رأس مال الصحافي الثقة وما يعرف عنه من الصدق وطهارة السريرة والكفاءة في عمله والحرص على إفادة قرائه تلك هي صفات يحتاج إليها الصحافي، ولكن أهم صفة له هي "قوة الإرادة، التي تخلق المستحيل". وكم في الصحافة من مستحيلات يمكن الوصول إليها بالإرادة القوية والعزيمة الغالبة، والمثابرة التي لا تني، والجهاد الذي لا يقف عند حد، ولا يعرف الهزيمة، ويرى أن كل صعب يمكن التغلب عليه بالصبر والعمل.

لماذا لم أصفق؟

للدكتور زكي نجيب محمود

ولد في فبراير سنة 1905 ، ولما بلغ التاسعة من عمره ، انتقل مع أبيه إلى الخرطوم بالسودان حيث تلقى تعليمه الابتدائي وجزءاً من تعليمه الثانوي في كلية غردون. وبعدئذ استأنف دراسته في القاهرة ، حتى تخرج في مدرسة المعلمين العليا. واشتغل بالتدريس عدة أعوام ، ثم أتيح له السفر في بعثة إلى إنجلترا وهناك ظفر بالدرجة الجامعية ، وبالدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن. وعاد ليدرس الفلسفة في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

سئل سوفوكليز الشاعر المسرحي اليوناني مرة، وكانت السن قد بلغت به مبلغ الشيخوخة: "ما موقفك الآن إزاء الحب يا سوفوكليز؟ ألا تزال قادراً عليه؟" فأجاب: "صه.. نشدتك الله لا توقظه في قلبي من جديد، فكم يسعدني أن أراني قد فررت من حبائله، فأحس كأنما فررت من مستبد متوحش مجنون".

فإذا جعلنا لفظة "الحب" في هذه العبارة رمزاً يشير إلى العواطف والانفعالات الملتهبة الحادة في شتى ألوانها.. من غضب شديد، وحزن شديد، وفرح شديد، ومقت شديد، وحقد شديد، وطموح شديد، وحماسة شديدة، إلى آخر هذه الانفعالات والعواطف التي يحتدم أوارها عادة في صدور الشباب وتبرد نارها في صدور الشيوخ، كان سوفوكليز بهذه العبارة، ينطق بما أريد أن ألخص به أهم درس علمتني إياه لحياة.

لقد كنت في شبابي حاد الانفعال قوي العاطفة، خصوصاً إذا كان في الأمر اختلاف على رأي، فمهما كان الموضوع الذي يدور حوله الجدل، فقد كنت أدافع عن فكرتي فيه بحرارة ملتهبة مشتعلة كأنما قوائم الدنيا بأسرها ترتكز على صواب فكرتي.

وكنت شديد الحزن إذا خسرت في اللعب، شديد الفرح إذا فزت فيه. وكانت عروقي تغلي بدمائها أياماً طويلة إذا ما غضبت لإهانة لحقتني ولم أستطع ردها، كما كان دمي يوشك أن يجمد كلما أصابتني خيبة في رجاء كنت أرجوه ثم علمتني الحياة برودة العواطف.. علمتني أن حدة العاطفة معناها عجز في قوة التفكير، فبمقدار ما يتضح الأمر الذي بين يديك وضوحاً تزول معه سحائب الشك والغموض، ترى أن عاطفتك قد بردت إزاءه. ولذلك لا تشتعل العواطف بين المختلفين على نظريات العلوم، وإنما تشتعل إذا كان موضع الخلاف في الرأي موضوعاً غامضاً مبهم المعالم كالمذاهب السياسية والعقائد الدينية.

نعم.. إن لذة الحياة قد نقصت حين بردت العواطف في نفسي، لكن آلام الحياة كذلك قد نقصت تبعاً لذلك. ولست أتردد لحظة في أن أوثر القلة من اللذة والألم معاً، على الكثرة منهما معاً، لو كان اقتران القلة أو الكثرة فيهما أمراً لا محيص عنه، فإذا لم تعد لي لذة الحب العارم التي يتمتع بها الشباب، فإنني إلى جانب ذلك مستريح البال من آلامه وأوجاعه. ودونك شعراء الحب، فانظر كم قصيدة قيلت في نعيم الحب وكم قصيدة قيلت في جحيمه.. فلئن كان الشباب

يعرف الحب، فالشيخوخة تعرف كيف تكون الصداقة. وما الصداقة إلا حب هدأت فيه العاطفة، وزالت عنه شرورها.

إن التزام الواقع في هدوء بغير صخب العاطفة وصراخها، هو بعينه ما يسمى بخبرة الحياة.. فالرجل طفل غر مهما تقدمت به الأيام، إذا ظلت تعصف به عواصف العواطف الهوج. والشاب شيخ مجرب مهما صغرت سنه إذا نفخ الدخان عن نار عاطفته، ليرى الحوادث على حقيقتها الهادئة في دنيا الواقع. ألا ما أغزر الدماء التي أراقتها حروب العواطف الوطنية والدينية والنزوات الفردية! وكم كان الناس لينعمون بفردوس أرضي لو هدأت عواطفهم بين جنوبهم فلم تدفعهم دفع الضلال والعمى.

لقد كنت ذات يوم أنظر مع صديقتي إلى ألعاب بهلوانية أجاد فيها اللاعبون، حتى إذا ما فرغوا من ألعابهم، صفق الناس لهم تصفيقاً يمزق في الأكف جلودها... لكني جلست ساكناً لم أصفق، فسألتني صديقتي: "لماذا لا تصفق مع الناس؟".

فأجبتها قائلاً: "إنها خبرة السنين.."

أنا شاب في السادسة والستين

للأستاذ سلامة موسى

الأستاذ سلامة موسى صحفي ومؤلف ، بدأ حياته الصحفية بمقال له عن "نيتشه" في مجلة المقتطف سنة 1909 واشتغل هذه السنة نفسها في "اللواء" جريدة الحزب الوطني ، ثم أخرج مجلة "المستقبل" في سنة 1914. واشتغل في تحرير مجلة "الهلال" فيما بين سنة 1923 و 1929 وأخرج وهو بها خمسة كتب. ثم أخرج المجلة الجديدة وعدداً كبيراً من المجلات الأسبوعية التي عطلت في كفاحها السياسي. وعمل بعد ذلك في "البلاغ" و"النداء" و"أخبار اليوم" .

أنـا شـاب في السادسـة والسـتين أحـترف الأدب والعلـم والصـحافة. كنـت أكثـر النـاس تعاسـة عائليـاً واجتماعيـاً وتعليمياً فيما بين 1898 و 1907، ولكني حوالي 1909 "وجدت نفسي" فوضعت برنامج حياتي وعينت هدفي.. وهو أن أكون رجـلاً مثقفـاً متطـوراً أنمـو وأكـبر، ولكـن لـيس بـالثراء والاقتناء، بل بالنضج النفسي.

وقد ألفت خمسة وثلاثين كتاباً، هـي جميعها صور من حياتي أو كفاحي كي أتعلم وأعلم. ومع أنـي أقل المثقفين تعليماً نظامياً، إذ لا أحمل غير الشهادة الابتدائية، فإني أقرأ ثـلاث لغـات، وقـد اسـتوعبت الآلاف مـن الكتـب، ولم أقنـع بـالأدب وحده أو العلم وحده، بل جمعت العلم والأدب والفن والفلسفة التي تكونت منها تربيتي وانبسطت لي منها آفاق ما كنت لأعرفها، لو أني تخصصت في واحد منها.

وثقافتي هي لذلك استيعاب.. وليست تخصصاً والأساس هنا أن هدف حياتي هو تربية شخصيتي.. وهذه التربية تحتاج إلى الاستيعاب وليس إلى التخصص.

وقد علمتني الحياة درسين:

الدرس الأول لنفسي.. والدرس الثاني لبلادي

*

فأما الدرس الأول فهو أن أبقى شاباً مستطلعاً أنمو وأتطور وأدرس وأسأل أسئلة الأطفال، ولا أكف عن اللعب والمرح. وليس الشباب عندي فترة من العمر تسبق سن الخمسين،

وإنما هو عقيدة أؤمن بها وأحافظ على سننها وأذود عنها الزنادقة الذين يكفرون بها، ويدعون إلى الشيخوخة والخمود والاستسلام.

وقد عرفت نظرية التطور وأنا دون السادسة عشرة فأكسبتني مزاجاً نفسياً ومنطقاً ذهنياً واتجاهاً عاطفياً نحو نفسي والناس والكون. وجعلت النمو مزاجي والاستطلاع اتجاهي. وهذا إلى جرأة في التفكير ونهم إلى الثقافة الشاملة.

*

وأما الدرس الثاني فلبلادي أو للعالم كله.. وهو أن البشر في حالتهم الحاضرة ينقسمون قسمين، أحدهما يجعل أساس حياته وأسلوب عيشه المعرفة التي تسمى علماً عندما تحقق تفاصيلها وتقاس وتعين خواصها، وبكلمة أخرى يعتمد هذا القسم على العلوم.

أما القسم الثاني، فيجعل أساس حياته وأسلوب عيشه العقيدة الموروثة.. بما يحميها من القوانين. وأبناء القسم الأول من البشر، قسم المعرفة والعلم يتغلبون ـ في الغالب ـ ويسودون.

وقد تعبت كثيراً في إقناع مواطني بضرورة الاهتمام بالمعرفة والعلم، ولكني لن أكف عن المثابرة في النصح والإرشاد والتوجيه.

وما بقي من شبابي صار صده لإتمام هذين الدرسين: تربية نفسي وتنمية شخصيتي، وجعل المعرفة أساس الحياة

الأنانية والذل توءمان!

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

ولد الدكتور أحمد زكي أبو شادي بالقاهرة عام 1892 ، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية بالقاهرة ، التحق بمدرسة الطب في مصر ، ثم غادرها بعد سنة إلى إنجلترا لإتمام دراسة الطب فيها ، وبقي في إنجلترا حتى عام 1922. فلما عاد إلى مصر برزت مواهبه متعددة الجوانب في الأدب والشعر والصناعات الزراعية والنحالة. وقد أصدر الدكتور أبو شادي العشرات من الكتب في الشعر ونقده وفي القصة وفي العلوم والصناعات الزراعية ، وفي المشاكل الاجتماعية. ولما اشتد الطغيان إبان عهد الملكية في مصر ، آثر الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في إبريل عام 1946 حيث يدأب على خدمة وطنه مصر بنشر الآثار الأدبية القيمة والتعريف بمآثر الأدب العربي في العالم الجديد.

كان الجنود يفتشون حوالي سنة 1831 بمدينة بوسطن الأمريكية عن الإدارة السرية لجريدة "الليبراتور" The Liberator أي "المحرر".. فعثروا في النهاية على مطبعتها في مكان دفين خبئ حيث كان يعمل على إصدارها "وليم لويد جاريسون" يساعده صبي زنجي. وما كان يناصر هذه الجريدة سوى قلة، إذ كانت غايتها تحرير الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد نوه الشاعر "روسل لويل" فيما بعد، بشهامة جاريسون وشجاعته، حينما قل الأصدقاء والأنصار، ممهداً للتحول الفكري الإصلاحي، ولنضوج حركة التحرير التي انتهت بإعلان تحرير العبيد بلسان "أبراهام لنكلن" في منشوره المأثور المذاع سنة 1863. وقد استمر إصدار الجريدة الرائدة الحرة حتى سنة 1865، حينما أتمت مهمتها، وتوفي جاريسون في سنة 1879.. ولكن ذكراه ـ كذكرى أبراهام لنكلن ـ بقيت على ألسنة الأحرار في كل مكان عبرة وعزاء وإلهاماً.

تلقيت هذا الدرس في صغري من سيرة جاريسون.. ولكن الحياة بظروفها المختلفة وأحداثها التي لا ترحم، علمتني أن لا أكتفي بدرس الكتب وساقتني من حيث أدري ولا أدري، إلى التعلق بالحرية تعلقي بالحياة، ثم صارت الحرية في اعتباري من مرادفات أسماء الله الحسنى. فليس الله هو ذو الجمال والمحبة

فقط، وإنما هو الحرية أيضاً، وتشبث إيماني وتصوفي بالحرية، بحيث لم أعتبر أية تضحية في سبيلها إلا بعض الثمن العادل للتمتع والائتناس برحمة الله.

من أجل الحرية، آثرت الاغتراب عن وطني حينما تبختر الطاغوت يضرب بنعله المفكرين المقيدين يمنة ويسرة. ولأجل منبري الحر وطلاقتي الفكرية والروحية، احتملت مشاق نفيي الاختياري مادياً ونفسياً لأني وجدت هذه المشاق لابد منها لإنقاذ نفسي وتحقيق رعايتي بقلمي ولساني لمسقط رأسي الحبيب ولخدمة مثلي الإنسانية العليا.

علمتني الحياة كل هذا، فاتبعت تعليمها واثقاً مطمئناً. ولم أندم مرة على مطاوعتها.. وكيف أندم وقد رأيتني أقدر على إنصاف نفسي وإنصاف المثاليات التي أدين بها والتي أعمل لها وعملت لها طول حياتي؟ وكما آمنت بها لنفسي آمنت بها لغيري، وسعيت إلى تحقيقها له. وهكذا علمتني الحياة ألا أكون أنانياً، وعلمتني تبعاً لذلك أن الأنانية والذل توءمان، وأنهما ينافيان الكرامة البشرية. وعلمتني أن الاحتمال والمثابرة من عناصر هذه الكرامة..

وما سر الحياة سوى احتمال سواء للهني وللشقي

ولكنه احتمال المكافح المجاهد في سبيل عقيدة شريفة يبشر بها لخير الإنسانية وسداداً لدين الحياة عليه، لا احتمال الخانع القابع.

علمتني الحياة هذا، كما علمتني ألا ألوم غيري قدر ما ألوم نفسي على عثرات كان يمكنني تجنبها، لو كنت الحاذق الواعي. ومن ثمة علمتني التسامح، لأني وجدت التسامح من عناصر التسامي.. كما وجدت التسامي من صميم الكرامة البشرية. فأحسست بأن اللطمة التي تنالني ترتد نهائياً إلى المعتدي علي، كما أن التسامح يشعره نهائياً بمعنى العقاب ويرده إلى الإخاء الإنساني.

ولكني لم أعرف مرة التسامح في كرامتي ومثاليتي، وتركت للزمن الحاسب والقدر المراقب إنصافي بما أومن به وأبذل من أجله. ولو جاء هذا الإنصاف متأخراً أو بقي في ضمير الغيب.

إن الحرية هي حارسة المواهب ومغذيتها ومنميتها. ولولاها لصارت الإنسانية هباء... إنها أنفس النفائس التي منحتني الحياة إياها وتعلمتها منها.. وبقبولي تعليمها وحرصي عليه شعرت بأني أستحق الحياة.

محاكاة المنبه !

للدكتور محمد غلاب

أمضى الدكتور محمد غلاب طفولته في قرية من قرى مصر الوسطى تقع على بحر يوسف ، ولم يكد يجتاز أولى مراحل الطفولة حتى أصيبت عيناه بالرمد فأثر في إبصارهما تأثيرا شديداً ، وكانت تلك المحنة سبباً لآلامه ومتاعبه. ولم يلبث أن مات والده ، وكاد يبقى في القرية لا يريم عنها حولاً مدى الحياة. لولا أن صحت عزيمته على الالتحاق بالأزهر ، ثم سافر إلى فرنسا حيث ظفر بشهادة الدكتوراه. وهو مكافح بطبيعته ، ولذلك لا يزال ، حتى وهو يمارس التعليم بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية ، يكافح جهد طاقته في تثقيف الشباب وتهذيبه وتربيته.

من القواعد المتفق عليها بوجه عام، أن عقلية المرء بعد نضوجها تعتبر كلاً تألفت أجزاؤه من التجارب التي هيأتها له حياته الخاصة. ولكنه عندما ينحني على ماضيه متأملاً في جوانبه البعيدة، يحاول دراستها مستعيناً بأضواء المحن التي اجتازها، مسترشداً بأشعة المعضلات التي اصطدم بها ي حياته، فإنه كثيراً ما يلاحظ أن ميوله وانعطافاته، بل أن العوالم الموجهة لإرادته قد نبتت في طفولته الأولى، وجعلت تجاري هذه الطفولة في نموها ونضوجها وأثمارها، وليست هذه نظرية فرضية وإنما هي حقيقة واقعية يتبينها كل من أنعم النظر في طفولته ليستخلص منها المقومات الأساسية لشبابه ونضوجه. وليعذرني القارئ إذا ذكرت له واقعة ساذجة كان لها أبلغ الأثر في حياتي.. ومجملها أنه بينما كنت في الرابعة من عمري اشترى أخي الأكبر منبهاً جميلاً وضعه على مكتبه فأعجبت به أيما إعجاب واحتلت دقاته الموسيقية من رأسي الصغير مكاناً ممتازاً. ولما كنت أشاهد أن الخادمات في منزلنا لا يقمن بمهماتهن إلا إذا راقبتهن ربة البيت في دقة وحزم، وأنهن لا يكدن يشرعن في عمل حتى يشكون التعب ـ إن صدقاً وإن كذباً ـ فقد خيل إلي أن المنبه مثلهن سيقف عن الدق عندما يزول عنه كابوس الرقابة، وأنه سيخلد إلى الراحة عما قريب.. فأسررت في نفسي أنني سأباغته ليلاً لأرى

ما عساه يفعل. فلما استسلم جميع أهل المنزل للنوم، انسللت من فراشي، ومشيت على أطراف أصابعي حتى وصلت إلى حجرة المكتب، ووضعت أذني على ثقب القفل مصغياً إلى دقات المنبه، فسمعتها تتتابع في نظام وانسجام، ثم كررت هذا التجسس عدة مرات فكانت النتيجة هي عينها، فامتلأت نفسي الناشئة إعجاباً بهذا المنبه، وخرجت من تلك الواقعة بثمرتين عظيمتين:

أولاهما: أن هنالك كائنات ـ كالمنبه ـ تحس وإن لم يراقبها أحد.

وثانيتهما: أن هناك كائنات ـ كالمنبه أيضاً ـ لا ينال منها التعب، وأنها متى أرادت شيئاً وصلت إليه لا محالة، وأن هذه الكائنات أسمى من طراز الخادمات..

فصممت على أن أكون كالمنبه، لا كالخادمات. وقد لبث هذا الشعور يحتل نفسي ويدير قيادتها حتى عهد الشباب، بل النضوج، وإن كان قد تمثل في صور أخرى تختلف عن تلك الصور البدائية الساذجة

وليس في هذا شيء من المغالاة.. فأنا لا أزال أطبق هذين المبدأين في حياتي العملية تطبيقاً دقيقاً بل قاسياً أحياناً، إذ وطنت نفسي منذ نعومة أظفاري على أن لا أحتاج في أعمالي

إلى رقابة، وأن لا أسمح لأية عقبة أن تقف في طريق إرادتي، وأني لا أكاد أؤمن بمبدأ التعب كعائق دائم عن العمل، وإنما هو عارض كسحابة الصيف لا تلبث أن تنقشع. ومن آيات إيماني بأن من أراد وصل حتماً.. تلك الواقعة الأخرى التي حدثت لي إبان طفولتي أيضاً، وموجزها أني لاحظت أن أخي الأكبر ـ وهو لم يكن يعبأ بأثرياء الإقليم ـ جعل يحتفل بأسرة فقيرة كانت تقدم من القاهرة إلى الريف في صيف كل عام، فسألت من حولي عن السبب في الاهتمام بتلك الأسرة إلى هذا الحد، فأجابوني بأن أفرادها متعلمون.. فوقعت هذه الكلمة من نفسي موقعاً هائلاً، وصممت على أن أعض بالنواجذ على ذلك الكائن الفاتن المسمى بالعلم، والذي لا يتطاول الثراء إلى عليائه، ثم طفقت أستخدم سلاح الإرادة الحديدية وجحود مبدأ التعب في الوصول إلى الظفر بهذه البغية العالية، فقذفت بنفسي ـ رغم ضعف بصري ـ من دون رحمة ولا إشفاق فوق صفحة البحر الأبيض المتوسط. وكنت أنا الوحيد الذي ليس له مودعون على مرفأ الإسكندرية، وما زلت أكافح في ربوع تلك البلاد كمثال من مثل المجالدة والمثابرة، حتى ظفرت ببغيتي التي حددتها منذ طفولتي.. فكانت كأنها نوع من الإيحاء تحقق بحذافيره جملة وتفصيلاً.. ولله الحمد أولاً وأخيراً.

كلنا نكافح!

للمهندس فؤاد إسكندر

ولد المهندس فؤاد اسكندر في عام 1926 ، وقد تدرج في مراحل التعليم حتى ظفر ببكالوريوس الهندسة مع جامعة القاهرة. ثم التحق بخدمة شركة مصر للغزل والنسج بالمجلة الكبرى عام 1947. وقد أرسل بعد ذلك في بعثة عملية إلى إنجلترا عاد منها في عام 1951 ، وهو يشغل اليوم وظيفة المهندس الكهربائي للشركة المذكورة وهو يمثل الشباب المصري المثقف المكافح.

كنت أنتظر نهاية الأسبوع بصبر نافد بعد أحد الأسابيع الحافلة بالعمل المرهق، وسافرت إلى الإسكندرية بالرغم من مبادئ الإنفلونزا التي كنت أشعر بها. ولفت نظر أصدقائي الحمى التي كانت تسري في جسدي، ونصحوني بالراحة. ولكنني صممت على الاستمتاع بوقتي، وليكن ما يكون. وتملكتني هذه الفكرة، حتى لقد ضربت بتعاليم الأطباء عرض الحائط، وأخذت حماماً بارداً وأنا محموم. وكان عجيباً أن تنتصر روحي وإرادتي على المرض والحمى. وانطلقت مع أصدقائي لنقضي وقتاً سعيداً. وكنت كأسعد ما يكون، وفي أتم صحة وعافية، مما أثار دهشتهم. وعدت من هذه الرحلة بأفكار جديدة وإيمان جديد.. أن ما يجري في روحنا وقلبنا، يلقي ظله دائماً على مشهد الحياة. فإن كانت النفس سعيدة فصورة الحياة سعيدة، وإن كانت كئيبة فهي سوداء، وإن كانت مريضة فصورة الحياة مريضة ثقيلة، وإن كانت ثائرة غاضبة فصورتها حمراء بلون الدم. فنحن نستطيع أن نسيطر بأفكارنا حتى على أجسادنا، فلو أن الإنسان أوحى إلى نفسه بأنه سعيد بينما هو يمر بمحنة قاسية.. فإن ذلك الإيحاء، إن لم يحل مشكلته، يجعله يجتازها بروح طيبة، والعكس صحيح أيضاً.

ولكن علمتني الحياة أيضاً أن هذه الطريقة الإيحائية لا تجدي في جميع الأوقات، فمن العبث أن توحي إلى إنسان متعطل جائع لا يجد قوت يومه، أو تجعله يوحي إلى نفسه بأنه سعيد موفق، فإن ذلك الإيحاء لو أمكن، فسيكون له فعل المخدر الذي ينسي الإنسان حقيقة حاله ويصرفه عن إيجاد حل لها. بل العكس، فإن إفهامه حقيقة مشكلته يجعله يفكر دائماً في طريق الخروج منها إلى المستقبل المشرق وتكون طريقة الإيحاء العقلي هنا هي أن تؤدي بالإنسان لأن يقول لنفسه: إني أؤمن بأني سأخرج من هذا المأزق المظلم. أني مؤمن بمستقبلي.. إني سأوفق.. وهكذا، فإن هذا الإيمان كفيل بأن يدفعه إلى العمل بإصرار وعناد حتى يصل إلى شاطئ الراحة والاطمئنان.

إن ما حدث في ذلك اليوم لمن الأحداث العارضة التي يمكن أن يمر بها الإنسان دون أن تترك في نفسه أدنى تأثير، ولكن شيئاً واحداً أعلمه، وهو أن هذا الحادث قد أثر في نفسي تأثيراً بالغاً.. وفتح أمام تفكيري آفاقاً جديدة إلى فهم جديد للحياة.

كنت واقفاً في قسم من أقسام المصنع الذي أعمل به، أرقب العمال وهم عاكفون على آلاتهم في ذلك اليوم القائظ

من أيام رمضان ــ شهر الصوم ــ ولم يكن الحر الخانق أو البخار الذي يشبع الجو والصوم عن الطعام والشراب، لم يكن أي شيء من هذا يقلل من عزيمة هؤلاء العمال العاكفين على آلاتهم كأنهم جزء منها، يدورون معها ويدورون!.. أجل، هكذا كنت أنظر إليهم دائماً، أجزاء من آلات! أداة صغيرة من آلاف الأدوات التي يحتويها المصنع الكبير. واستوقف نظري أحد العمال وقد بدا منصرفاً عن عمله، مطرقاً برأسه، وعلى وجهه حبات من العرق تلمع، كان مجهداً مرهقاً.. وسرت نحوه، فلما أحس بي أمامه، رفع رأسه ببطء، ورأيت في عينيه مزيجاً من الإجهاد والاعتذار الصامت فقلت له: "لابد أنك وزملاءك مرهقون بلا شك من الحر والصوم، كان الله في العون!" فتمتم: "شكراً يا سيدي، إني لممتن لشعورك الطيب نحوي، إني أحسن حالاً الآن".

ومضى إلى آلته وأدارها في همة ونشاط جديدين. كان يمكن أن أنسى هذا الحديث في زحمة العمل، ولكني لم أستطع أن أبرح مكاني. بل استرسلت في تفكير عميق. فكرت في هذا العامل، وآلته الصماء.

كلا.. إن هؤلاء العمال ليسوا كالآلات.. إنهم بشر، حياتهم كحياتنا، فيها الألم والوجع. يحبون ويكرهون

ويتعذبون. وأدرت عيني في وجوههم السمراء اللامعة الصلبة.. وخلت أني أرى في وجوههم الصامتة قصة تموج بالحياة والكفاح المرير. إني أيضاً أكافح في سبيل الحياة ـ أنا وذلك العامل وهؤلاء العمال ـ كلنا قوة ضخمة نكافح في سبيل هدف واحد.. الحياة.

وأحسست بنفسي تمتزج بنفس هذا العامل وتمتزج بها امتزاجاً عنيفاً، وشعرت بمشاكله وآلامه تضرب في نفسي، وآماله تلمع بجانب آمالي.. كما لو كنت أحيا حياته، من يوم ولادته. وكأنما خلقت من ذلك اليوم خلقاً جديداً، بروح جديدة، وإحساس جديد، بأننا جميعاً أخوة، نكافح من أجل رخاء بعضنا البعض، ليس فينا آلات وأصحاب آلات، بل كل واحد منا نغمة، وهذه الملايين من النغمات تنصهر وتذوب في بعضها البعض لتكون "سيمفونية" الحياة.

لابد من توفير حياة اجتماعية سليمة!

للدكتور محمد كامل عياد

ولد سنة 1901 بمدينة طرابلس الغرب. وبعد إتمام الدراسة الابتدائية والثانوية في استانبول وبورسا (بالأناضول) وحلب والقدس مارس الصحافة مدة سنة ، ثم التحق سنة 1921 بجامعة برلين ، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة ، ولما عاد إلى دمشق سنة 1930 اشتغل مدة بالصحافة ثم عمل بالتدريس في المدرسة الثانوية بدمشق ، ثم دار المعلمين العالية ببغداد. ثم عين أستاذاً مساعداً في كلية الآداب. وقد انتدب من الجامعة السورية مؤقتاً كخبير في الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.

لا أعتقد أن الحوادث المختلفة التي تعاقبت علي في شتى البلدان، قد جعلتني أكثر معرفة بحقيقة الحياة أو أكثر قدرة على حل مشاكلها من جمهور الناس الذين لا يفتأون ـ رغم التجارب المتوالية ـ يرتكبون الأخطاء ذاتها في سلوكهم وفي علاقاتهم بأبناء جنسهم.

ولكن لا ريب عندي أيضاً في أنني ـ لولا بعض الظروف والوقائع ـ لما اتجهت في حياتي وتفكيري الوجهة الحاضرة لقد اضطررت ـ وأنا في العاشرة من العمر ـ إلى الهجرة من وطني "ليبيا" بسبب غارة الطليان، فانتقلت من بيئة نصف بدوية إلى مدينة استانبول المتحضرة نسبياً. وهناك، كان علي أن أبذل جهداً زائداً لمسايرة البيئة الجديدة ومجاراة رفاقي الجدد في المدرسة. وبفضل هذا الجهد نلت الدرجة الأولى في الفصل عند امتحان آخر السنة ومن جهة أخرى فإن التفكير المتواصل في نكبة بلادي، قد صرفني عن ميولي الفطرية نحو الرياضيات ودفعني إلى دراسة التاريخ والعلوم الاجتماعية، وإلى الاشتغال بالأمور السياسية.

ومن المؤكد أن ذلك انتهى بي إلى إهمال مصالحي الشخصية المادية، مثل الكثيرين غيري من أبناء أمتي الذين أدركوا أنه لا قيمة لحياتهم الفردية دون نجاح القضية القومية العامة.

ولعل أهم حادث كان له أعمق تأثير في توجيه تفكيري هو ما تعلمته بعد اشتغالي بالتدريس. فقد كنت ـ ككل مدرس مخلص لعمله ـ أشعر بمنتهى السرور والاعتزاز عندما أشاهد طلابي يتقدمون في المعرفة والبحث والتفكير. وكنت في الصميم أعلق أكبر الآمال على مستقبل النابهين بين هؤلاء الطلاب، الذين لم يكن يخامرني أدنى شك في أنهم سيصبحون علماء أو مخترعين أو مصلحين وأنهم سيعملون على نهضة الأمة العربية.

إلا أنه لم تمض بضع سنوات حتى كشفت لي الحياة عن الواقع المؤلم. ذلك أني التقيت ببعض الطلاب المتفوقين بعد مدة من تخرجهم، وإذا بهم قد صاروا معلمين في قرى نائية لأنهم كانوا فقراء لا يستطيعون إتمام الدراسة الجامعية. وكان لابد لهم من العمل لإعاشة أنفسهم وأسراتهم. وقد هالني ما كان يبدو عليهم من الخمول والبؤس، ولاحظت أن أحدهم على الأخص كان هزيلاً، شاحب اللون خلافاً لما عهدته عليه في المدرسة. فلما سألته عن السبب أجاب: "كيف لا أنتهي إلى هذه الحالة وأنا أعيش في قرية تحيط بها المستنقعات وتفتك "الملاريا" بسكانها، وليس من طبيب أو صيدلة فيها أو بالقرب منها؟".

وقد تبين لي من الحديث مع هؤلاء الطلاب القدماء أنهم جميعاً لم يطالعوا أي كتاب أو مجلة منذ أن تخرجوا من دار المعلمين. فظننت لأول وهلة أن ذلك ناشئ عن ظروفهم الخاصة. ولكنني عندما أخذت أبحث في الموضوع على نطاق أوسع وأسأل عدداً كبيراً من المتعلمين، كالمحامين والأطباء والمهندسين والموظفين، وجدت أن أكثرهم قد انقطعت كل صلة لهم بالعلم.

عندئذ أدركت أن هذه الظاهرة لا يمكن تعليلها بكسل الأفراد أو نزعتهم المادية، بل لابد من إرجاعها إلى تأثير البيئة الاجتماعية. ومنذ ذلك الوقت آمنت بأن مجرد العناية بتعليم الأفراد وتهذيب أخلاقهم لا تكفي وحدها لنهضة المجتمع وتقدمه. وإنما ينبغي في الوقت نفسه ـ وقبل كل شيء ـ تغيير النظم والمؤسسات وإصلاح الأوضاع العامة، فإن الأفراد لا تتكشف مواهبهم ولا يستطيعون الإنتاج والإبداع إلا إذا بدأوا بتهيئة الجو الصالح لحياة اجتماعية منسجمة، متطورة زاخرة.

درهم حكمة خير من قنطار علم

للدكتور أحمد أمين

تربى تربية دينية. فتعلم في الأزهر ، ثم في مدرسة القضاء الشرعي. ولما تخرج منها عين مدرساً بها ثم قاضياً شرعياً ، وظل على ذلك سنين ثم اختير مدرساً في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وما زال يتنقل في مناصبها حتى اختير عميداً لها. وظل ممثلا لها في مجلس الجامعة نحو عشر سنين. وقد كوفئ على نشاطه العلمي بمنحه الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة ، كما كوفئ على كتبه الأدبية بجائزة الدولة. وقد شعر وهو في سن الثلاثين تقريباً بحاجته إلى تعلمه لغة أجنبية ، فتعلم اللغة الإنجليزية فأوسعت أمامه الأفق حتى حاضر بها في مؤتمر المستشرقين بليدين. وانتخب عضواً في مجمع فؤاد للغة العربية ومجمع دمشق العربي ورئيسا للجنة التأليف والترجمة والنشر من سنة 1914 إلى اليوم. وقد اختير مديراً للإدارة الثقافية للجامعة العربية.

علمتني الحياة فيما رأيت من نفسي، وفيما رأيت من أبنائي، ومن عاشوا حولي.. أن العمل إذا بنى على التجارب التي جربها الإنسان في حياته، نجح غالباً، وإذا بناه على العلم والمنطق الذي كسبه لم ينجح غالباً. فإن للأحداث منطقاً غير المنطق الذي في الكتب، ورأيت من أبنائي أن أنجحهم في الحياة ليس أعلمهم، بل أحكمهم. وأذكر أنه كان في فصلنا في مدرستي أول الفصل وآخره. فأول الفصل كان أعلمنا، ومع ذلك لم ينجح في الحياة. وآخر الفصل كان أحكمنا، ولذلك نجح في الحياة.

وأسمع أن أزواجاً كثيرين سعدوا بزوجاتهم لأنهن حكيمات في الحياة، بينما فشل غيرهن وإن كن أكثر ثقافة ونشاهد في الحياة رجلاً كبيراً في السن تاجراً قد نجح في تجارته ونال ثقة الجمهور، وحصل على ثروة كبيرة من مال وحسن سمعة، وعظيم جاه، وهو في هذا كله لم يتعلم في المدرسة اقتصاداً ولا تجارة، وإنما تعلم في الحياة حكمة عرف بها ماذا ينجح ومالا ينجح، وعرف بطبيعته نفسية الناس وما يعجبهم ومالا يعجبهم، وكيف يصرف تجارته بينهم. ثم لما رزق ولداً علمه أحسن تعليم، وأعده للتجارة كل إعداد، وبعد أن أتم دراسته في مصر أرسله إلى الخارج ليتم تعليمه، حتى صار

دكتورا في التجارة. فلما عاد وأمسك تجارة أبيه، تبددت، وانصرف عنه الناس ولم يفهمهم ولم يفهموه، ولم يستطع بعلمه أن يدرك شأو أبيه بحكمته.. ذلك لأن العلم الذي حصله لم يعوض حكمة أبيه.

وقد أدركنا في مصر بيوتاً كثيرة خسرت وأغلقت، لأن الأبناء لم يستطيعوا أن يقوموا بما قام به الآباء. وربما كان الآباء عصاميين كونوا أنفسهم بأنفسهم، لم يرثوا من آبائهم مالاً ولا جاها، ثم لما أورثوها بنيهم أتلفوها. وقد نجد اللغات المختلفة فرقت بين العلم والعقل والحكمة، وجعلت لكل من هذه الأشياء اسماً. والحكمة هي الفلسفة العملية في الحياة والقدرة على النفوذ إلى الأشياء وحسن التصرف فيها. وهي كثيراً ما تستفاد من تجارب الحياة، لا كالعلم الذي يستفاد من الكتب. وكان حكيماً قول القرآن "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" (صدق الله العظيم).

وتعجبني حكاية قرأتها في بعض كتب الأدب العربية، وهي أن أعرابياً بدوياً، رأى قوماً من الفرس يبيعون ويربحون، وهو لا يربح.. فقال: "الحمد لله، يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح".. لأنه ظن لغفلته، أن العلم بتصحيح الكلمات، وعدم اللحن فيها، يربح في الحياة، مع أن الربح يعتمد على

التجارب، لا على عدم اللحن في الكلام.. وتلك حكمة وهذا علم.

وكما أن العلم مظهره الكتب والتدريس، ويبلغ منتهاه في نيل الدرجة الجامعية ونحو ذلك.. فإن الحكمة مظهرها في الأمثال الشعبية التي تنبع من رجال الشعب ونسائه الذين جربوا الحياة واستطاعوا أن يبلوروا تجاربهم وتجارب أمثالهم، ويركزوها في حبات من الحكمة. وكما اشتهر في كل أمة علماء متخصصون في العلم وصلوا فيه إلى الغاية، كذلك يوجد أفراد اشتهروا بالحكمة والتجربة، وفهم الأمور على حقيقتها وتصرفهم أمام المشاكل على أحسن ما يكون، أمثال أيزوب عند الرومان وجحا عند المصريين والأتراك ونحو ذلك. فكل هؤلاء رويت عنهم أقوال في منتهى الجمال، تشرح تجربة، أو تحل مشكلة أو تضع مبدأ للحياة.. وكثيراً ما تكون في صيغة قصصية جميلة.

وقد رويت لنا عن الأمم المختلفة أقوال حكيمة كثيرة، كل له طابعه الخاص، مما يدل على أن كل أمة جربت في الحياة ما بطبيعتها واستفادت من بيئتها، وأن كل أمة كانت تنظر إلى الحياة من زاوية.. وكلها تعبر عن الحقيقة بأسلوب يخالف أسلوب الآخر.

ونحن لو قلنا أن السعادة في الحياة مرتبطة بالحكمة أكثر مما هي مرتبطة بالعلم لكنا على صواب.. فالعلم قد يتصرف في المال تصرفاً سيئاً فيتلفه، ويتصرف في المنصب تصرفاً خطأ فيضيعه، أما الحكيم فيصيب دائماً ويسعد دائماً من أجل ذلك دعونا الله أن يرزقنا ولو قليلاً من الحكمة.. فذلك خير من أن يرزقنا العلم ولا حكمة.

الجزء الثاني

أقلام من الغرب

هاك كرة لتدحرجها

لروبرت ج. أولمان

أحـرز "روبـرت ج. أولمـان" النجـاح لمكفـوفي البصـر في ميـادين الرياضـة والقـانون ، والتنبـؤ بنتائج المباريات الرياضية ، وذلك على الرغم من أنـه فاقـد البصـر. ولقـد التحـق في طفولتـه بمدرسة أوفربروك لمكفوفي البصر في فيلادلفيا ، حيث ابتدأ مزاولته لعبة المصارعة ، ثـم التحـق بجامعة بنسلفانيا وتخرج فيها من قسم الفلسفة. ثم درس القانون وهو اليوم يشتغل بالمحاماة في شركات التأمين.

فقدت بصري وأنا بعد في الرابعة من عمري، إذ سقطت على أم رأسي من سيارة نقل في أحد أفنية شحن البضائع بمدينة "أتلانتيك سيتي" وأنا اليوم في الثانية والثلاثين من عمري. ولو أن الإبصار عاد إلي لكان ذلك حدثاً رائعاً، بيد أن كارثة ما ربما قدمت للناس أيادي بيضاء، حتى ليخيل لي أن حبي للحياة ربما قل لو لم أكن أعمى. أني أؤمن الآن بالحياة إيماناً عميقاً.. ولست أعتقد بأنه كان يسعني الإيمان بها على هذا النحو، لو أنني لم أكن فاقد البصر. ولست أعني بذلك أنني أجحد نعمة البصر، وإنما أعني أن فقداني لها جعلني أجل قدر ما تبقي لي من نعم في الحياة.

أعتقد أن الحياة تطالبنا دائماً بتكييف آرائنا بحيث تنسجم مع الواقع. وكلما كان الشخص أكثر تأهباً لهذا التكيف، أصبح عالمه الخاص منطوياً على أهمية عظمى. وليس تعديل الآراء سهلاً أبداً.. لقد اهتدى والداي وأساتذتي إلى شيء في ـ يسعك أن تسميه طاقة الطموح في الحياة ـ لم أستطع أنا رؤيته، فجعلوني أرغب في الكفاح ضد ظلام البصر.

وكان أشق درس وجب علي تعلمه هو أن أؤمن بنفسي. كان هذا درساً جوهرياً. ولم يكن في مقدوري أن أصنع ذلك

بل كان محتملاً أن أنهار وأصبح قعيد كرسي متحرك أمام سدة الباب طوال ما تبقى لي من العمر. وإني عندما أتحدث عن الإيمان بنفسي، فلست أتحدث عن مجرد ذلك النوع من الثقة بالنفس التي تعينني على البقاء وحدي في ردهة غريبة عني. فهذا جزء من ذلك الإيمان. وإنما أعني شيئاً أعظم من ذلك: هو اليقين بأنني، على الرغم من مظاهر عجزي، امرؤ إيجابي وأنه في هذا الخضم المتلاطم المتشابك من البشر، يوجد مكان خاص بي أستطيع أن أشغله بجدارة.

ولقد اقتضاني اكتشاف هذه الثقة تعزيزها سنوات كثيرة. وكان يجب أن يبدأ الأمر بأبسط الأشياء. حدث ذات مرة أن ناولني رجل إحدى كرات لعبة "البيزبول"، وحسبته يسخر مني وأحسست بالإهانة، فقلت: "إنني لا أستطيع استعمالها" فاستحثني قائلاً: "خذها معك ودحرجها أمامك". فثبتت الكلمات في رأسي "دحرجها أمامك". وبدحرجة الكرة استطعت أن أسمع أين ذهبت. وهذا الفعل ولد عندي فكرة قوامها أن أحقق هدفاً خلته مستحيلاً. ذلك الهدف هو أن ألعب "البيزبول". وفي مدرسة أوفربروك لمكفوفي البصر في فيلادلفيا ابتكرت طريقة جديدة ناجحة للعبة "البيزبول" أطلقت عليها اسم الكرة الأرضية.

وطوال حياتي، وضعت أمامي طائفة من الأهداف، ثم حاولت أن أبلغها.. كل واحد منها في وقت معي. وكان علي أن أعرف نواحي النقص عندي. ولم يكن من الخير أن أحاول شيئاً كنت أعلم من مبدأ الأمر أنه بعيد بعداً شاسعاً عن متناولي، لأن ذلك من شأنه أن يسبب المرارة والحسرة لدى الإخفاق والفشل. ومهما يكن من أمر فقد أخفقت في أشياء، ولكنني أحرزت ـ على العموم ـ تقدماً.

وأعتقد أنني حققت التقدم بسرعة، نتيجة لنظام من الحياة هيأته قيم معينة. وأني لأجد من الأيسر أن أعيش مع نفسي إذا حاولت أن أكون أميناً. وأجد القوة في صداقة الناس ومعاونتهم، ولولا أصدقائي الذين يعينونني بأبصارهم لكنت أعمى حقاً. وبكل تواضع أقول أنني وجدت الراحة والهدوء في طموح الإنسان الفاني ومحاولته الارتفاع والتسامي صوب الألوهية. وربما كان الرجل مسلوب البصر أقل عمى عن أهمية الأشياء المادية من المبصرين.

كل ما أعرفه هو أن إيماناً بوجود غاية أسمى للبشر يكافحون في سبيل بلوغها، كان وحياً أعانني، أكثر من أي شيء آخر، على صيانة حياتي وتماسكها.

درس تعلمته في منتصف الليل

لجيمس كي دي بونت

التحق مستر "دي بونت" بشركة دي بونت منذ عام 1940. وهو رجل نحيل عاطفي ، تنبئك ابتسامته عن فهم وتقدير دقيق لمسائل الحياة. كان قد نيط به الاشتغال بأعمال الإنشاء والهندسة في مصنع بمدينة "كلنتون" بولاية "أيووا" بالإضافة إلى ندبه مع من ندبوا لمشروع الطاقة الذرية في جامعة شيكاغو "وأوك ريدج" في تنسي. وهو متزوج ويعيش الآن مع زوجته وأربعة أولاد على مقربة من تلك البقعة القديمة حيث أقام جده شركة "دبونت" في عام 1802.

أصبحت منذ منتصف ليلة من الليالي في عام 1909، وهي الليلة التي استمعت فيها لصراخ أمي، ألتمس السبيل إلى معتقدات أستعين بها على متاعب هذه الحياة وضيقها وقد كان صوت والدي، وهو يحاول تهدئة أمي، صوتاً خافتاً حزيناً. وحين اشتد بهما الجزع نسيا أنهما على مقربة من مضجعي.. ولكني سمعتهما وكنت يومئذ في السابعة من العمر. ومع أن المشكلة التي أثارتهما حينئذ، قد حلت منذ زمن بعيد وأصبحت نسياً منسياً، فإن ما انكشف لي في تلك الليلة لم يزل حقيقة ماثلة أمام عيني.. تلك هي أن الحياة ليست كلها حباً وأزهاراً، ولكنها في الغالب تصطبغ بالقسوة والمرارة التي يشعر بها معظمنا. أن لنا جميعاً متاعبنا، وإن اختلفت في طبيعتها.. هذا ما بدا لي أن أتعلمه وقتئذ، بل تلك هي العقيدة الأولى التي تعلمتها.

وفي رأيي أن الجنس البشري قوي الشكيمة شديد البأس، من الصعب أن يتطرق إليه اليأس. ولو كان الأمر غير هذا لما عرفت في قاموس البشرية منذ الأزل كلمات: "الضحك" و"الغناء" و"الموسيقى" و"الرقص" وما إليها. لقد أوحى إلي هذا الرأي أن أفخر بنفسي كإنسان. وفي رأيي أن نسيج كل إنسان منا ينطوي على الخير والشر. تلك هي الحقيقة التي

لم أستطع تبيانها على الصورة القوية الفياضة التي جاءت في عبارة "توماس مان" إذ تحدث عن "الثنائية شديدة التطرف" بين العقل والبهيمية في الإنسان وتلك هي الظاهرة التي نشترك فيها جميعاً.

وهذا الاعتقاد يشد من أزري.. لأني كلما تذكرت قوى الشر التي تسيطر على تصرفاتي دائماً، وتذكرت في الوقت نفسه ذلك القبس من النور المقدس الذي يضيء جوانب نفسي، تضاءلت أمام عيني في ختام كل يوم تلك المقاييس التي أقيس بها أخطائي وأسباب ضعفي. وتفصيل ذلك أن "حذرك من الشر إن هو ألا كسب لنصف المعركة ضده".

إني أؤمن بالسعي في سبيل الخير، ومحاولة فهم الناس والصفح عنهم.. خصوصاً إذا حاول الإنسان أن يتسامح مع الأذكياء والحساسين من الناس. إن الإنسان قد يكون عبقرياً، ولكنه قد يأتي من الأشياء ما يحطم قلبك تحطيماً.

أعتقد أن معظم أفكارنا النبيلة السامية ـ إن لم تكن كلها ـ نافعة ومفيدة، وأن كثيراً من أروع أعمالنا يجب أن يبقى سراً لا نبوح به، أو أن يبقى كذلك على الأقل حتى مماتنا. ولطالما سبب لي هذا شيئاً من الارتباك ولكني أدرك

الآن أن تلك الأعمال المجيدة التي نعملها ولا نستطيع أن نتكلم عنها، إن هي إلا قبس خفي من حياة مستقبلة خير من هذه الحياة.

وأعتقد أنه لا مفر لنا من التزام تلك القاعدة التي تحتم علينا القيام بسلسلة أعمال ضئيلة، لأنها الطريق إلى تحقيق أمر واحد عظيم.. تلك هي القاعدة التي توحي إلينا بالصبر، حينما تشتد حاجتنا إليه.

وهنا أجدني أقوى على تحمل مسؤولية أعمالي، أو بتعبير أدق، أستطيع أن أكون أميناً مع نفسي. وقد يكون هذا مستحيلاً أو شبه مستحيل أحياناً، ولكنني على ثقة من أني أحاوله دائماً.

وأخيراً - بل أهم من هذا كله ـ إيماني بالله.. إني مؤمن بوجود إله حكيم قادر على كل شيء هو الذي خلق هذا العالم، وهو الذي يسيره على النحو الذي نعرفه نحن البشر. هذا الكون بما فيه من نجوم مضيئة، وسدوم، وأقمار، وكواكب، ونساء جميلات، وأشجار، ولآلئ، وعشب أخضر، وبما يجيش في صدور أبنائه من آمال في السلم، ودعاء الله أن يحققه.

لست ألعب للنظارة

لروبرت دوير

كان والد "روبرت بوبي دوير" من لاعبي كرة السلة، وقد اشترى له أول زوج من هذه الكرة حين كان في العاشرة من عمره. وما أن مضى على ذلك ست سنوات حتى كان "بوبي" يساهم في هذه اللعبة بوصفه الظهير الثاني لإحدى فرق ساحل الباسيفيك. وما لبث أن أصبح من كبار اللاعبين المحترفين، وقد تفوق على تسع فرق من الفرق العالمية والآن وقد اعتزل اللعب عقب خمسة عشر موسماً رياضياً من مواسم كرة السلة، فإنه يعيش مع زوجته من إيراد مزرعة تبلغ مساحتها نحو مائة وستين فداناً على مقربة من أجنس في ولاية أوريجون.

يبدو لي أن معتقدات المرء ـ كيفما كانت ـ تتوقف على الطريقة التي يسلكها في حياته.. لقد أمضيت شطراً طويلاً من حياتي كلاعب محترف لكرة السلة وطبيعي أن تكون هذه اللعبة التي أعيش منها أمراً يهمني في حياتي الشخصية. لقد علمتني هذه اللعبة أشياء كثيرة عن الحياة.. جعلتني أشعر بقسط كبير من السعادة، بل أرجو أن تكون قد خلقت في شخصية أقوى. تعلمت أنه لو أتيح لي استخلاص الكرة من قبضة الفريق الآخر لكان في ذلك مدعاة لسعادتي أكثر مما لو قمت بحركة من الحركات المظهرية التي لن تجدي نفعاً إلا اغتباط النظارة. وتلك هي نفس الفكرة التي أرى جدواها في الميادين الأخرى من الحياة غير كرة السلة. وتفصيل ذلك أن ما أقدمه من خدمة لجار أو لصديق أو لقريب، تكون أمتع لنفسي من عمل يقتصر علي وحدي حتى ليخيل إلي أن كل فرد إن هو إلا زميل لي في حلبة كرة السلة في هذه الحياة الدنيا كلها.. وأن خير الأشياء هو ما قربني للناس، وأن شرها هو ما باعد بيني وبينهم.

وثمة عقيدة أخرى آمنت بها، تلك هي أن الأعمال التي أجيدها هي المقياس الذي أقيس به نفسي.. فإذا لم أستطع إتقان شيء كان اسمي وسمعتي هباء. ولقد فكرت في ذلك في

ربيع عام 1951 حين قلت لفرقتي أني لن ألعب في عام 1952. ولم أنته إلى هذا القرار إلا حين تأكدت من عجزي عن القيام بدور هام يرضي هؤلاء الذين يدفعون لي راتباً في مقابل رؤيتي وأنا أخترق الحواجز. ولست أدري كيف يطيب للإنسان أن ينعم بنجاح أو بشهرة لا تكون ثمناً لمجهود، وإنما الذي أعرفه هو أني ما استسغت مديحاً أو ثناء إلا وكان مرده إلى شعوري بما بذلت من جهد حقيقي أستحق عليه الثناء. وطالما تحدث زملائي في الفرقة عن الحظ، يعزون إليه نتائج النجاح والإخفاق في الملعب وخارج الملعب، حتى لقد يحمل بعضهم كعب أرنب أو أداة من أدوات السحر الجالبة لحسن الحظ، أو يلجأ إلى شيء من التعاويذ أو مراسيم الشعوذة يهيمن بها على سير المقادير تبعاً لما يرضاه. والحق أني لم أستطع الانسجام مع نفر كهؤلاء، بل طالما شعرت أن ما يصيبني من حسنة أو سيئة مرده إلى أمر أعمق وأهم مما يبدو في الظاهر. ويخيل إلي أن الكثير مما يتحدث به الناس عن حسن الحظ إن هو ألا توفيق من عند الله، ولست أستطيع أن أتصور إلهاً سامي الحكمة سامي القدرة لا يبالي بما أقوم به من أعمال في حياتي.

وإيماني بهذا هو الذي يصرفني إلى القيام بتلك الأعمال التي أستحق من أجلها رضاء ربي وما يسبغه علي من نعماء.

وقد يكون هذا هو أهم شيء في الحياة كلها.. وأقصد به فعل الخير لتكون أهلاً للخير. لقد صادفت في حياتي الخاصة عدداً من الأعاجيب والخوارق، ولي تاريخ حافل مجيد في لعب كرة السلة، جوزيت عليه أحسن الجزاء وقوبلت من أجله بالكثير من آيات التقدير والترحيب. كنت أحب زملائي في الفرقة حباً جماً، ولكن الذي يعنيني في هذا كله هو أني عرفت أفضل قوم يطمع إنسان في معرفتهم. ولعل من أعظم ألوان المتاع التي استمتعت بها كان بذلك قصاري الجهد.. فكثيراً ما أقوم بأعمال ابتغاء إدخال السرور على نفس أبي وزوجتي وابني، إذ أجد في ذلك السبيل إلى مكافأتهم على ما لقيت منهم من تشجيع وخدمات.

ولعل خير وسيلة للتعبير عن هذا كله، هو اغتباطي بتلك الدائرة التي تحيط بي.. وبودي لو يغتبط الناس بمثل هذا أيضاً.

إني سعيد بوقتي

بات فرانك

بات فرانك من أهل شيكاغو ، ولكنه لم يترك جزءاً من أجزاء هذا العالم إلا كتب عنه. لقد بدأ حياته مراسلاً للصحف في فلوريدا ، ثم اشتغل مديراً لمكتب واشنطن في وكالة أنباء ما وراء البحار ، ثم كان مساعداً لمكتب العمليات في جنوب المحيط الهادي ، ثم اشتغل مراسلاً حربياً في الجبهة الإيطالية ثم في الشرق الأوسط وأوروبا الوسطى وقد صاغ ذكرياته عن الحرب وأيامها ، في ثلاث روايات. وهو الآن في الخامسة والأربعين من العمر ، يوجه كامل نشاطه إلى كتابة القصص ، ويعمل في داره تحيط به الكتب والآلة الكاتبة ومطفأة السجاير وخريطة العالم.

حدث في عام 1945 أن تتبعت جيوشنا إبان اندفاعها الأخير في جنوب إيطاليا.. ثم طرت إلى برلين لحضور مؤتمر بوتسدام. وكان مراسلو الصحف الأمريكيون قد أسكنوا في ضاحية "زهلندورف"، فأسكنت في منزل من نوع المنازل التي تسكنها الطبقة الوسطى في شارع محفوف بالظلال. وكان يسكن معي في هذا المنزل أيد مرو. ولم يكن يقيم في هذا المنزل من الأمريكيين غيرنا نحن الاثنين.

وكان الروس قد احتلوا زهلندورف قبل الأمريكيين، فأخذوا ما في المنزل من أغطية الفراش والبطاطين. ولكن كانت لدينا أغطية سرائرنا، وكان يملك المنزل زوج وزوجة تقدمت بهما السن. وكانا يسكنان في الجراج. وقد خاف الرجل وزوجته منا في أول الأمر، فقد قيل لهما أن الأمريكيين من البرابرة، وأننا سنأتي على كل ما في المنزل ونأخذ منه ما خلفه الروس.

ولكنا طلبنا منهما أن يعودا للسكنى في منزلهما.. وبما أنا تعودنا السفر الطويل أنا وصاحبي مرو، فقد كان لابد لنا أن نحمل معنا الأشياء الهامة التي لم يكن للمراسلين في هذه الأيام قدرة على الاستغناء عنها.. مثل اللحم المحفوظ واللبن والصابون والشاي ومواد التموين الأخرى والزبد. ولقد أعطينا

هـذا كلـه للـزوجين الهـرمين، وطلبنـا إليهمـا أن يـديرا شـؤون المنـزل ويأخـذا لنفسـيهما مـا أرادا.. فمـا كـان منهمـا إلا أن شكرانا على هذا شكرا مضطرباً حزيناً يبعث على الأسى.

وفي اليوم التالي، وجدنا أزهارا في غرفتنا، فأدركت أننا أصبحنا وهـذان الزوجـان أصدقاء... فوجود آنية من الزهـر في هـذا الوقت الـذي كانـت فيـه بـرلين مسـرحاً للمـوت والـدمار تنبعث منها رائحة الجثث، أمر يثير الدهشة.

لقد أتيحت لي فرصة الاجتماع بشعوب الدول الثلاث التي ناصبتنا العداء في الحرب العالمية الأخيرة: الألمان، والإيطاليين، واليابانيين. ولقد كنت أعتقد على الدوام أن عناصر الجنس البشـري كلها واحـدة لا تختلـف في جوهرهـا عـن بعـض. وفي اعتقادي أن الدليل على صدق كلامي هذا، هو ما اتضح الآن من أنهم أصبحوا حلفاء لنا. فمنهم الحليف الفعلي، ومنهم من هـو علـى اسـتعداد للانضـمام إلينـا. وأنـه لمن الأسـس الثابتـة أن العطف يورث العطف، والبغضاء تورث البغضاء.

لقد شهد جيلنا مأساة الدم في حربين عالميتين، وربما قدر له أن يشاهد المأساة الدموية الثالثة التي تتضاءل أمامها أهـوال الحـربين الماضيتين. ولكـني لـو خيرت لما اخترت أن أعيش في وقت غير هـذا، أجد فيه مثل هـذا العوض الضئيل من أزهـار

تقدم بروح الصداقة، وأعمال توحي بالأمل كميلاد هيئة الأمم المتحدة.

وإذا كنت أعيش في وقت مليء بالمتاعب، فإني أدرك أيضاً أني أعيش في وقت تتاح فيه أعظم الفرص.. فلقد أوتيَ لي بوصفي مراسلاً وكاتباً، أن أشهد التاريخ يكتب وأن أرى تلك الحوادث التي تقرر بقاء المدنية أو زوالها. لقد تبينت المرة بعد المرة أهمية الخلق الفردي وقيمته في تكييف مستقبل أبنائنا، وهل يحق لهم أن يعيشوا ويفخروا بنا. وأني لعلى بينة من أني لن أستطيع الهرب من مسؤوليتي التي تلزمني تطبيق ما تعلمت من دروس، ذلك أن عليّ ـ رغم أخطائي وأسباب ضعفي ـ واجباً نحو نفسي، ونحو هذا العالم الذي أعيش فيه.

ولعلي لن أتبين ما لهذا الواجب من أهمية على وجه التحقيق، ولكن يجب علي أن أعيش بالطريقة التي ترضيني، بحيث لا أخجل أبداً من كيفية أدائي لهذا الواجب.

النصر للإيمان

لهربرت هوفر

ولد هربرت هوفر فقيرا في برانش الغربية من أعمال "ايوا" ، وقد التحق بجامعة ستراتفورد ، فتخرج منها مهندساً في التعدين وذهب بعد ذلك إلى أستراليا موفداً من شركة بريطانية للمساهمة في بعض الأعمال الهندسية في تلك البلاد ولما عاد تزوج من زميلة تخرجت معه.

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى ، التحق بوظيفة خطيرة في لجنة الإنقاذ الحربية البلجيكية وعين بعد ذلك وزيراً للتجارة ، ثم رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في عام 1929.

كان تخصصي في العلوم الهندسية وهي دراسات تهدف إلى الاهتداء للحقيقة، وتطبيقها بما يعود على البشرية بالفائدة. ومذ أخذ العلم يتقدم، تعرضنا لسلسلة هجمات من جانب جماعة من الملحدين واللاأدريين، ذهبت إلى أن ثمة صراعاً بين العلم والدين لن يهدأ له بال حتى يقضي على الدين.. ولكني لم أؤمن بهذا، فأنا لا أرى أن العقيدة الدينية هي التي كتب لها النصر فحسب، ولكني أعتقد في نفس الوقت أن انتصارها أمر حيوي للبشر. إننا قد نختلف من حيث أسس العقيدة الدينية وتفاصيلها الظاهرة ـ وتلك مسائل يراها كل منا في أعماق نفسه مقدسة، ومن حقنا أن نرفض النقاش فيها ــ ولكن ثمة أساساً واحداً تقوم عليه كل العقائد الدينية...

وتفصيل ذلك أن اكتشافاتنا العلمية قد أثبتت أن الكون يخضع لقوانين علمية صارمة، تتحكم في مسالك النجوم كما تتحكم في تركيب الذرة، ولابد من وجود قوة عليا قاهرة هي الخالقة لهذه القوانين. وجاء حين من الدهر تميز فيه الإنسان عن الحيوان، فدبت فيه الروح وانبثق معها الضمير كما انبثقت منها المثالية الأخلاقية والروحانية الظامئة، وأنه لمن المستحيل أن ننكر أن من وراء هذا كله قوة إلهية تهدف

لغرض. وفي اعتقادي أن التعبير عن هذا كله لن يكون إلا عن طريق الإيمان الديني.

وأنك لتجد أن الآباء الأول استناداً إلى عقيدتهم الدينية قد حددوا تحديداً تاماً ذلك القانون الأساسي الذي انتظم التقدم البشري منذ القدم.. حدوده بقولهم أن الخالق أسبغ على الإنسان سلسلة من الحقوق لا عدوان عليها، وهي حقوق يجب أن يحميها القانون والعدالة من أي اعتداء.

ولقد ذهب فلاسفة الإلحاد والتشكك إلى المناداة بأن التقدم إنما يقوم على أسس مادية بحتة، ولكن من أين أتت الأخلاق، وأتى هذا النزوع الروحي، والإيمان، وآمال الإنسانية في العدالة والحرية الفكرية.. وهي الأسس التي يقوم عليها تقدمنا؟

الحق إن كل المجتمعات التقدمية النامية تسجل إيمانها بالله، في حين أن المجتمعات التي دب فيها الضعف يعوزها هذا الإيمان وتكفر بالله.

العاطفة الإنسانية تربط بين البشر

للويس هوسكينز

لويس هوسكينز هو رئيس الهيئة التنفيذية لجماعة تحمل جائزة نوبل لقاء ما قدمت من خدمات لقضية السلم العالمي. وقد ولد في بلدة متواضعة بسيطة بولاية أوريجون ، واكتسب خبرة بشؤون العالم من تجواله في ربوعه ، وهو يحمل لقب الأستاذية والدكتوراه في التاريخ وكان في فترة من الفترات أستاذاً للتاريخ وعميداً لكلية باسيفيك ، واشتغل بالتدريس بعض الوقت في الصين وفي الفترة بين عامي 1945 و 1948 كان يعمل مع وحدة من وحدات الكويكر في الصين ، وكان مديراً لأحد المستشفيات في مقاطعة هونان وقد أشرف على إعداد الكثير من مشروعات الترفيه في أوروبا والشرق الأقصى.

كان عسيراً على رجال وحدة "الكويكر" التابعة لنا أن يواصلوا خدماتهم الطبية إبان حرب العصابات العامة الأهلية في الصين، وكان ذلك بسبب ما واجهنا من عقبات، في وقت كانت فيه الحاجة ماسة إلى هذه الخدمات الطبية. وقد كانت لهذه الوحدة قيمتها عند الطرفين المتحاربين، ولكن مصيرها في الواقع كان مرتبطاً بمصير المعركة.. مثال ذلك أن أحد مستشفيات الكويكر كان يخضع لهذا الجيش مرة وللجيش الآخر مرة أخرى حتى لقد حدث ذلك ست مرات في عشرة أيام.. ولكن المستشفى مع ذلك، ظل يقوم بمهمته خير قيام. ولما كان من الضروري لنا أن نثبت شخصيتنا لكل من الفريقين المتحاربين، فقد تحتم علينا المرور عبر الأراضي المحايدة. وفي هذه الحالة كنا إذا استطعنا، في لباقة، أن نفلت من أحد الجيشين، اضطررنا إلى الاتصال بالجيش الآخر في المنطقة الأخرى برغم ما يكتنف ذلك من صعوبة ومشقة.

وإني لأذكر مغامرة من هذا النوع، كان يتعين علينا فيها مفاوضة السلطات الشيوعية لتوفير أسباب العلاج لتلك المنطقة التي تدور فيها رحى الحرب. وهنا وصلنا إلى منطقة متنازع عليها، وإذا بجندي شيوعي واحد يقبض على عضو صيني معي في الوحدة. لقد كان هذا الجندي صبياً لم يتجاوز

الرابعة عشرة في الغالب، وكان يبدو شبحاً مذعوراً.. وكنت حينئذ على بينة من الفوارق التي تفصل بيننا، وهي فوارق في القومية والجنس واللغة. ولا شك أنها فوارق طبيعية، تضاف إليها فوارق أخرى غير طبيعية هي وليدة الظرف القائم أو وليدة الدعاية، وأقصد بها الخوف والريبة والكراهية. لقد كنت أنا هناك ممثلاً لهذه الدولة التي أقنعته الدعاية بأنها عدو وطنه، ومع أني لم أكن مسلحاً في ذلك الوقت إلا أني كنت عرضة للاتهام بالخديعة والوقيعة.

طال الحديث بيننا برهة من الزمن، وأخيراً سمح الجندي الشيوعي لزميلي أن يعود إلى إخواننا أعضاء هيئة المفاوضات، ولكنه قبض علي وحدي كأسير. ومرّت بيني وبين هذا الجندي الصيني فترة عشرين دقيقة. وهو هائج شاكي السلاح، حاولت في أثنائها الاستيلاء على عواطفه وإقناعه بكل ما أوتيت من صراحة. لقد حاولت أن أنفذ إلى أعماق روحه الطيبة الخيرة، متوسلاً بسلطان المودة والصداقة. وبينما أنا أتحدث إليه في حالة جزع بالغ باللغة الصينية، حديثاً تناول شتى الموضوعات اليومية، مستهدفاً إقناعه بحسن نيتي ورغبتي في مساعدة شعبه، إذا بي أوفق إلى طريقة استطعت بها تحطيم الحواجز القائمة فيما بينها واستدرار عواطفه الطبيعية وروحه

الإنسـانية. وبيـان ذلـك أنـني أطلعتـه علـى صـورة ابـنتي الطفلـة واستدرجته من ذلك إلى السـؤال عـن عائلتـه، فقـال أن لـه أختـاً طفلـة في منزلـه وأخـاً أكـبر منـه يعمـل كـذلك جنـدياً في الجيش، وهنـا، وعلـى غير قصـد منـه فيمـا أعتقـد، تخلـى عـن بندقيتـه. وسـرعان مـا أفهمتـه بلغـتي الصـينية الركيكـة مهمـة الوحدة الطبية لجماعة الكويكر ولماذا جاءت إلى هـذه البقـاع يحـدوها الأمـل في أن تنشـئ عـرى الصـداقة بينهـا وبـين هـذا الشعب، بما تقوم به من خدمت فنية. وهنا تلاشى من نفسه ما حملتـه إليهـا الدعايـة مـن ريبـة وبغضـاء، واسـتطعت مـن هـذه اللحظـة أن أسـيطر علـى العنصـر الإنسـاني فيـه، وأن أثـير في جانبـه الروحـاني الاسـتجابة الكاملـة لعـواطفي نحـوه، وحـين وصلت بقيـة أعضـاء وحـدة الكـويكـر، وافـق الجنيـد الصـيني على أن يقودنا إلى المركز الرئيسي، حتى نستطيع القيام بما أوفدنا لإنجازه مـن مفاوضـات، وأنـا إنمـا أورد لـك هـذه القصـة تبياناً لما أؤمن به من ثقة في الله، ومـن وجـود صـلة خفيـة تـربط بـين البشـر جميعـاً.. تلك الصـلة الـتي لابـد منهـا لتحقيـق السـلم والتفاهم.

الأمانة أساس النجاح

لجون هيوز

ولد جون هيوز في مزرعة جميلة في مقاطعة توناجهام في إيرلندا ، وقد أصبح يتيما في الثانية من عمره ، وقدم إلى الولايات المتحدة وهو بعد شاب ، ثم انخرط في سلك الجندية ، وخدم في الحرب العالمية الأولى وسرح مكرما في عام 1918.

وهو رجل ضئيل الجسم ولكن ممارسته للرياضة إبان شبابه قد أسبغت عليه الصحة والقوة وهو يعمل الآن سائقاً لإحدى سيارات الأجرة.

في اعتقادي أن الأمانة من خير ما وهبه الإنسان.. إنهم يطلقون عليها في هذه الأيام أسماء خيالية كالاستقامة والعدالة ونحوهما، ولكن للناس أن يطلقوا عليها ما شاءوا من الأسماء ولي أنا حق الاعتقاد في أن "الأمانة" هي الكفيلة بأن تخلق المواطن الصالح. ذلك هو دستوري الشخصي الذي أتقيد به في حياتي.

لقد ظللت سائقاً لسيارة أجرة مدة خمسة وثلاثين عاماً، وأعرف ما يكتنف هذا النوع من العمل من سيئات ومتاعب كثيرة. أن سائق السيارة لابد أن يكون على شيء كثير من الخشونة والصلابة، وأن يكون قادراً على ضوضاء المرور وقسوتها في المدن الكبرى ثماني ساعات في كل يوم على الأقل، ومن هنا كان اعتقاد الناس في رداءة هذه الطبقة اعتقاداً خاطئاً ظالماً، لأن سائقي سيارات الأجرة ليسوا إلا بشراً كسائر البشر، بل أن أغلبهم قوم أمناء شرفاء. إنك تقرأ في الصحف كل أسبوع عن أموال أو ودائع عثر عليها في السيارات ثم ردها السائقون إلى أصحابها. فلو لم يكن سائق سيارة الأجرة أميناً، لما قام برد ما عثر عليه في سيارته من مال أو متاع.

وحدث ذات مرة في بروكلين أن عثرت على خاتم من الزمرد في سيارتي، وأذكر في ذلك اليوم أني كنت قد حملت في عربتي سيدة معها عدد كبير من اللفائف، وكان علي أن أرد لها هذا الخاتم فتتبعتها، وكلفني اقتفاء أثرها مجهود يومين حتى عثرت عليها. ولم ألق على ذلك شكراً، ولكني كنت بعملي هذا أسعد حالاً منها.

لقد ولدت ونشأت في أيرلندا، وعشت فيها حتى بلغت سن التاسعة عشرة.. وجئت إلى هذه البلاد في عام 1913 حيث زاولت أعمالاً كثيرة مقابل عدد ضئيل من الدولارات في اليوم، قبل أن أتطوع للخدمة في الحرب العالمية الأولى.

وما أن انتهيت منها حتى اشتريت لي سيارة، وقد ظللت منذ ذلك الوقت أمتلك لنفسي سيارة. ولم يكن هذا العمل سهلاً في بعض الأحيان، ولكن زوجتي كانت تدبر شؤوني المادية، فادخرت منه ما يلزمنا في أوقات الأزمات.

ولم تصادفني إبان السنين الطوال التي عملت فيها سائقاً، أية متاعب من جانب الجمهور، ولست أستثني من ذلك مدمني الخمر ـ ذلك لأني حرصت على أن أكون رقيقاً حليماً هادئ الأعصاب حتى مع المتعنتين. وطالما سألني الناس عما

يجود به الركاب من "بقشيش" يضاف إلى الأجرة فأقول إن الذي أعرفه في هذا الصدد هو أن كل راكب تقريباً يعطيك شيئاً، ذلك أن معظم الأمريكيين على شيء من الكرم، وأنا أحاول على الدوام أن أكون رقيقاً في معاملة كل إنسان سواء أعطاني هذه الهبة أو لم يعطني إياها. وأنا شديد الإيمان بالله وأحاول دائماً أن أكون عضواً صالحاً في المجتمع وأعامل الناس، بما يرضي الله، معاملة طيبة. وقد دأبت على ذلك منذ زمن طويل، ولذلك أجد الحياة كلما تقدم بي العمر، تزداد سهولة ويسرا.

الإيمان خير زاد

لجيريد انجرسول

تخرج جيريد انجرسول في برنستون، وهو من موظفي السكة الحديدية الناجحين في عملهم. وهو يرأس شبكة من الطرق الحديدية في الجنوب الغربي، وعضو في إدارة سكة حديد بنسلفانيا وهو في نفس الوقت مدير اتحاد صناعة الفولاذ في الولايات المتحدة وشركة الزيت الأطلنطي، وشركة التأمين في أمريكا الشمالية واتحاد فلبس دودج

أشعر بمزيج من الجرأة والاضطراب، حين أحاول أن أفصح علانية عن الأشياء التي أؤمن بها.. ولكنني أعتقد في نفس الوقت أن المشاكل الإنسانية تقوم على شيء من الارتباط أو التشابك فيما بينها. ولو بدا للناس أن يقارنوا تجاربهم بعضها ببعض، فلربما تمخضت هذه المقارنة عن عناصر مشتركة بين هذه المشاكل، تيسر الطريق لحلها جميعاً.

أنا رجل سعيد الحظ، لأني أحيا حياة كاملة سعيدة فيما أعتقد. نعم، أقول ذلك برغم أنه قد مرت بي في حياتي صدمتان قاسيتان. لقد سقطت زوجتي الأولى من قمة جبل، ذات يوم كنا نمارس فيه رياضة الانزلاق على الجليد، فماتت.. وكان ذلك بعد ثمانية عشر عاماً من حياة زوجية سعيدة. أضف إلى ذلك أن أبني الوحيد المهندس في سلاح الصيانة قتل في إيطاليا إبان الحرب الماضية.. ومع ذلك فلم يكن من شأن هاتين الفاجعتين أن تفقداني صوابي، فاستطعت أن أدخل السعادة على نفسي من جديد. ولكني لا أريد أن يفسر هذا بأني إنسان جامد العاطفة.. إذ الواقع أن هاتين الكارثتين قد أثقلتا كاهلي، ولكن عاملين أساسيين ساعداني على الاحتمال فيما أعتقد، أولهما أني أصبحت أنظر إلى الحياة على أنها نوع من المقامرة، وثانيهما الإيمان بالدار الآخرة.

واستناداً إلى هذين العاملين، أحاول جهد الطاقة أن أحيا حياة كاملة.. حتى إذا ما ساء حظي لم يكن ثمة مبرر للأسف أو اتهام الظروف بأنها المسؤولة عما أسرفت فيه أو أضعت من وقت. أما عن عقيدتي في الدار الآخرة، فتلك فكرة قلما استطعت أن أتبينها بشكل ملموس.. ولكنها بلغت مني مبلغ الإيمان العميق الذي يسيطر على عواطف رجل من غير رجال الدين. تلك هي فكرة الإيمان بالله التي لو بدا لي أن أصفها أو أن أدافع عنها استناداً إلى المنطق الجامد، لأعيتني الحيلة. ولكن من العسير على أي إنسان أن يحملني على العدول عنها.

لقد أصبحت الآن أعتقد أني مدين للحياة بقدر ما هي مدينة لي، ولعل هذا يفسر ما أشعر به من غبطة حين أحاول القيام بما يعهد إلي من عمل على خير وجه أستطيعه وحين أمد يد المعونة لغيري من الناس.

وكنت إبان طفولتي مكلفاً بتمهيد الأرض في الحقول، وقد هالني وقتئذ أن علي تنظيف هذه الحقول تنظيفاً كاملاً.

ولكني اكتشفت في غمرة العمل أن الجهد المضني والمسؤول ينطويان على متعة حقيقية، كما أن القيام بالواجب ليس من قبيل الكدح المضني.

ولست أعرف السبب الذي من أجله أحب خدمة الناس. ولست أقصد بهذا تحمل التبعات العائلية أو العمل في المستشفيات المتنقلة أو المنظمات الدينية فحسب، ولكن تستهويني أيضاً أقل الأعمال قيمة.. تلك الأعمال التي قد لا تكون خليقة بما يبذل فيها من وقت. ويقع مكتبي في ميدان كبير، ولذلك تتاح لي الفرصة من حين إلى حين أن أرشد سائحاً أو أزوده بشيء من تاريخ البلاد ، وهذه الخدمات ـ على تفاهتها ـ تعود على من يلتزمها بالخير الكثير. لقد عادت علي أنا نفسي بأعظم خير، بل بأكثر مما أستحق بلا شك.

البشرية لم تزل في المهد

للويد جوردان

يعمل لويد جوردان الآن طياراً في خطوط الملاحة الجوية في الشرق وقد كان قائد فرقة من فرق قاذفات القنابل التي عملت في الحرب العالمية الثانية ، فحصل على أعظم الأوسمة وتزوج بمن أحبها في صباه ، ويعيش هو وزوجته وأولاده الثلاثة في جزيرة رائعة على ساحل فلوريدا في وسط مزرعة قديمة من مزارع جوز الهند. وهو من هواة الألعاب الرياضية : يعشق الجولف والتجديف وصيد السمك بالحراب.

حدث ذات مرة ـ حين كنت أحلق بإحدى قاذفات القنابل في سماء أوروبا ـ أن آمنت بأبدية البشر. ولم تكن تلك اللمحة وليدة هزة عاطفية من نسيج الخيال المسرف، وإنما تمخضت تلك العقلية التي أرهقتها ويلات الحرب الذرية بألوان من المرارة لا حدَّ لها، عن حقيقة واحدة، هي أنك "ستعرف الحقيقة وستتحرر نفسك بهذه المعرفة". كنت أطير وقتئذ فوق جبال الألب، ومرت في مخيلتي ذكرى هانيبال وهو يعبر هذه الجبال.. مرت أمامي مرور السحاب تستتبعها صور من تاريخ الحروب البشرية كلها. نظرت من حولي إلى الجهاز الذي يقذف القنابل وإلى ما أحدثته القنابل من أثر في معالم الأرض التي أطير فوقها.. فتذكرت على الفور أن هذه الحرب إن هي إلا واحدة من آلاف الحروب التي كتب على البشر أن يخوضوا غمارها، وهي مع ذلك لم تعقهم عن التقدم. فأيقنت حينئذ أن الإنسان مثله كمثل الشمس المتقدة، والسماء العطوف، والأرض وما عليها من آيات الله.. قد كتب له الخلود، وجعلتني تلك الحرارة التي سرت إلى هذا الوادي الدامي، مقترنة بهذا الوحي المقدس، أوقن آخر الأمر أني هنا أجسد السبيل إلى لون من ألوان السعادة التي كان من العسير علي أن أجدها. فانظر كيف أن الحياة الموحشة التي كان كل يوم فيها يعتبر ميلاداً جديداً قد لا يأتي عليه الغد، تستحيل إلى أمل جديد في حياة

مستقبلة. وتلك حقيقة إذا ما نبتت في تفكير الإنسان لابد أن تخلق له دنيا أخرى يستطيع الحياة فيها. على أن هذا الوحي الذي شعرت به أخيراً، لابد وأن يدركه أولادي عن طريق غير طريق المصادفة، لأني طالما علمتهم ما كتب للإنسان من خلود بالإضافة إلى آيات الله التي تحيط بنا في السموات والأرض.. تلك الآيات التي أبدعها الفنان الأعظم، من تصوير للسماء في مشرق الشمس ومغربها، ومن الوردة ذات العبير العبق، ومن الروح البسيطة التي تندس في ميلاد حمل جديد، ومن الجبال الشامخة التي كساها الثلج لونها الإرجواني، ومن البحار التي تخفي في أعماقها عوالم أخرى وتخفي عنا أشياء لا حصر لها ولا عد ومن النجوم التي تتلألأ في كبد السماء وهي تبعد عنا بملايين الأميال.

لقد تعلم أولادي أن هذه الأشياء من صنع الله، وأنها أبدية كالموسيقى واللوحات الفنية التي يسر الله لنا أسبابها لتكون رمزاً لخلود أساتذة الفن الكبار الذين أبدعوها.

ولكن أولادي سألوني قائلين: "لقد قيل لنا إن القنبلة الذرية تقضي لا محالة على العالم القضاء الأخير. أليس كذلك؟". إني أستطيع الآن أن أحدثهم، عن أبدية الإنسان، حديثاً قوياً مؤمناً، فأقول:

ـ لقد قال الناس ذلك يوم اختراع الرمح، ثم قالوه ثانية عندما أبدعوا القوس والسهم، وثالثة حين اخترعت البنادق والرصاص والطائرات والقنابل، ولكن هناك من فوق هذه القوى الهدامة كلها، قوة تفوقها جميعاً... وهي السبب في بقاء الناس على سطح الأرض حتى الآن أكثر عدداً وأصح بدناً، وذلك بفضل ما أوتينا من علم ومعرفة لم يتح مثلهما من قبل، فتذرعوا بالصبر يا أولادي على الرغم من هذه المآسي.

وسأقول لهم أيضاً: "إن البشرية يا أولادي لم تزل بعد في المهد طفلة مثلكم، إن عمر الأرض ملايين من السنين لا نعرفها، في حين أن عمر الإنسان نحو ستة آلاف سنة لا أكثر. إن البشرية ما زالت في دور النمو بالقياس إلى الحياة على سطح الأرض، ويمكن لنموها أن يقارن بنموكم.. إنها مثلكم ومثل أطفال الجيران: تتحاورون وتتقاتلون.. ولكنكم قد تتجاوزون عن ذلك وتعودون إلى اللعب والمرح والعمل من جديد معاً، وكلما نضجتم قل نضالكم بفضل ما أوتيتم من ذكاء.. وتلك صورة من هذا العالم".

وأنا إذ أورد هذه الحقائق لأولادي، أدعم إيماني بمستقبل البشرية بثقتي في طيبة قلب الإنسان ونقائه، كما أعتقد في

خلود روحه، وأنه جدير بأن يتبوأ مكانه الحق تحت الشمس، لأنه مطبوع على صورة من صور الله. إنى أؤمن مخلصاً بكل هذه الحقائق.. ولكن أهم من هذا كله، إيمان أولادي بها، لأنهم ومن في مثل عمرهم يعتبرون الفئة التي يتألف منها سلام الإنسان وسعادته في المستقبل.

كل يوم.. وحي جديد

لأندريه كوستلانيتز

لأندريه كوستلانيتز اسم من الأسماء التي تحمل معاني كثيرة عند كثير من الناس. فهو في نظر جمهور كبير من محبي الموسيقى في أقصى الأرض ، خير من يستمع لأسطواناته الفونوغرافية ، أما المحاربون في الحرب العالمية الثانية فكانوا يرون فيه خير منظم ومدير للأوركسترا في كل جبهة من جبهات القتال بين ألمانيا والباسفيك ، وفي نظر رواد الحفلات الموسيقية في كل مكان ، كان كوستلانيتز دائماً ولا يزال في طليعة من يديرون الأوركسترا ، وهو رجل فياض بالحيوية يعشق الأدب والفن والرياضة والفلسفة ، ولكن الموسيقى هي المهمة الأولى التي أخذت بلب هذا المؤلف الموسيقي روسيّ المولد.

حدث في يوم عيد القيام من عام 1945 وهو آخر أعوام الحرب أن كنت أنا وزوجتي في مرسيليا، وكنا قد سافرنا إليها طلباً للراحة أربعة أيام. وذلك عقب عودتنا من بورما، حيث كنا نرفه عن الجنود.. لقد كان يوماً رائعاً حقاً متألق الضياء، ولكنه لم يكن شديد الدفء. لم يكن هناك سائحون بالطبع، فقررنا السفر بالسيارة عبر "الريفييرا" إلى البندقية حتى نلتقي بفنان يدعى ماتيس، ولم يسبق لنا أن قابلنا هذا الفنان، ولكنا كنا نعرف جيداً ولده بيير في نيويورك.

ألفينا ماتيس يعيش في بيت متواضع، تطل حديقته المزروعة بالخضر على منظر فخم رائع من المناظر الطبيعية. ووجدنا في إحدى غرفه قفصاً مليئاً بمجموعة من الطيور الثائرة.

وكان المكان مزيناً بلوحات فنية أغلبها - فيما يبدو - من النوع الجديد، وقد أخذتني الدهشة مما أنتج من ألوان النبات فسألته قائلاً: "أنى لك بهذا الإيحاء؟"

فأجابني: "إني أزرع الخرشوف"

ولقد ابتسمت عيناه حتى رأى دهشتي، فاستطرد قائلاً: "إني أذهب إلى الحديقة في صباح كل يوم، فأراقب هذه

النباتات وأرى أشعة الشمس والظلال على أوراق النبات. وأن أستطيع الكشف عن مجموعات جديدة، ونماذج غريبة من الألوان أعكف على دراستها ذلك هو مصدر إيحائي بالفكرة التي أهرع إلى "الاستديو" لتصويرها".

لقد نالت من نفسي هذه الفكرة التي صدرت عن رجل، لعله أشهر مصور فنان على وجه الأرض اليوم.. لقد قارب الثمانين، فكان من الطبيعي ـ في نظري ـ أن يكون قد رأى أية مجموعة نباتية يمكن تصويرها من الذاكرة، وقد انعكس عليها الضوء والظل.. ولكنه، مع ذلك، كان يتلقى في كل يوم وحياً جديداً نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على الخرشوف. فكان ذلك مدداً يزود جهاز عبقريته بطاقة فياضة لا تنفد.

ولقد أخذتني الدهشة، فصرت أفكر فيما كان يفعل ماتيس لو أنه لم يذهب إلى الحديقة كل صباح. ولكني أدركت على الفور أن هذا الاعتكاف ليس من طبيعته. قد يبنى بعض الناس حائطاً حول نفسه، يحول بينه وبين الضوء، ولكن ماتيس ليس من هذا النوع.. فإنه يخرج ليرى العالم، وليكتشف ما فيه، حتى إذا ما كشف عن شيء استساغه وتشربه. ولكوني موسيقياً أرى أن الإيحاء أمر حيوي بالنسبة لي، ولكني أجد من العسير حصر مداه وتحديده. إنه شيء

أعظم من إحساسك بالحب. وعندي أنه يحمل معنى الكشف، بل هو عاطفة جامحة تستهدف شيئاً جديداً.. ثم هو يحمل معه قدراً من النظام وضبط النفس، مضافاً إليهما ما يشعر به الإنسان من قلق يجعله يثور على الأوضاع القديمة المألوفة.

على أن هذه القدرة تثير فيك الدهشة البالغة التي تستهدف تفسير ما تراه من ظواهر، مردها إلى سلطة أسمى من متناول الإنسان. وهذا هو نفس شعوري حيال الطبيعة، التي توحي إلي بكل ما أقوم بإنتاجه وابتكاره. وثمة أشياء كثيرة في هذا الكون أراني عاجزاً عن فهمها.. مثال ذلك، عجزي عن فهم التفسير العلمي الدقيق، لقدرة الناس على سماع أصواتنا وإدراك كلماتنا ورؤية أشخاصنا.. أو عجزي عن فهم التلفزيون وما ينطوي عليه اختراعه من إعجاز.

والواقع أن مثل هذه المخترعات وما يشابهها كانت منذ سنين قليلة من الخوارق التي يقصر دونها التفكير. وقد يكون سبب الحياة غامضاً بالنسبة لي، ولكن ليس معنى ذلك أنه لا يوجد سبب للوجود. أن مثلي هنا كمثل ماتيس والخرشوف، ذلك أني أستطيع النظر إلى هذا العدد غير المحدود من الأضواء والظلال التي تتراءى في ثنايا مقطوعة موسيقية، كما أستطيع أن أدرك ما تنطوي عليه من حقيقة.

احترام كرامة الفرد

للسيدة جون لي

السيدة "جون لي" سيدة أنيقة الطلعة متموجة الشعر. وهي أم لأربعة أولاد وجدة صغيرة لطفلين اثنين ، وهي تنتقل أسبوعياً من بيتها في فارمنجتون بولاية كونكتكت لمزاولة عملها بوصفها رئيسة اتحاد النساء الناخبات في الولايات المتحدة. أما زوجها فمهندس لاسلكي بحري متخصص في الطيران الحربي ، وهو يرى أن أحد أعضاء الأسرة يجب أن يخصص جهوده للون من النشاط السلمي.

لا مراء في أن والدي هو الشخصية التي كان لها أكبر الأثر في حياتي. كان مخترعاً وعالماً وذا عقلية محبة للاستطلاع. لقد شغف حباً بجمال الطبيعة وما ينطوي عليه من انسجام سيطر على مشاعره إلى أقصى حد. كان يؤمن بالناس، وكان هو نفسه رجلاً أميناً. وكانت روح المرح عنده طاغية، وكان عطوفاً رحيماً، كما كان نشاطه متدفقاً لا ينضب له معين. سأله أحد الناس يوماً، كيف توصل إلى اختراعه الجهاز المعروف باسمه ـ لتجنب الضوضاء، فأجابه قائلاً: "لقد اهتديت إليه عن طريق الإنصات لخرير المياه، وهي تنساب في الماسورة".

تلك هي العملية البسيطة التي كشفت لي عن أفق واسع للتأمل والتفكير، انتهى بي إلى إيمان راسخ بأن العقلية البشرية لا ينبغي أن تخضع لحدود، وأننا نستطيع ـ باستخدام هذه العقلية البشرية ــ أن نمضي قدماً نحو فهم حقيقة الإنسان، والكون الذي يحيط بنا. ومن شأن هذه المعرفة أن تحقق انسجاماً أقوى بين الإنسان والبيئة التي تحيط به، ولا ريب أن هذا هو الطريق لخلق عالم أفضل تطيب لنا فيه الحياة.

أذكر بعد ذلك أني كنت أجلس معه على ظهر سفينة في ليلة من ليالي سبتمبر.. كانت السفينة راسية في خليج صغير، وكان النسيم رقيقاً مشبعاً ببخار الماء. كنا وقتئذ نستطيع أن نتبين تلاطم الأمواج فوق قطعة صغيرة من الأرض... وكانت النجوم لامعة، وكنا نشاهد بين الفينة والفينة شهاباً منيراً يمرق في سرعة ع جيبة عبر السماء. وكان أبي شديد الوقع بعلم الفلك، فسرى تفكيري في آفاق لا نهاية لها.. وأحسبني استطعت أن أفهم عن هذا الطريق، أنه لا بد من وجود قانون ونظام في هذا الكون.

أجل.. إن الإنسان ليستطيع أن يلاحظ ـ بل هو قادر فعلاً على الفهم، وعلى تطبيق ما يفهم ـ وإنما ينصرف هذا التطبيق إلى خدمة الصالح العام. ولست أقصد الصالح العام لفرد أو لفئة قليلة، كما أنني لا أقصد الهدم، وإنما أقصد البناء من أجل البشرية قاطبة. ولقد امتاز كل من أبي وأمي بضمير اجتماعي يقظ، وكانا يؤمنان بأنهما رزقا من حسن الحظ قدراً موفوراً لم يتح لغيرهما، ومن ثم نبتت عندهما فكرة القيام بواجباتهما، كل في دائرته الاجتماعية. ومن هناك كان إيماني الشديد بأنه يجب علي أن أعطي أكثر مما آخذ، وأن الحياة التي تبعث على القناعة يجب أن تقاس بما تقدمه للناس من نفع.

وأني لأذكر ذلك النقاش الذي دار بيننا في المنزل، ومبلغ تأثيره على نفسي. لقد استعرضنا حينئذ مختلف الأفكار، كما فندنا ضروباً مختلفة من الأهواء. واسترنا بآراء جهابذة الفكر في تصدينا لعلاج كل مشكلة من مشاكل هذا العصر. ومن ثم علمت أن لكل فرد كامل الحق في التمسك بمعتقداته، وأن الهوى من شأنه أن يباعد ما بيننا وبين الحقيقة، وان العنف، وإن طال به المدى، لن يجدينا نفعاً، ومن هنا، وعن هذا الطريق، آمنت بأن الناس في كل مكان، يجب عليهم أن يقيموا أواصر التعاون فيما بينهم، مستهدفين غاية واحدة، هي النهوض بأحوال البشرية.

وفي اعتقادي أن ثمة مبدأ من أسمى المبادئ الباقية على الأيام، وهو في حد ذاته قانون أخلاقي فعال. ذلك المبدأ، هو احترام كرامة الفرد بوصفه عضواً في البشرية. واستناداً إلى هذا المبدأ، ينبع الشعور بالتضحية من أجل الصالح العام وعندي أننا لو ربطنا بين كافة الأفكار السابق بيانها ـ وهي رغم بساطتها الظاهرة أفكار جوهرية أساسية ـ ثم تعهدناها بأمانة وصدق، فأنا لن نواجه حينئذ أية عقبات تقف بين الإنسان وبين السمو الذي لا يدرك مداه.

إني أؤمن بالناس

دايفيد لوث

عمل "دافيد لوث" عشرة أعوام محرراً في جريدة نيويورك وورلد القديمة ، وسبعة أعوام في جريدة نيويورك تيمس الجديدة. وفيما بين ذلك كان محرراً وناشراً لأول صحيفة إسبانية تصدر باللغة الإنجليزية. وقد ألف عدة كتب في التراجم والتاريخ.

وهو يقول إنه مدين بكتبه وأسفاره الكثيرة لاهتمامه العظيم بالناس. وهو يعيش اليوم في وادي نهر هدسون على مقربة من مدينة نيويورك حيث يجمع بين الكتابة وهواية فلاحة البساتين.

إني أؤمن بالناس.. ومهما يكن من أمر الفوضى التي يبدو أننا حولنا العالم إليها، فإن الناس هم الذين حققوا كل التقدم الذي نعرفه. ولست أعني التقدم المادي وحسب. لقد تبلور كل ذلك وتم الإعراب عنه على أيدي الرجال والنساء. ويبدو لي حتى حينما يقترف الناس الأخطاء أنهم إنما يرتكبون تلك الأخطاء نتيجة لدوافع طيبة. وأعتقد أن الكثيرين منا يريدون أن يكونوا خيرين.

إني أؤمن بالناس لأني رأيت كثيرين منهم في مختلف أنحاء العالم.. وإني أفضل أن أثق بتجاربي الخاصة وملاحظاتي، أكثر من ثقتي بتلك الملاحظات الجافة الساخرة، الصادرة من قوم أشقياء. ولم أفد من إيماني هذا حياة "سعيدة" فحسب، ولكنه يسر لي كذلك أسباب القيام بأي عمل من الأعمال المفيدة التي نهضت بها. وطبيعي أنني أحب الناس كذلك.. وقد يسر لي عملي في الصحافة أن أقابل في غضون عشرين عاماً في هذه البلاد - وفي أوروبا واستراليا - نماذج عديدة من الرجال والنساء، وأن أراهم في خير الظروف وأسوئها. ويسر لي اشتغالي بكتابة التراجم أن أعرف أن أهل العصور الماضية لم يكونوا يختلفون كثيراً عما نحن عليه اليوم. وأن الدرس المستفاد من التاريخ - التاريخ المدبر، والتاريخ

الذي نعده ونهيؤه - هو أن غرائز البشر خيرة في أغلب حالاتها، وفي وسعك أن تثق بها.

وقد تكون معلومات البشر خاطئة وقد يكون تفكيرهم سيئاً، ولكن أحاسيسهم بريئة سليمة.. ومن هنا يكون الرقي.

لقد عشت في إسبانيا في الوقت الذي سقطت فيه الملكية عام 1931، وسمعت هناك لأول مرة عن إقامة جمهورية جديدة، عندما أقبلت طاهيتنا من السوق تروى لنا النبأ بأنفاس متقطعة. وكان أول تعليق لها، يعبر عن أهم ما يجول في ذهنها، هو ما قالته وهي تمد بصرها في زهو: "سيدي، سيتعلم أطفالنا الآن كيف يقرأون ويكتبون" لقد كان شيئاً رائعاً أن نرى أناساً تحدوهم هذه المثل العليا، ويقومون بثورة سلمية لا تراق فيها قطرة من الدماء.

وعلى الرغم من أن الثورة المضادة كانت مريرة قاسية، فإن هذا لم يغير من الحقيقة الواقعة.. وهي أن أفراد الشعب أنفسهم كانوا في غضون سنوات النهضة هذه، ينطوون على الرقة واللطف والتسامح.

ولست أعرف شيئاً يمكن أن ينهض دليلاً على ما ينطوي عليه البشر من روح قدسية أكثر من اهتمام الصحافة بالآثام

والشرور. وبوصفي صحفياً، فقد كنت أوثر على الدوام أن أتحرى قصص العنف والجريمة والخيانة لأنها مشاكل غير عادية. وقد حدث أن كتبت ذات مرة قصة حادثة من حوادث الفساد السياسي في أمريكا، وبعد سنوات من البحث والتحري والتحقيق كان علي أن أعزو هذا الفساد إلى أقل من واحد في المائة من رجالنا العموميين. ولقد أدى بحثي إلى أن أكون على صلة من الناحية التاريخية بعدد أكبر من الرجال الأمناء.

الإيمان بالعمل يحقق السعادة

جو ميكل

ولد جوج.ميكل في تكساس ، ودرس في جامعتي مينوديست الجنوبية وكولومبيا. وهو رئيس لكلية لوزيزيانا في شريفبورت منذ عام 1945 ، وميدان اختصاصه الرئيسي هو التاريخ والعلوم السياسية ، وإن ظل طوال عشرين سنة يدرس المواد التجارية في جامعة كوانسي جاكوين اليابانية. وقد راقب خلال إقامته باليابان مراقبة دقيقة انتشار الروح الديكتاتورية في تلك البلاد فيما بين عامي 1931 و1941 فكشفت له تلك الدراسة عن طبيعة الحكومات الدكتاتورية ، وضاعف اهتمامه بالأنظمة السياسية الدولية.

يجب علي أن أعلن على رؤوس الأشهاد أن ذنبي هو التفاؤل بعيد المدى.. ذلك أني أحب أن أستعرض التقدم البشري بحساب القرون، لا بحساب السنين. ولست أؤمن بأن التقدم يجري على نسق آلي، كما أن تفاؤلي لا يعفيني أبداً من الإحساس بوجوب الإلحاح في العمل لتحسين أحوال البشر.. بيد أن نظرة طويلة متأنية إلى الوراء لأحوال الجنس البشري تجعلني أكثر تفاؤلاً.

ومعنى هذا أنني متحمس للحياة.. وقد أثر عن هنري تشيستر قوله: "الحماسة أعظم رصيد في العالم.. وهي الإيمان بالعمل لا أكثر ولا أقل".

وعندي أن أكثر الناس استعصاء على الفهم، هو ذلك الإنسان كثير السأم. ومع ذلك فإني ألتقي في كل يوم بأولئك الذين يبدون لي وكأنهم موتى حيال الحياة وأمام تحديها.

أن مناحي الحياة البهيجة لتبلغ من الكثرة حداً لا أستطيع أن أتصور معه كيف تبدو متعبة أو مملة. وكم أتمنى أن تكون لي حيوات متعددة.. واحدة لكل نشاط مختلف عن غيره. وعندي أن الحياة لذيذة جداً بحيث أن التحمس لها أمر طبيعي. وإنه لمن يمن الطالع أن عملي كان من الضخامة بحيث

أصبح خليقاً بحماستي الكاملة، أي "بإيماني بالعمل". ولكن عندي أن التفاؤل والحماسة يمكن أن تكون جذورهما عميقة ونشاطهما مستمراً متصلاً، إذا نبعا من إحساس باطني وشعور خفي بوجود الله واليقين بأن قوته سبحانه وتعالى ذات أثر عظيم فعال في الوجود. ولقد كان المزمور التاسع والثلاثون بعد المائة من مزامير داود وحيي وشعاري لأنه يعبر عن هذا الإيمان، إذ يقول: "لقد بحثت عني يا إلهي وعفتني، ولو أنني اتخذت لي أجنحة من ضوء الصباح، و جعلت أعمق أعماق البحر مسكني فسترشدني يدك وتقودني حتى هناك".

هذا الإيمان يجعل الحياة أكثر تنظيماً وبساطة وأقرب إلى الكمال.

والشكران كذلك، هو "إيماني بالعمل" فإني جد شاكر للأجيال المنصرمة التي أدت ثمن التقدم البشري، وأني لأحاول ألا أمر على هذه الأجيال العظيمة مر الكرام باللغو.. فإني أشعر بامتنان حي لا ينقطع ولا يزول لأولئك الذين قدموا لنا بما تحملوا من آلام كثيرة، حرية أعظم، ووهبوا لنا مطامح أوسع أفقاً وظروفاً للحياة أوفق وأنسب. ولكم أحب أن أرجع الزمن القهقرى لأتمكن من دراسة حياتهم وألوان كفاحهم.

كذلك أنا ممتن وشاكر لأهل جيلي، وبخاصة لأولئك الذين امتازوا بمواهب تفوق مواهبي وتختلف عنها، أولئك الذين كانوا يواصلون العمل من النقطة التي يقف عندها غيرهم، والذين يواصلون السير صوب ذلك الهدف الإلهي البعيد الذي تتحرك صوبه الخليقة قاطبة.. غير أن عاطفة شكراني لأهل ج يلي ولأهل الأجيال السالفة لا يمكن أن تكون كاملة، من غير أن أرفع وجهي إلى السماء بين الفينة والفينة، لأقول: "شكراً لك يا إلهي".

والواقع ـ فيما يتصل بي على الأقل ـ أن عاطفة الشكران تجد تعبيرها الأول والأصيل في هذه الصورة، ومن هناك، أحب أن تفيض في الخارج وتغمر رفاقي في الإنسانية مهما اختلفوا في العنصر أو اللون أو الدين أو المواهب.

لقد عرفت طفلة في اليابان في الرابعة من عمرها.. وقد طلبت في نهاية يوم قضته في اللعب مع صديقاتها الأمريكيات واليابانيات، أن يؤذن لها بتلاوة صلواتها بألفاظها الخاصة. ثم قالت: "شكراً لك يا إلهي من أجل هذا اليوم البهيج" ثم ترددت برهة وهي تفكر في العبارة التالية، ثم قالت بإخلاص ليس بعدة إخلاص، موجهة عباراتها لله: "وأرجو أن تكون قد سعدت أنت أيضاً بوقت طيب".

وهذا الدعاء يدل على الشكر ما دام صادقاً، ويجب أن يكون وثيق الصلة بتصرفات الحياة وأوجه نشاطها. إنه لشاكر صادق ذلك الذي يتوجه إلى الله بهذه العبارة "أرجو يا إلهي أن تكون راضياً عن تصرفاتي في هذا اليوم".

الإنسان لا يمكن تحطيمه!

لويليام ل.شيرر

ويليام لـشيرر مراسل صـحفي ومعقـب علـى الأنباء في الإذاعة ، ومؤلف عـدة كتـب وقـد ظفـر بـدرجات علمية ودرجات شرفية كثيرة.

ولقد سافر إلى الخارج في عام 1925 ، لكـي يقضي شهرين فقط. ولكنه بقى أكثر من عشرين سنة. وكانت باريس ولندن وفينا وبـرلين وإسـبانيا بعض الأماكن التي استدعته مهامه لإقامة فيها.

من الصعوبة في هذه الأيام شديدة الضوضاء، كثيرة الاضطراب والقلق، المحطمة للأعصاب، أن تظفر براحة العقل لحظة لكي تفحص وتتأمل الأشياء التي تؤمن بها. والواقع أن الوقت والفرصة المتاحين لمثل هذا التفكير ضئيلان جداً - على الرغم من أن حياتنا متوقفة على هذه الأشياء - ومن دونها، أي من دون معتقداتنا، ما كان لنا اليوم أن نطيق وجودنا الإنساني.

ونظرتي الشخصية للحياة، هي - كنظرة كل من عداي - نتيجة لتجاربي الشخصية. وثمة تجربتان، عاونتاني - بصفة خاصة - على تكوين معتقداتي.. تجربة حياتي وعملي في ظل نظام دكتاتوري، ووقوفي على ملامح خاطفة للحرب.

أما معيشتي في بلد دكتاتورين فقد علمتني كيف أغالي في تقدير نفس الأشياء التي رفض الحاكمون بأمرهم الاعتراف بها لشعوبهم.. كالتسامح، واحترام الآخرين، واحترام الروح الإنسانية بوجه خاص.

وأما ظروف الحرب التي شاهدتها، فقد ملأتني بالدهشة.. ليس فقط من شجاعة الإنسان واستعداده للتضحية، وإنما كذلك من إرادته الرائعة العنيدة في سبيل الاحتمال

والبقاء والسيادة، على الرغم مما يحيط به من آلام ومظاهر للوحشية لا يمكن تصديقها. وإذا أنت رأيت أناساً من المدنيين، وقد ألقيت عليهم القنابل من الطائرات المغيرة، أو شاهدت أولئك الذين كابدوا أفظع من هذه الآلام، بأن حشروا مثلاً في معسكرات الاعتقال، وأجبروا على العمل في معسكرات السخرة.. إذا قدر لك أن تراهم بعد نجاتهم من هذه المحن المليئة بالرعب والتعذيب، وهم لا يزالون محتفظين بكيانهم كآدميين وقد امتلأوا عزيمة على السير قدماً وأفعموا إيماناً بأنفسهم، وبرفاقهم في البشرية وبالله سبحانه وتعالى.

*

إذا أنت رأيت ذلك، فستتحقق من أن الإنسان يستحيل تحطيمه والقضاء عليه. ولسوف تقدر كذلك كيف أن الإنسان استطاع بصعوبة خارقة ـ على الرغم من فساد الحياة وقسوتها ـ أن يحفظ على نفسه فضائلها العظيمة، من محبة وشرف وشجاعة وتضحية ورأفة، ولسوف تحس بقدر غير يسير من الفخار لأنك عضو في الجنس البشري.. ولسوف يتجدد إيمانك برفاقك في البشرية.

وطبيعي أن هنالك أياماً كثيرة - في عصر القلق هذا الذي نعيش فيه - يشعر فيها المرء بانهياره وفقدانه للشجاعة إلى حد كبير. ولقد اهتديت شخصياً إلى العزاء في مثل هذه الأوقات بوسيلتين اثنتين.. الأولى الاتعاظ بدروس التاريخ، والثانية نشداني من جديد حياة ملؤها الرجاء والأمل.

مثال ذلك أن أذهب إلى الماضي لكي أطالع تاريخ بلوتارك.. أنه يذكرني بأنه ـ حتى في أيام الإغريق والرومان الذهبية، تلك الأيام التي نستمد منها أروع ما في حضارتنا الراهنة ـ كان يوجد كثير مما نأباه ولا نطيقه في حياتنا اليوم.. كالحرب والنزاع والفساد والخيانة والغش والنفاق والتعصب والاستبداد وإثارة الرعاع. وهكذا فإن قراءة التاريخ تصور لك المآسي على حقيقتها، وتساعدك على أن تنظر إلى متاعبك نظرة نسبية، وعندئذ تهون عليك تلك المتاعب.

وإني لأجد آخر الأمر أن أعظم قسط من السعادة الحقة إنما ينبع من حياة المرء الداخلية ومن حالة عقله وروحه، ويمكن القول، بصراحة، إنه من الصعب تحقيق حياة داخلية سليمة، وبخاصة في هذه الأيام العصيبة. إن مثل هذه الحياة تتطلب من المرء التأمل والتفكر وأخذه نفسه بنظام دقيق.

كما يجب على المرء أن يكون أميناً مع نفسه. وليس هذا بالأمر اليسير، إذ يستلزم أن تكون صبوراً واسع الإدراك عظيم الاعتماد على الله.

غير أنها مكافأة سخية تلك التي يحصل عليها المرء لقاء ظفره بسلام داخلي لا تقوى على زعزعته أية عاصفة أو أي حدث من أحداث الزمان وكوارثه.

لم أكف عن الإيمان

للسيدة إيفا د.ساكل

إيفا دساكل شابة شقراء مرحة من مواليد براغ في تشيكوسلوفاكيا. وبعد أن تعلمت في مدرسة ابتدائية تشيكية ودرست في مدارس ثانوية ما بين ألمانية وفرنسية ، التحقت بكلية إنجليزية واستطاعت أن تلم بست لغات. وهي تهوى الأسفار ، وقد طوفت بمعظم بلاد أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية. ولقد جعلت منها انطباعاتها الشخصية ومغامراتها وروح المرح عندها كاتبة ومحاضرة ممتازة.

أعتقد أنه من الأمور الحيوية الهامة أن ينشأ الإنسان وهو مؤمن بالخير إيماناً ثابتاً لا يتزعزع. ولقد كنت موفقة من هذه الناحية. فوالداي لم يقتصرا على تهيئة بيت سعيد لي، ولكنهما كذلك استطاعا أن يمكناني من أن أتعلم ست لغات وبذلك يسرا عليّ السفر والتنقل في البلدان الأخرى. وكنتيجة لذلك أصبحت أشد تسامحاً وأوسع أفقاً، كما ساعدني ذلك على تجاوز صعوبات جمة واجهتها فيما بعد.

فلقد غادرت أنا وزوجي، بعد زواجنا بقليل، وطننا الأصلي تشيكوسلوفاكيا قاصدين الصين للإقامة في شنغهاي، وكانت مدينة دولية بكل ما في هذه الكلمة من معنى.. فالناس من كل الأجناس والأديان يعيشون هناك ويعملون جنباً إلى جنب. كان هناك الأخيار والأشرار كما هو الحال في كل مكان، ولقد ألفيت الكثرة الغالية منهم أخياراً رحماء، ولكن المرء لا يستطيع أن يكون على الدوام مطمئناً هناك.. لأن الكثيرين لا يفصحون عن نواياهم الحقيقية علانية. وكثيراً ما يصعب على المرء أن يضرب على الوتر الذي يحصل منه على استجابة منسجمة. ولكننا استطعنا العزف على تلك الأوتار عندما تعلمنا اللغة الصينية، وفي مقابل ذلك علمنا الصينيون الكثير من فلسفتهم في الحياة.

*

وفي عام 1941 اكتشف الأطباء في شنغهاي أنني مصابة بمرض السكر، على الرغم من أنني لم أكن حينذاك قد جاوزت العشرين من عمري. ولقد كان هذا النبأ صدمة مروعة، لأنه لا شفاء من مرض السكر وإن كانت السيطرة عليه ميسورة بالأنسولين. وعلى الرغم من أن هذا العقار لم يكن يصنع في الصين، فقد كان ميسوراً استيراد كميات كبيرة منه من الخارج. وأعانني ذلك على أن أواصل حياتي العادية في جو من السعادة.

ثم ألقيت القنابل على ميناء "بيرل هاربور" واحتل اليابانيون شنغهاي وانقطع استيراد الأنسولين. ولم يمض إلا القليل من الوقت حتى أصبح الموجود منه غير كاف للمصابين بمرض السكر. ولقد كنت أتبع نظاماً في الأكل يكاد يكون هو الجوع والحرمان، لكي أهبط بحاجتي من الأنسولين إلى أضأل قدر مستطاع، غير أن مواردي الضئيلة منه سرعان ما تلاشت. ولقد مات بالفعل كثير من مرضى السكر، وأمست الحال باعثة على القنوط.. ولكنني طوال هذه المحنة لم أكف قط عن الإيمان بأنني ـ بمعونة الله، وبمحبة زوجي وعنايته ـ ستكتب لي الحياة.

وهكذا واصلت التدريس بالمدارس الصينية. وامتلأت شجاعة بفضل إيماني وبفضل الجهد المتصل الذي بذله زوجي

في سبيل بدء إنتاج الأنسولين في تلك البلاد. فقد جيء ببنكرياس الثور، وبدأت محاولة إنتاج الأنسولين في معمل صغير، ولن أنسى اليوم الذي أعطاني فيه زوجي أول حقنة من الأنسولين الجديد، الذي نجح عندما حقنت به الأرانب. ولقد أسفر حقني به عن نجاح كبير، وفي وسعكم أن تتصوروا مبلغ سعادتي وراحة بالي بعد هذا النجاح.

ولكن كانت هناك أشياء أخرى تثير القلق.. فهناك الأمراض الاستوائية، والتضخم النقدي والاحتلال العسكري الياباني. أجل، وهنالك قاذفات القنابل الأمريكية المغيرة من طراز ب ـ 29. ولقد حدث ذات مرة أن أصابت قنابلها محطة توليد الكهرباء، فانقطع التيار الكهربائي عنا. ولم يكن يستطاع صنع الأنسولين مع انقطاع هذا التيار.. لقد كانت هذه أوقات عصيبة حقاً.

وفوق إيماني بالله، فقد استمددت أعظم قوة لي من تلك المحبة العظيمة، وذلك الفهم الكامل القائمين فيما بيني وبين زوجي.. ويلي ذلك العطف والمعونة اللذان لقيتهما من الأصدقاء الكثيرين من الجنسيات الكثيرة المختلفة، ومن بينهم بعض المدنيين اليابانيين الذي عاونونا على الرغم من أن بلادهم كانت حينذاك في حرب معنا، كلما وجدوا المعونة مستطاعة.

آلام الحياة من صنع الإنسان!

للدكتور ليون.ج.سول

"الدكتور ليون.ج. سول خريج جامعتي كولومبيا وهارفارد وأستاذ العلاج النفسي بمدرسة الطب بجامعة بنسلفانيا وقد أشرف في غضون الحرب العالمية الثانية على برنامج مكافحة "الإرهاق الناتج عن الحرب" في قاعدة فيلادلفيا البحرية. وقد ألف كتابين هامين عن التحليل النفسي ، هما : "النضج العاطفي" و"قواعد السلوك الإنساني".

أعتقد أن الهدف المباشر للحياة، هو أن نحيا، وأن نحاول الإبقاء على النوع البشري. وكل الأنواع المعروفة للحياة إنما تطويها مراحل العمر.. وما سلم الحياة إلا الميلاد والبلوغ والزواج والتناسل ثم الموت. وهكذا فإن الهدف المباشر للحياة الإنسانية هو أن يعمل كل فرد على تحقيق أطوار حياته. وهذا ينطوي على النضوج السليم والتحول إلى شخص كامل البلوغ.

إن شجرة البلوط تنمو وتترعرع مستقيمة ما لم تحط بها مؤثرات ضارة. وهكذا الأمر فيما يتعلق بالجنس البشري. وإنه لاكتشاف عظيم الدلالة أن الرجل الناضج والمرأة الناضجة، قد زودا بطبيعة وخصائص القرين الصالح والوالد السليم كما أن لهما المقدرة على التمتع بالعمل والحب المنطويين على المسئولية.

ولو أن العالم كان في الأصل مكوناً من أشخاص كاملي النضوج، محبين منتجين، يتحملون المسئولية تجاه الأسرة والعالم، لأمكن حسم معظم المشاكل الإنسانية.. غير أن معظم الناس قد عانوا في طفولتهم مؤثرات عوقت تقدمهم.. ومن ثم، لم تتكامل في مرحلة البلوغ طبيعتهم السليمة الكاملة. إنهم يشعرون أن هنالك شيئاً معوجاً خاطئاً، وأن جهلوا ذلك الشيء. ويشعرون بضآلتهم وخيبة آمالهم

واضطرابهم وقلقهم. وهم يقاومون هذه المشاعر الباطنية كما يقاومون خطراً يهددهم أو عدوا يحاول أن يفتك بهم، وذلك بالاستعداد أما للقتال أو للهرب. أما الهرب فيدفعهم إلى إدمان الخمور والتردي في غير ذلك من الاضطرابات الذهنية. في حين أن حب القتال يدفعهم إلى الجريمة والقسوة والحرب. وهذا الاستعداد للعنف والقسوة في الإنسان ضد أخيه الإنسان، هو من المشاكل الجوهرية في الحياة البشرية، لأنه باتخاذه صورة الحرب أصبح يهددنا جميعاً بالعناء والفناء.

ولولا أن الإنسان دافع عن نفسه بالقتال تارة والهرب تارة أخرى، لظل مقبوراً في الكهف والغابة. ولكن المشاهد اليوم أن الإنسان قد تمكن ـ عن طريق عيشته الاجتماعية أن ينجو، إلى حد ما، من أذى العناصر الطبيعية، ومن عدوان الحيوانات المتوحشة. وهو يتعلم حتى كيف يحمي نفسه ويحصنها ضد الأمراض. وهو يستطيع أن ينتج ويهيئ الطعام والكساء والمأوى بنسبة تكفي سكان الأرض الحاليين. وما لم يقع حادث فلكي خارق، فإن الإنسان لا يواجه اليوم أي خطر جدي يهدد وجوده، اللهم إلا روح المقاومة التي تنطوي عليها نفسه.. ونعنى بها روح القتال أو الهرب. فهذا الاستعداد الوحشي لإلحاق الأذى والقتل لا يزال حتى اليوم شيئاً أثرياً كالزائدة الدودية..

فمحاولة حل كل مشكلة بواسطة القتال أو الهرب إنما هي طريقة بدائية، وهي نفس الطريقة التي يعتمد عليها الغلام المراهق. أما الطريقة الثانية، وهي طريقة التفاهم والتعاون، فهي لا بد أن تستند إلى الطاقات الناضجة للشخص البالغ الرشيد وربما اضطر الإنسان إلى القتال اضطراراً طالما هو يعيش في عالم تسيطر عليه روح الطفولة، بيد أن مثل هذا القتال جدير بأن يكون أشد أثراً إذا سيطرت عليه قوى رشيدة لتحقيق أهداف رشيدة. والمرجح أن الحروب لن تتوقف إلا إذا حفلت الدنيا بعدد كاف من الأشخاص الراشدين.

*

وتنحصر المشكلة الرئيسة في التكيف الاجتماعي والبقاء البيولوجي، وقوام الحل الرئيسي أن يفهم الناس طبيعة نضوجهم العاطفي البيولوجي، وأن يعملوا في سبيل تحقيقه، ويساعدوا الأطفال في مجالي تطورهم صوب بلوغه.

إن معظم آلام البشرية من صنع الإنسان. وهي ـ أولاً وقبل كل شيء ـ نتيجة لإخفاق البالغين ـ نظراً لمعاناتهم أهوال طفولة ناقصة مشوهة ـ في تحقيق حياة ناضجة من الوجهة العاطفية. وهكذا بدلاً من التمتع بطاقاتهم في العمل والحب

المنطـوين علـى المسـئولية، نـراهم يبـدون بخـلاء أنـانيين مضطربين مبددي الآمال، قلقين، يضمرون العداوة والبغضاء.

إن النضوج هو الطريق المؤدي من الاضطراب والقلق إلى سلام النفس والعيشة الراضية لكل فرد، وللجنس البشري بأسره.

هذا ما أؤمن به، وما يؤيده العلم ويزكيه.. وقد انتهيت إليه بملاحظاتي وتجاربي الشخصية.

عشت أربع مرات

للسيدة أليس طومسون

السيدة أليس طومسون ، ناشرة ورئيسة تحرير إحدى المجلات الأمريكية المعروفة وقد عملت لدى تخرجها في كلية "سوار تمور" في دار النشر الصحفية المعروفة باسم "كوندي ناست" وظلت بها إحدى عشرة سنة ، أسست خلالها مجلة "جلامور" وكانت رئيسة لتحريرها أكثر من سنتين.

إنـي أعـيش حيـاة ذات شـعب أربـع: فـأعيش كزوجـة، وكأم، وكعاملة، وكفرد في المجتمع. نعم، هذه مهام مختلفة متباينـة.. ولكـن تـربط بينهـا، بربـاط وثيـق، قوتـان رئيسـتان: الأولى ــ محاربـة الاستكشـاف والفهـم، وقبـول آراء أنـاس آخرين، والثانية ـ إيمان بمسئوليتي تجاه الآخرين.

وقد بدأت الفترة الأولى منذ طفولتي، حينما انطلقت أنا وأبـي نمثـل "شكسـبير". وأبـى والـدي أن أقتصـر علـى مجـرد ترديد مناجاة هاملت الحالمة ترديد الببغاء، أو أن أصنع مثل ذلك في منظر السير أثناء النوم في مسرحية الليدي ماكبث، أو التحليل النفسي "للكاردينـال وولـزي". ولقد وجهني توجيهاً رائعاً آسراً، وهو يساعدني على إدراك البواعث المتوارية وراء الألفاظ الشعرية.

ومضى في إثارة حبي الشديد للاطلاع على أحوال الآخرين أستاذ في الكلية، فحوله ـ بقدوته الطيبة ـ إلى اهتمام عميق وإحسـاس بالمسـئولية، نبـع ـ لـيس فقـط مـن المبـادئ الدينيـة الجامدة ـ وإنما من اهتمامي بكل ما أتلقى، وإيماني بوجوب مواجهته في انشراح وسرور.

وأعتقد أن هذا القبول، وهذه الرقة التي يواجه المرء بها الآخـرين، أمـران لا يمكـن تحقيقهمـا، مـن دون الاعـتراف

بجوهر النفس الإنسانية. وقد حدث في أواخر العقد الثالث من عمري أن بدأت أعرف غرائزي، وكنت حرة في مواجهتها وفي إدراك أنها ليست فريدة في نوعها ولا هي مما يستحيل تحقيقه.

والحياة الغنية السعيدة التي أحياها تقدم لي دليلاً جديداً في كل يوم على صدق فلسفتي وصحتها في انطباقها علي. وهذه الفلسفة ناجحة تماماً في الحياة الزوجية.. فالزواج الحقيقي تفاهم وقبول مستمر متصل، يؤيدهما ويشد من أزرهما مسئولية متبادلة عن إسعاد القرين لقرينه. وفي كل يوم أسير معززة قوية لمعرفتي أنني أحب زوجي وأن زوجي يحبني وتنطبق نفس هاتين القوتين على علاقة الأم بأطفالها. والألفاظ تعجز عن وصف الجهود التي أبذلها لفهم أطفالي، بيد أن ديني العظيم لهم لفهمهم عني، هو دين عجزت في معظم الحالات عن الوفاء به. كيف أكون مبالغة في تقدير شاب صغير السن، له من الخيال والعطف وحسن التفكير ما يجعله على الدوام يبعث برسالة تليفونية للاستفسار عندما يسبب التأخير عن الحضور قلقاً، وما يجعله على الدوام يعرف كيف يطمئن النفس ويهدئ من روعها. كيف يمكنني أن أفي بدين ذلك الذي انغمس في طور البلوغ وهو بعد طرير صغير، وحمل كل أعباء الرجولة بروح قوية ثابتة مرحة.

إن عملي نفسه يعتبر توكيداً للمبادئ التي أعيش من أجلها. ففي الباكورة الأولى لحياتي العائلية، كنت ترساً صغيراً في عجلة صغيرة في مصنع هائل. وما أن هجرت عملي المتواضع حتى وجدت أمامي عالماً عجيباً مخيفاً. ولقد كان كل فرد فيه ينطوي على مودة سطحية. ولكن تحت ذلك السطح، كان هناك الشك وعدم الثقة.. وكانت اليد متأهبة على الدوام لكي تسدد الخنجر في الظهر.

ولقد ظللت سنوات أحسب أنني في عالم غاص بالوحوش البشرية.. ثم بدأت أعرف ئيس الشركة التي كنت أعمل بها، ولم يكن لدي سبيل لمعرفة حقيقته، ولكنه وهو في السبعين، كان كثير الشكوك عديم الائتمان لأحد واثقاً من أن أحداً لا يقول له الحق. ولقد برع في تنفيذ خطة قوامها أن يشي كل واحد منا بالآخر. ولما لمست فساد أساليبه، صرحت في حماسة الشباب، بأنني إذا قدر لي ذات يوم أن أدير عملاً، فسيكون ذلك على أسس مغايرة لأسسه.

وفي غضون السنتين الأخيرتين، أتيحت لي فرصة مراقبة الناس ـ على اختلاف نحلهم وتباينهم ـ وهم يتعلمون كيف يفهم بعضهم البعض الآخر، وكيف يقبل بعضهم آراء الآخرين، وكيف يشعرون جميعاً بمسؤوليتهم المتبادلة.

ولقد تحولت محاولاتي وأخطائي، وتجمعت متركزة في إيمان واحد عظيم، هو أنني لست وحدي فيما أحس به من رغبة في الاتصال برفاقي في الإنسانية، وأعتقد أن الجنس البشري ينطوي على التعاون الغريزي الصادق، وأن كل فرد يهمه أمر شقيقه في الإنسانية.

كلنا نحمل الآلام

للسيدة مارتي مان

السيدة مارتي مان رئيسة الهيئة التنفيذية للجنة الوطنية لمكافحة المسكرات، وهي ابنة أحد مديري المتاجر الكبرى بأمريكا وقد عادت إلى الولايات المتحدة في عام 1926 بعد إتمام دراستها في أوروبا، فوقعت فريسة العادة المنتشرة حينذاك، ألا وهي غشيان مشارب الخمر. ولما استبدت بها هذه المحنة، اضطرت إلى أن تنقطع عن عمل كان ينطوي على آمال وضاءة مشرقة. ولم يكد يتم شفاؤها من داء إدمان الخمر في مصحة "بلايث وود" حتى أصبحت أول امرأة عضو في جماعة منع المسكرات.

كنت واحدة من المدمنات على تعاطي الخمر، ولكني من السعداء الذين و جدوا السبيل إلى الشفاء. حدث ذلك عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، ولكنني لم أنس، بل أني لأذكر كيف يصبح المرء فاقد الآمال، إذ يقع فريسة لداء الخمر الوبيل. ولا زلت أذكر كيف كنت أبحث عن العون بحثاً مشوباً باليأس.. فلما أخفقت في العثور عليه، أحسست بما لا زلت أذكره من اليأس.

إني لأذكر السخرية والاستهتار اللذين واجهت بهما العالم، على الرغم من مخاوفي الرهيبة الدفينة.. مخاوفي من الحياة، ومخاوفي من الموت. فلقد كنت في بعض الأوقات أخشى الحياة أكثر مما أخشى الموت، حتى لقد سعيت إلى الموت مرتين. ولقد بدا لي أن الانتحار هو المنفذ الوحيد من رعب وعذاب عجزت عن النهوض بعبئهما.

وكم أنا اليوم سعيدة لأنني لم أوفق في محاولة الانتحار. ولكنني لم أكن أؤمن بشيء حينذاك، لقد كنت محبوسة بين جدران أربعة من آلامي، أشعر بأني وحيدة مخذولة مهجورة، ولكنني بطبيعة الحال، لم أكن منبوذة. والحق أنه ما من أحد يعتبر منبوذاً مهجوراً في هذا الوجود. لقد خيل إلي أنني أقاسي الآلام وحدي.. ولكنني أؤمن اليوم بأنني لم أكن

قط وحيدة.. وأن أحداً منا ليس وحيداً أبداً.. وأعتقد كذلك أنني لم أقاس قط من الآلام أكثر مما كان يمكنني احتماله وأن هذه الآلام كانت ضرورية ولازمة لي حتى تحطم الجدار القائم حول نفسي، وتدمر وقاحتي وسخريتي وتكبري، وتدعني أبحث عن العون وأتقبله.

ولقد بدأت أؤمن بذلك وأنا رازحة في أعمق أعماق آلامي، بدأت أؤمن بأن هنالك قوة أعظم يمكنها أن تساعدني، بدأت أؤمن بأنه من أجل هذه القوة ـ من أجل الله ـ يوجد قسط من الأمل والعون لي وحدي.

وجدت العون يوجه إلي من الناس، من الأطباء الذين تقتضيهم مهنتهم معالجة الآلام، ومن غيرهم من الناس الذين سبق أن عانوا على النحو الذي أعاني. وفي أعماق الهوة السحيقة لمحنتي الشخصية، تلقيت العطف والعون وحسن الإدراك من أشخاص كثيرين. ولقد تبين لي أن في وسع الناس أن يكونوا شديدي العطف. وأصبحت أؤمن بهذا إيماناً عميقاً.. أصبحت أؤمن بالناس، وبجانب الخير الذي ينطوون عليه.

وانتهى بي الأمر إلى التحقق من أن معاناة الآلام مسألة يشترك فيها الناس كافة. وهذه الآلام قد تتوارى خلف كثير من الألفاظ القاسية والتصرفات الجارحة التي تجعل حياتنا

اليومية عبئاً لا يحتمل ولا يطاق في كثير من الأحوال، وقد أدركت أنني، متى فهمت هذا ووعيته صرت خليقة بأن أتصرف في معظم الأحيان تصرفاً مجرداً من الغضب ومنزها عن الإساءة. وأدركت أنني إذا عرفت كيف أتصرف مع ذوي الأخلاق الفظة تصرفاً ينطوي على العطف وحسن الإدراك، فقد أساعدهم على تغيير سلوكهم وتعديل تصرفاتهم. لقد أعانتني آلامي على معرفة الكثير من حقائق الأشياء.

ولست أعتقد أنه ينبغي لكل فرد أن يعاني الآلام. ولكنني أؤمن بأن الآلام قد تكون مفيدة، بل وضرورية، إذا عرف المرء كيف يتقبل هذه الآلام باعتبارها جزءاً من عملية التعليم الأساسية للإنسان، وإذا عرف كيف يستغل هذه الآلام في الأخذ بيده، وبأيدي سواه من إخوانه المعذبين.

ألسنا جميعاً نحتمل الآلام بطريقة أو بأخرى؟. إن هذه الحقيقة تملؤني بإحساس عميق من الزمالة و المشاركة مع غيري من الناس، كما تملؤني كذلك رغبة في مساعدة الآخرين بأية وسيلة أستطيعها.

إن هذا هو الإيمان الذي ينطوي عليه عملي الآن، لأن مكافحة المسكرات هي الميدان الذي أعددت له خير إعداد ـ

نتيجة لتجاربي الخاصة ـ كيما أعين الآخرين وأساعدهم. وأعتقد أن محاولة مساعدة رفاقي في البشرية هي طريق من أكثر الطرق استقامة في سبيل تعزيز الترابط الروحي. إنه طريق يستطيع أن يسير فيه كل إنسان، وليس من المهم أن يكون المرء جميلاً أو موهوباً أو غنياً أو قوياً، لكي يهب يدا معينة مساعدة لرفاقه المعذبين.

طف حول التل في هوادة

لداريل ف.زانوك

داريك . زانوك من مواليد واهو من أعمال ولاية نيبراسكا. ولقد زار كاليفورنيا وهو بعد غلام صغير ، وسرعان ما عقد العزم على أن يعمل في صناعة السينما. ويشغل منصب. نائب لمدير قسم الإخراج بشركة القرن العشرين ــ فوكس ــ وهو المخرج الوحيد في تاريخ هوليوود الذي استطاع أن يظفر بجائزة ايرفنج تالبرج في ثلاث مناسبات. كما ظفر بثلاث جوائز لأكاديمية الصور المتحركة.

دلتني تجاربي الكثيرة على أن الفضائل التي تعلمتها وأنا صبي، لا تزال هي بعينها الفضائل الجوهرية. لقد تغيرت وجهة نظري بطبيعة الحال عبر السنين، وكذلك تغيرت وجهة نظر أصدقائي. ولكن تغير وجهات النظر هذا يشبه صبياً صغيراً وهو يحدق صوب تل فوق أحد السهول. فالتل لا يزال كما هو، بيد أن الصبي الصغير يراه من زوايا مختلفة في مراحل نموه.

ولقد حاولت على الدوام أن أسير حول كل "تل" في حياتي، منذ ذلك الحين، حتى أستطيع أن أراه من كل زاوية. وأحسب أن هذا التصرف يكشف عن الفرق بين الأمانة والروح الساخرة المستهزئة. إنك حينما ترى التل من كل زواياه، تتاح لك فرصة أفضل لكي تحتفظ بجهودك مركزة. فإذا ما رأيت التل من زاوية واحدة فقط تعرضت لخطر هائل قد يؤدي لأن تكون مستهزئاً ساخراً.

ومن الفضائل الأساسية التي خففت عني متاعب الحياة كثيراً، من أيام طفولتي حتى الآن، فضيلتان اثنتان هما: الإخلاص، وحب الخير. وليس الإخلاص مجرد اصطلاح، وإنما كان لي بمثابة قاعدة أساسية للحياة. وليس أعني بذلك مجرد الإخلاص والولاء لأصدقائي وأسرتي وإنما أعني به الإخلاص للقيم الأمينة التي تقوم البلاد الناهضة القوية على

دعائمها. وعندي أن هذا العنصر الذي أسترشد به ألا وهو ولائي وإخلاصي، يستهدف بالضرورة ولاء المرء وإخلاصه لنفسه.

ولقد ثرت، وأنا بعد يافع، على كثير من الأشياء، وناضلت ضد طائفة من الأفكار والمبادئ الأساسية في الحياة.. ولكنني وجدت، بعد كثير من الثورات، وبعد طوافي بعين العقل حول التل القائم بين سهول نيبراسكا، أن هذه الفضائل لم تعتنق عبثاً عبر القرون.

والإحسان إلى الناس مبدأ آخر كان سبباً لارتياحي العظيم في كثير من المواقف الحرجة.. إن الإحسان شيء يجب أن نتعلمه. ولقد كنت سعيداً جداً في حياتي لأن ظروفي ساعدتني على عمل الخير، وينبغي ألا ينتظر المرء أية مكافأة عن الإحسان أكثر من الارتياح الذي يحدثه في النفس.

فإذا ساهمت في عمل من أعمال الخير فيجب أن تشعر نفسك بالراحة من كل قلبك. وأي نوع آخر من أنواع الإعطاء يعتبر خيانة رهيبة للحياة نفسها. والحق أن الإحسان والإخلاص، هما الشيئان اللذان أثرا في حياتي تأثيراً عميقاً. أجل، لقد كانا مصدر ارتياحي العظيم في كل يوم عشته. وقاعدة الولاء هذه جعلتني أراجع في ختام كل يوم مجال

نشاطي طواله.. حتى أتأكد أنني لم أسئ ـ عن قصد ـ إلى أحد في مجال نشاطي اليومي.

ولقد حاولت دائماً أن أصلح الإساءات التي تسببت فيها قبل نهاية اليوم، ولا ريب أن هذا مني عمل ينطوي على الأنانية، لأنني أدركت أن هذه المراجعة مني لتصرفاتي في كل يوم تجعلني أنام نوماً طيباً.

وهكذا استطعت أثناء سيري حول التل المشرف على السهل كل يوم من أيام حياتي أن أهتدي إلى أن الفضائل هي نفس الفضائل على الدوام، سواء كنت في لندن أو باريس أو روما أو القاهرة أو نيويورك أو هوليوود أو واهو أو نيبراسكا.

إني لمدين لهذه الفضائل العتيدة التي تعلمتها، وأنا بعد صبي في نيبراسكا، وأرجو أن أزود على الدوام بقسط واف من التواضع الصحيح، أعرب به عن امتناني وشكري، إذ ولدت في بلد أتاح لي مثل هذه الفرصة.

فضائل الحياة

بقلم هاري ج.بليك

هاري ج بليك من أشهر تجار الصوف ، وهو رئيس شركة بليك بمدينة بوسطن ، وكان مديراً لغرفتها التجارية. ولا يقتصر نشاطه على الأعمال التجارية والاقتصادية ، وإنما تجاوزه إلى المساهمة في مشروعات اجتماعية وخيرية عديدة ، منها إنشاء المستشفيات والمدارس وإعداد المخيمات الصيفية للبنين والبنات.

حدث ذات ليلة من ليالي الصيف الماضي أن كنت جالساً في حديقتنا مع زوجتي ونجلينا. وكان الولدان في إجازة آخر الأسبوع، وهي بالنسبة للولد الأكبر آخر إجازة تعقبها فترة طويلة من البعاد والغياب.

لقد كان ضابطاً في البحرية يناهز الرابعة والعشرين من العمر، أما الأصغر ـ وهو في العشرين ـ فقد كان جندياً في الجيش، ولكنه أقبل من فورت ديكس ليودع أخاه.

وكنا وقتئذ نسرد الذكريات الجميلة عن طفولتهما، فرحين بهذه الذكريات وبالحديث عن مختلف شئون الأسرة.. ولكن هذه الجلسة العائلية العاطفية لم تكن لتخلو من التعرض لمسائل هامة..

لقد سألني أولادي عن أهم الصفات التي يجب ـ في نظري ـ أن يتحلى بها الإنسان في هذه الحياة.. ولقد فكرت في هذا الموضوع برهة، ولكني أدركت على الفور أن الفضائل الثلاث الأساسية ـ وهي: الإيمان، والأمل، والإحسان ـ هي الأساس لكل شيء خليق بالجهد، بل منها وحدها ينبع كل ما فيه الخير.. فهي تمثل فينا ذلك الحافز القوي الذي يدفعنا إلى الوفاء بالتزاماتنا نحو خالقنا ونحو المجتمع.. بل هي في حد ذاتها الأساس لما نحرز من نجاح دنيوي أو مادي.

ولقد أكد لي ولداي أنهما على بينة من تلك الحقائق البسيطة المعقولة.. ولكنهما اقترحا على ــ رغم هذا ــ أن أعرض لما أقول في شيء من التفصيل، مبتدئاً من وجهة النظر التي تحاول تطبيق هذه الفضائل بصفة عملية، أن أستطرد بعدها إلى تلك الصفات أو الخصائص التي تؤهل الإنسان لحياة موفقة في عمله، وكذلك لتحقيق السعادة في الحياة. وطبيعي أننا اتفقنا على أن الإيمان ـ وهو أعظم هذه الفضائل جميعاً ـ إن هو إلا اعتقاد الإنسان في وجود الله. ومن المؤكد أن الإيمان هو المصدر الذي يستقي منه الإنسان ولاءه لوطنه وبيئته وأصدقائه.

وما الابتكار إلا نتيجة لهذا الإيمان، كما أن النزاهة والثقة هي الأسس الجوهرية التي يقوم عليها، والأمل هو القوة الفعالة في عزيمة الإنسان وشجاعته. أقصد تلك الإرادة التي تستهدف النجاح، والواعز الذي يحفزك إلى الإنجاز، بالإضافة إلى القوة التي تحدوك إلى المقاومة.. وهي عتاد الأمل ومعين قوته. ثم تأتي بعد ذلك يد الإحسان العطوف تلك هي الرحمة والإيثار والتواضع والشفقة، وهي الفضيلة متعدّدة النواحي، بل هي أعظم الفضائل جميعاً.

ومهما تباينت صور الفضائل الثلاث، فهي على الدوام عماد حياتنا الدنيا في نطاقها الواسع الذي اجتزناه منذ ولدنا. وأخيراً، هبنا أسأنا تطبيق بعض هذه الفضائل عبر الطريق، فليس من العسير أن نصلح ما اعوج من الأمر وأن نستعيد العمل بها، ذلك أنها معين لا ينضب نستطيع الاستقاء منه جميعاً، متى توافرت لدينا نية الاستفادة منه والعمل به. وكان الظلام يطوي الحديقة عندما انتهينا من هذا الحديث واتفقنا على أن الإيمان والأمل والإحسان ـ وهي فضائل أزلية كأزلية الشمس في مشرقها ومغربها، أو قديمة قدم المد والجزر في البحر، أو خالدة خلود الجبال ــ ما زالت تحتفظ بطابعها الجديد، كالمخترعات الحديثة الجبارة في الكيمياء والعلم. إنها في الواقع فضائل يومنا هذا كما كانت فضائل أجيال مضت.

وأخيراً.. إن هذه الفضائل العظيمة التي تتسم بالكمال والبساطة، يرجع إليها الفضل فيما أنجز البشر من معجزات. ذلك هو ما علمتني الحياة.

الحرية والعدالة حق للجميع

ليلاند ستو

ولد ليلاند ستو في "سوث برى" بكونكتيكوت عام 1899 ، وكان في غضون ربع القرن الأخير مراسلاً صحفياً في الخارج إبان السلم والحرب ، وشمل نشاطه القارات الخمس قاطبة. وقد حاز جائزة بوليتزر لقاء أنبائه عن أوربا بين الحربين. فكان مراسلاً حربياً لجيوش سبع دول مختلفة وجيوش المستعمرات في الحرب الأخيرة. ولقد ألف ، نتيجة لمشاهداته ، عدة كتب صادفت رواجاً عظيماً.

أغرقتني مشاغل هذا العالم فترة دامت أربعة وعشرين عاماً، قابلت خلالها أناساً من مختلف أقطار العالم، وشاهدت الدول تنساق إلى الحرب، وقد آمنت بعد كل هذا، أن ثمة رسالة هامة لكل منا في الحياة.. تلك هي أن نحاول تفهم وجهة نظر الآخرين. لقد فكرت طويلاً فيما يجب أن أتسم به من تسامح وعدالة، كما لو كنت في موقف إنسان آخر أرى الأشياء كما يراها، وأشعر بها على نحو ما يشعر هو بها. وأنى لأذكر ما حدث في السنين التي أعقبت عام 1920 مما دار بين الأمريكيين والأوربيين من نقاش حاد بسبب تخفيض ديون الحرب، وكان علي في هذا الصدد أن أفسر موقف أوربا وشعورها، ولماذا وقفت هذا الموقف. وكان من نتيجة هذا، أن أدركت عنصر الضعف والقوة فيما يذهب إليه كل طرف من الطرفين في مثل هذا الصراع. لم يدر بخلدنا أن نفكر في وجهة النظر الأوروبية وقتئذ التفكير الكافي، وكذلك لم يفكر الأوربيون في وجهة نظرنا ولم يلقوا لها بالاً... ومتى تعذر إدراك وجهات النظر على هذا النسق، كان لا بد من قيام البغضاء واشتعال الحرب. ولكن مثل هذا يحدث في حياتنا اليومية أيضاً. فلو أني تحدثت في احتقار عن جنس آخر من الأجناس البشرية، لكان من أثر ذلك إثارة البغضاء والصراع

في بلادنا. ولقد فكرت فيما كان يخالجني من شعور لو أني كنت فرداً من أفراد هذه الجماعة المهينة.. شاهدت بعيني رأسي في برلين عدوان أوغار هتلر على لفيف من الضعفاء، وحين عدت إلى وطني سمعت الناس يعلقون على ذلك العدوان بقولهم: "نعم هذا شأنهم"، ولقد نسي هؤلاء أن الحرية والعدالة حق للجنس البشري بأسره، وليستا وقفا على الأمريكيين وحدهم.

لقد نسي هؤلاء أن البشر بشر بغض النظر عن العقيدة أو الجنس أو القومية، وأني لأتذكر فقراء الأسبان واليونان من الفلاحين الذين شاطروني خبزهم وجبنهم، وكان هذا كل ما ملكت أيديهم. كما أذكر تلك المرأة الروسية العجوز التي آثرتني بسريرها وفضلت هي أن تنام على الأرض.. وهكذا كم من أناس لا يعرفون لغتي وإنما يخاطبوني بقلوبهم.

إن خير أصدقائي مجموعة كهيئة الأمم، تضم أوروبيين وآسيويين ومواطنين من أمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية، وكافة أقطار الأرض، ولعل خير ما ينطوي عليه هذا، هو الكشف عن مدى ما نرتبط به من صلاة مشتركة تذكرنا على الدوام بأن الصداقة لا تعرف تلك الحدود القومية الجغرافية الضيقة، وما يستتبع هذا من علم بأن كل عناصر الشعوب تستطيع فهم بعضها بعضاً.

إن طبيعة كل فرد مزيج من الخير والشر. ولقد وجدت أن الخير في طبيعة أغلب البشر يرجح الشر، وتلك ظاهرة ألمسها في كل أقطار الأرض، وما عليك في هذا الصدد إلا أن تعمل الفكر.. إن إدراك الحقيقة مثله كمثل الزهرة إذ تزدهر، ولكن عليك أن تتعهد نموها بالري، فإذا ما ازدهرت كان إحساسك عجباً. وستشعر بهذا حين تكسب صديقاً جديداً، وأني لأتخيل حقيقة الصداقة في الإحسان والمحبة، وفي اعتقادي أن هذا يسبغ على حياتنا معنى جديداً. وبودي لو يقول الناس عند موتي: "لقد كان هدفه أن يجعل الإنسان يفهم أخاه الإنسان". وطبيعي أن أخفق في هذا بعض الأحيان ولكن ما أبذله من محاولة في هذا الصدد يجعل الحياة خليقة بالحرص عليها.

فلنضحك ولنتسامح!

أليزابيت كوكر

تجمع السيدة "أليزابيت كوكر" في إهاب شخصيتها نواحي ثلاثاً. فهي مؤلفة وزوجة وأم. وقد احتفلت هي وزوجها صاحب أحد مصانع الورق بمضي عشرين سنة على زواجهما في عام 1950 ، وذلك بنشر روايتها الأولى "ابنة الغرباء" أما روايتها الثانية "يوم الطاووس" فلقد نشرت حديثاً. وهي تعيش مع زوجها وطفليها في مدينة هارتسفيل بولاية كارولينا الجنوبية.

حدث حين كنت في السادسة عشرة أن لطمت لطمة عنيفة على الجانب الأيمن من وجهي، فتحطمت عظمة الخد الأيمن وانكسرت عظمة الفك في عدة مواضع، وتطايرت أسناني الأمامية.. وحين سمح لي الطبيب لأول مرة أن أشاهد ما طرأ على وجهي من مسخ في المرآة، أصبت بإغماء.

ولكن كان من حسن الطالع أني رزقت أباً حكيماً عطوفاً، فلم يقبل أن أنزوي في الغرفة الخلفية، وحملني في سيارتنا الحمراء الكبيرة لأقودها حين أصبحت قادرة على ذلك، ثم دفعني إلى التحدث ببشاشة لكل من قابلنا عبر الطريق.

لقد كان هذا في الواقع أمراً شاقاً ولكن كان أشق منه أن أتعلم كيف استقبل كل يوم جديد، وأن أواصل نشاطي العادي كل يوم. كان علي أن أدرك أن الحياة ليست وسادة للجلوس عليها، وإنما هي لون من التحدي الذي ينبغي أن تعد له العدة.. وإدراكي لهذه الحقيقة أنبت في نفسي إيماناً أستعين به، فضلاً عن شجاعة نفسية مكنتني أن أقف على قدمي في الضراء وحين البأس وعند فقدي الكثيرين ممن أحببت حباً عميقاً.

وما تعودت الإعراض عن الناس.. وهذا هو السبب في أنني كنت بصفة خاصة غنية بعدد كبير من الأصدقاء يتفاوتون في السن. وأذكر كيف كنت أسير أشواطاً بعيدة في سبيل الإبقاء على الصداقات والاستمساك بها، ولكن هذه الأشواط التي قطعتها في هذا السبيل تقترن في نفسي بأعذب التجارب التي صادفتها في حياتي. وفضلاً عن هذا، فقد خلق ذلك مني شخصية عزيزة كريمة. لقد تعودت النظر إلى كل إنسان على أنه شيء ثمين بالنسبة لي، حيوي بالنسبة لحياتي. وقياساً على هذا، بدت لي أهمية الناس. ولست أقصد هنا أهمية البشرية من الوجهة النظرية المجردة.. إذ من السهل حب الناس لأنهم لا يسرفون في طلباتهم الشخصية، وإنما أقصد كذلك هؤلاء الناس الذين يطوقون باب داري يلتمسون عطف قلبي عزاء لهم.

وأنا أؤمن بجدوى الضحك وفائدته، فهو عجيب مبارك. إنه ترتيل لنغمة أحب إلى الخالق من أنين يتصاعد من مخاوفنا وعجزنا. لقد أشربت نفسي حب المرح.. ولذلك استطعت أن أخوض غمار عدة مآزق كانت كفيلة بالقضاء علي لو أنني واجهتها بالضيق والحزن والندم.

ولو بدا لنا أن نقدر قيمة الضحك تقديراً صحيحاً، لاستتبع هذا إيماننا بالتسامح، وهو أقوى ما أدين به من معتقدات في آخر الأمر. إني أؤمن بالتسامح حيال الأجناس البشرية، وحيال الأجناس الضعيفة التي تختلف عن جنسنا والأجناس التي تسمو علينا. وأعتقد أننا متى بلغنا مرحلة التسامح وعرفنا كيف نلائم بينها وبين الظروف المحيطة بنا، أمكننا تحقيق أسباب الحياة السعيدة الناجحة.

حاجتنا إلى الأمناء

كلود. م. فيوس

اشتغل كلود. م. فيوس بالتدريس في أكاديمية فيلبس في آندوفر من أعمال ولاية ماساشوستس منذ أربعين عاماً ، وقد كان في غضون الخمس عشرة سنة الأخيرة منها ناظراً للمدرسة. وحين اعتزل العمل في عام 1948 ، خلف من ورائه مدرسة أرقى مما كانت عليه بمراحل ، وذلك بفضل ما خصص لها من جهود وتضحيات. وقد اشتهر بتآليفه التربوية القيمة. وقد سجل أخيراً التجارب التي مر بها في الأربعين سنة التي قضاها مدرساً وناظراً في ترجمة حياته التي نشرها تحت عنوان "ناظر مدرسة مستقل".

قضيت أكثر من أربعين سنة في تربية الأطفال.. أورثتني إيماناً بكرامة الإنسان، وبذلك المصير النهائي الذي ينتظر البشرية.. إن صفحات الجرائد الأولى لتملئ بنماذج من وحشية الشباب، والمغامرات الجريئة التي يقوم بها المراهقون من لصوص البنوك.. ولكن الحقيقة التي لمستها في كل المدارس، هي وجود مظاهر التفكير المتزن والعطف والكرم. وأشد ما تكون هذه الظواهر وضوحاً بين الطلبة الذين يتسمون بهدوء الطبع، وينصرفون إلى عملهم في لين وهوادة، لا يبغون من وراء ذلك مكافأة. وأجدني، نتيجة لهذا، من النوع الذي يمكن أن يقال في وصفه إنه متفائل إلى حد بعيد. أجل، إنني من أولئك الذين يدركون بعض مثالب الناشئ، ولكنهم على ثقة من أن التقدم يحدث في الواقع، رغم ما يكتنفه من بطء وما يعتوره من غموض في بعض الأحيان، حتى لا يكاد يلمس. إنني أعتقد أن الدنيا تغدو ضرباً من الهذيان، لو أنها بلغت مستوى الكمال.. لا بد أن تنطوي على الصراع والفشل، إذا شئنا أن نصل إلى تقدير دقيق لقيمة النجاح. ولا بد من رؤية الظلال إذا قدر لنا أن نتبين النور.

إن أهم عامل في نجاح النظم الديموقراطية، هو تربية المواطن العادي. ولا أعني بالتربية تثقيف العقل فحسب، وإنما

تهذيب النفس والخلق أيضاً، وهذا هو السبب الذي من أجله سررت كثيراً حين قدم لي تلامذتي سراً إعانة قدرها خمسون دولاراً، لأشتري بها معطفاً لزميل لهم... وهذا هو السبب الذي من أجله شعرت بالفخر حين تبينت أن أحد تلامذتي السابقين الذي لقبه الطلبة جميعاً "بالأمين" كوفئ أخيراً بمدالية الكونجرس لقاء ما أبدى من بسالة في إنقاذ حياة زميل مجروح في كوريا. إن لمدرستي شعاراً هاماً بارزاً في صلب دستورها وهو "أن المعرفة المجردة عن حب الخير خطيرة"... ولدينا اليوم عدد كبير من الكفايات البارزة في هيئاتنا التشريعية والمصالح العامة ولكننا نحتاج إلى عدد كبير من الرجال والأمناء.

وقد علمتني تجاربي أيضاً أن الجهد الشاق يمكن الاستعاضة به عن العبقرية، وإن الكثير من الأعمال ينجز الآن يوماً بعد يوم، بفضل جهود رجال ونساء يستهدفون خلق عالم أفضل يطيب فيه الوجود، ثم هم يقومون بعملهم في تواضع لا يعرف صلفاً أو شموخاً.

وثمة تنبؤات مزعجة يتشدق بها رسل الفزع والتشاؤم، فهم يقولون إن مدينتنا آخذة في الانهيار. نعم لقد حدثت تغيرات كثيرة، وربما أعقبتها تغيرات أخرى.. ولكن ليس من

الضروري أن يفسر هذا التغيير بالانهيار. وإذا كان أولادنا وبناتنا لا يسلكون مسلك أجدادهم، فلن يكون معنى هذا أننا نسير من سيء إلى أسوأ. لقد أصبحت أوقن أن شبابنا خليقون بأن يلعبوا دورهم بصورة لم تُتحْ لنا نحن الكبار.

ويقيني أن الإعطاء يبعث على الاغتباط أكثر من قبول العطاء، وأن رابطة من روابط الجوار تربطني بكل رجل وامرأة بصرف النظر عن اللون أو العقيدة، وأن الحياة لا بد وأن تكون أهم من أكل اللحوم، وأن جسم الإنسان يسمو على الكساء. وتلك العقيدة البسيطة قد دعمتها سنو خدمتي كمدرس وناظر مدرسة.

إن أبناء الجيل الجديد متحررون ـ إلى حد كبير ـ من روح التعصب لجنس أو لدين.. إنهم يؤمنون بالعدالة والمساواة إيماناً عميقاً.. وربما كان من العسير عليهم التعبير السليم عن هذا الإيمان، ولكنه يبدو في أكفارهم وآرائهم في الحياة المهذبة الكريمة، ويقيني أني تعلمت منهم بقدر ما علمتهم..

كانوا قادرين على الاستمتاع بمعين الفنون الذي لا ينفد من موسيقى وشعر وأدب، ونعمة البيت والأسرة ولذة الإبداع الذهني، والسرور المقترن بأعمال البر، وما تشعر به من سلام

بينك وبين نفسك، نتيجة للإيمان بالله. ولقد شاهدت المئات منهم يقومون بدورهم كمواطنين إلى الحد الذي يسمح به تفكيرهم كتلاميذ في مدرسة، وربما كانت هذه هي المكافأة الخالدة التي يحظى بها مدرس مثلي.

أؤمن بالإنسانية

للدكتور هارولد تيلور

الدكتور هارولد تيلور من مواليد كندا. وقد ظفر بدرجتين علميتين من جامعة تورنتو، وحصل على الدكتوراه من جامعة لندن. وبعد أن أمضى عاماً في أوروبا، سائحاً وكاتباً، التحق بقسم الفلسفة بجامعة ويسكونسين. وفيها أشرف على فريق "التنس" واشترك في أوركسترا الجامعة وكان هو الذي يلعب على الآلة الموسيقية المعروفة باسم "الكلارينت" وذلك فضلاً عن تدريسه أشق الدروس المثيرة، الباعثة على الاهتمام. وقد عين عميداً لكلية "سانت لورنس" وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره.

نعيش الآن في مرحلة من مراحل التاريخ البشري تمتاز بالتغييرات الثورية الطارئة على القيم والأفكار الإنسانية كافة وهذا هو الوقت الذي يتحتم على كل فرد منا أن يفتش في قرارة نفسه عن الآراء والمعتقدات والمبادئ التي ينبغي أن يتخذها شعاراً أو أساساً لحياته.

إني أؤمن بالناس وأؤمن بالإنسانية النقية الخالية من الغش والتزوير. إني أؤمن بوجوب الإصغاء لما عند الناس من حديث وبمساعدتهم في سبيل تحقيق الأشياء التي يريدونها، أو التي يحتاجون إليها. وهنالك، بطبيعة الحال، أناس يتصرفون تصرف الوحوش.. فهم يقتلون ويخدعون ويكذبون ويدمرون، غير أننا إذا تجردنا من الإيمان بالإنسان وبإمكانياته في المستقبل، فلن يكون ثمة أمل في ذلك المستقبل.. وسوف يورثنا هذا المرارة والأسف على الماضي الذي ولى وأدبر، وأعتقد أنه يجب على كل منا أن يتخذ لنفسه فلسفة يستطيع العيش على هديها. وهناك قوم يخلقون فلسفة قوامها الكفر بكل شيء.. فهم لا يفتأون يرددون: لقد انعدم الحق والصدق ولم تعد الطيبة سوى مجرد مهارة المرء في تغطية أنانيته ومواراتها عن العيون. وهم يقولون إن الحياة مجرد فترة قصيرة بين ميلاد تعس، وموت محتوم. وهنالك آخرون يقولون إن الإنسان يولد في

بيئة الشر والخطيئة.. وما الحياة سوى مرحلة التطهير بالآلام، في حين أن الموت هو الجائزة التي يتلقاها الذين تألموا وعانوا في الحياة الدنيا. وثمة فريق ثالث يقول إن الإنسان نوع من الآلة، يعمل وفقاً لقوانين معينة، وأنك إذا تعلمت القواعد، وعرفت مقياس القوة الخاص بإدارة تلك الآلة.. استطعت أن تجعل الإنسان يتصرف من تلقاء نفسه تصرفاً "أوتوماتيكياً" لكي يحقق أية أهداف ترسمها في ذهنك.

وعندي أن هذه الفلسفات خاطئة.. فأهم شيء في الحياة هو الطريقة التي نعيش بها. وليس ثمة سعادة مطلقة، أو طيبة مطلقة، أو أخلاق فاضلة مطلقة، أو أي شيء آخر مطلق، إلا في نظر الشخص الذي يؤمن بذلك، ويعمل جاهداً في سبيل تحقيقه. إنما هنالك فقط ذلك الإنسان المفرد الذي يعيش والذي يشعر في مختلف مراحل تجاربه الشخصية في الحياة بأنه سعيد أو شقي، نبيل أو وضيع، عاقل أو سيء التصرف، أو مجرد كائن موجود.

والسؤال الذي يعرض للمرء هو: كيف يتسنى ملء هذه اللحظات المنفردة في مراحل التجارب الإنسانية بثروة من فلسفة تصبح دستوراً للمرء في حياته الخاصة؟ وما لم نتعود التضحية بجانب من جوانب أنفسنا، وما لم نعش مع الآخرين ونفهمهم

ونقدم إليهم يد العون، فنحن لا شك قد فقدنا أهم جانب حيوي من جوانب حياتنا البشرية، وما أساس فلسفتي إلا ما توارثه الإنسان بحكم قوميته من التحرر والثقة والمقدرة على صنع الخير. وإذا أتيحت للمرء فرصة صحيحة لاستخدام قواه، فإن هذه الفلسفة ستسفر عن فيض منهمر لا نهاية له من النشاط الحيوي، وقسط عظيم من الإرادة التي تستهدف القيام بأعمال جديدة أساسها الإيمان بالمستقبل.

والطرق التي تؤدي إلى الحكمة والصلاح، لا يقل عددها عن أولئك الذين يعتزمون السير فيها. وهنالك من الحقائق الأساسية التي نستطيع الوقوف عليها عدد يوازي عدد الرجال الذين يجدون في البحث عنها ويعتزمون الوقوف عليها. وهنالك أيضاً من الآراء والمبادئ عدد يكافئ عدد الرجال ذوي العزيمة الذين سيحرصون عليها حية في أذهانهم، وسيعملون بمقتضاها في مضمار حياتهم.

لنكن جديرين بالحياة

وليام ف.جيمس

وليم. ف. جيمس شاب في العقد الرابع من العمر يشتغل بائعاً للسيارات في سانت لويس بميسوري. وقد كان وكيلاً للقومندان في البحرية فأبدى من النشاط ما استحق من أجله الإنعام عليه بوسام كريم. هذا فضلاً عن الإنعام عليه بميدالية البحرية والغواصات ، وظفره "بصليب البحرية" وقد أكسبته جهوده في ميادين خدمة الشباب "جائزة المؤسسة الحرة" فكرمته الغرفة التجارية المحلية في الولايات المتحدة.

أريد أن أقول قبل كل شيء إني أستمتع بمعرفة الناس. وأقصد بذلك الناس من مختلف الحرف، من دون تفرقة بين اللون أو العقيدة. إني أسر بمعرفتهم جميعاً. وفي اعتقادي أن كل طائفة من هؤلاء الناس يجب أن تظفر باحترام الناس لمشاعرهم ومعتقداتهم. وأرى أني استفدت كثيراً من خدمتي في البحرية في السنين الأخيرة القليلة، لأني تعلمت في هذه الفترة معنى كلمة "التسامح". كنت قبل الحرب أدأب على انتقاد الناس، موجهاً هذا النقد لأشخاصهم أو لأعمالهم. أما اليوم فأنا أعتقد أن كل عمل فردي لا بد وأن يستند إلى أسباب أو مبررات.

وغالباً ما تتهمني زوجتي بأنني شديد الحساسية. ولست أعتقد أن هذا حقيقي. ولكني أدرك الآن أن ما يقوله الإنسان من كلمات محدودة له أبلغ الأثر في الآخرين. وما دمت قد تعلمت التسامح، فالذي أشعر به هو حساسية الآخرين ومن ثم تنبغي علي حمايتهم قولاً وعملاً.

ولقد آمنت بأن علينا في هذه الحياة أن نتحمل لوناً من ألوان المتاعب سواء أكانت هذه المتاعب مرضاً، أو عجزاً، أو تتعلق باعتبارات شخصية: كتشوه جثماني، أو مشكلة تخص

الوالدين، أو زواجاً غير موفق. وفي اعتقادي كذلك أن الوقت كفيل بعلاج كل مأساة عن أحد طريقين: الأول أن يتعود الإنسان ما يقاسيه من عجز أو محنة شخصية، والثاني أن يقتنع الإنسان في آخر الأمر بأن عليه وحده تقع تبعة مأساته.

ولقد أدركت قيمة الحياة نفسها في فترة مرت بي، كنت فيها "مرهقاً بالعمل". حدث أن كنت أتحدث إلى أحد رفاقي الذين كانوا يعملون على السفينة التي كنا نعمل فيها، وقد نجا من موت محقق هو الغرق.. فإذا بالحقيقة تبدو أمامنا سافرة جلية، تلك هي أن متاع الحياة الدنيا من مال وسلطة وقوة يتضاءل كله أمام بحر من الظلمات والزيت والبرد. والله من فوقنا، هو وحده الذي يعرف ما نكابد من عذاب، وهو وحده الذي يستطيع تخليصنا منه، أما نحن فلا نملك من أمرنا شيئاً. والوديعة الوحيدة التي نملكها هي حياتنا بالإضافة إلى حيوات أخرى تنتظرنا في ديارنا. وأعتقد الآن، كما كنت أعتقد حينئذ، أني أستحق هذه الوديعة العظيمة. وما دمت قد فهمت هذا، فقد أصبح لزاماً علي أن أنجز من الأعمال ما هو ضروري لتبرير استحقاقي هذه الهبة. فإذا عجزت عن الحياة بالشكل الذي أريده، بالعقيدة التي أؤمن بها.. فإني أفضل الموت.

وإنـي لأؤمـن بـل كـل شـيء بوجـود إلـه عـادل، وأنـه سـوف يحاسـبني، لا علـى مـا عملـت أو علـى مـا أنجـزت مـن أعمـال، وإنما سيحاسبني حساباً يتناسب وإدراكي للحقائق.

فمـا دام قـد وهـبني العقـل الـذي أدرك بـه، وأعـرف مـا أسـتطيع عملـه، وأعـرف كيـف أميـز بـين الخطـأ والصـواب.. فعلى هذا الأساس وحده سوف يحاسبني على ما قصـرت فيـه، إذا لم أستجب له.. ذلك هو اعتقادي.

دنيا واحدة.. في وقت واحد

روبرت هيلر

ولد روبرت هيلر ـ الحائز على جائزة بوليتزر في الشعر ـــ في مدينة أيست أورنج في نيوجرسي عام 1895 ، وقد انتدب عقب تخرجه في جامعة هارفرد سنة 1917 للعمل في الجيش لمدة سنتين ، عاد بعدها إلى وطنه. فاشتغل بالتدريس في هارفرد ، وأخيراً أنعمت عليه الجامعة بكرسي الأستاذية في البيان والخطابة.

"إني لأشعر بالمجد المقبل على هذا العالم من ضياء علوي"
هـذا السـطر الأخـير مـن قصـيدة بعنـوان "العقيـدة" لأدويـن أرلنجتون روبنسـون، يعبر عـن جوهـر عقيـدتي الـتي أؤمـن بهـا. وأجـد مـن واجبي إزالـة مـا خلفتـه العواطـف الجامـدة والأسـف والأسـى والأطمـاع الدنيئـة مـن آثـار، حتـى يمكـن لهـذا الضيـاء الباهـر أن يكتسحها كلها. إن الحواس الخمس وتلك الأنفاس الغامضة التي هـي سـر الحياة، تنساب بنـا معرجـة في مدهشـات هـذا الكـون، فيتجلى أمامنا مجد الله. وإني ـ وإن كنـت قلمـا أسمو بنفسي إلى مرتبة ذلك الفيض الروحـي الـذي يشـرق علـى النفس في لحظات معدودات ـ إلا أني متأهب مشـرأب لمثل هـذا السمو على الدوام.. أي أني أتحدى تلك الرغبة التي تجرفنا نحو النسيان، تلك الرغبـة الـتي تنـال مـن حقيقـة الإنسـان وجـوهـره، حتى حين يدعونا الضياء إلى الإشراق الروحي الكامل.

وتلـك الرغبـة الـتي تنسـينا معجـزات الخليقـة تتـآمر علـى الروح، مستعينة عليها بظروفها الخارجيـة، وباعتبـارات داخليـة مـن صـميم الـنفس أيضـاً.. وعناصـر هـذا التـآمر هـي المتاعـب والغضـب والحسـد والمظـاهر وهـي بحكـم طبيعتهـا تسـعى إلى الأشياء التي تثور عليها ثم هـي نتيجـة لهـذا تقتنـع بتفاهـة كـل شيء. ولكنني بالتأمل والصلاة أستطيع الهرب مـن هـذه القـوى

المظلمة الهدامة، والعودة إلى الآيات البينات في هذا الكون وإلى الابتهاج بالله.

إني أؤمن بالحياة بعد الموت، لأني ـ أسوة بالكثيرين ـ أوتيت "معرفة بالخلود". ولست أستطيع تفسير هذه الحقيقة بأكثر مما تستطيع البذرة الجامدة تفسير الشجرة الحية المثمرة.

كذلك أؤمن بحسن نوايا الآخرين، وأثق في الناس بحكم الغريزة.. ولقد خدعتني هذه الثقة بالناس في أمور صغيرة أحياناً، وفي أمور خطيرة أحياناً أخرى، ولكني لا أستطيع أن أتخلى عن ثقتي بالناس.. لأن الشك ليس من طبيعتي، ولن أعمد إلى هذا لأن عدد الذين برروا ثقتي بالناس هم عشرة بالنسبة إلى واحد عبث بهذه الثقة، والذي أعرفه كذلك هو أني أخفقت في بعض الأحيان إخفاقاً جعلني غير جدير بثقة الناس في، وأن يكن ذلك على غير قصد مني.

أما القول بأن هذا الكون يستهدف غاية معينة، هي الكمال الروحي.. فهذا أمر منطقي، إلا إذا افترضنا أننا جميعاً خلايا في مخ أبله. إن إيماني بتطور روحاني و مادي في نفس الوقت، كان من أثره أن جعلني أحتفظ بتفاؤلي رغم ما

ذهب إليه المنكرون والمرجفون. وقد تنعكس الآية في قرن أو قرون، ولكن هذا الفشل تافه إذا ما قيس بمقياس التقدم الإنساني المنتظر، أو حتى ذلك التقدم الذي أحرزته البشرية إلى هذه اللحظة.

ودستوري في الحياة اليومية: "دنيا واحدة في وقت واحد" وأعني بهذا أني لا أريد أن تتعقد حياتي باعتبارات مادية. وفي نفس الوقت، لن أعلل النفس بألوان من المتاع أحظى بها في المستقبل، استناداً إلى آراء متعصبة تنكر علي النفس استمتاعها بالحاضر.

أؤمن بخلود الروح

للدكتور أدموند .أ. براسيت

لم يكد ينتهي الدكتور "أدموند. أ. براسيت" من دراسته في جامعة وانهوزر ، ومن جامعتي مونت ريل وهارفارد فيما بعد حتى انصرف لمزاولة الطب والجراحة مدى ثمانية عشر عاماً. وعلى الرغم من مزاولته عمله هذا في ظروف قاسية ، في غالب الأحوال ، فقد كان يدخر بعض وقته لكتابة تاريخ حياته ، ذلك التاريخ الذي يتتبع سلسلة كفاح مرير ، من طفولة فقيرة معدمة في نوفا سكوشيا ، إلى أن أصبح طبيباً جهيراً في ويكفيلد. ولقد صادف كتابه نجاحاً سريعاً عندما نشر تحت عنوان "طبيب يجوب آفاق الحياة".

إن الطبيب الذي يستطيع أن يزاول نشاطه في حدود الاعتدال، يجد أمامه في عيادته، في غضون عام على الأقل، ألفين من الناس يقصدونه للعلاج. وقد حدث لي في مرحلة الأعوام الثمانية عشر التي زاولت فيها مهنة الطب أن قصدني في عيادتي عدد كبير من المرضى، الذين حدثوني عن أمراضهم، وعما ساورهم من قلق، وما اكتنف حياتهم من مآس. وقد تمخضت هذه التجارب عن حقيقة واحدة جوهرية تلك هي أن كل إنسان على سطح الأرض، رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً، خليق بأن يعامل بالاحترام الجدير بكرامة الجنس البشري، وذلك بصرف النظر عن قيمته في الحياة.

وما جسم الإنسان إلا أعظم آلة، صممت في إحكام دقيق، أضفى عليها من ألوان الجمال ما جعلها أجمل هيكل على وجه الأرض، والواقع أن كل عظمة من عظام الجسم تعتبر في تكوينها آلة من آيات الفن. وكل عضو يبرز آيات الكفاية، يتضاءل أمام إعجازها أي مهندس، وليست أصغر غدة في الجسم إلا معيناً لنشاط كيمائي يتضاءل حياله إنتاج أي معمل في هذا العالم، صنعه الإنسان. ولو أن ما في الأرض من كتب في الطب جمعت فوق بعضها، لبلغت في الارتفاع مبلغ ناطحات السحاب، ولكن هذه لن تأتينا بعلم عما يجري في د

اخل هذا الجسم، اللهم إلا النزر اليسير الذي يتناول قشوراً مما كان يجب علينا معرفته عن نشاط هذا الجسم البشري. وإنك لتجد من فوق إعجاز هذه الصورة المركزة الكاملة عنصراً آخر في الإنسان، لا هو بالآلي ولا هو بالمادي ـ عنصراً لا وجود له في لون آخر من ألوان الكائنات الحية التي نعرفها.. ذلك عنصر لا نستطيع رؤيته، ولن نقدر حتى على البدء في إدراك حقيقته أو العلم به، ولكنه موجود.. وبه يسمو الإنسان على سائر الحيوان.

*

هذا ولا بد للطبيب أن يساهم في حياة عدد كبير من الناس بقدر. فهو لا بد له أن يعرف متاعبهم، وأن يتألم لآلامهم. ثم هو يبذل كل جهد ممكن ابتغاء تحقيق صحتهم وسعادتهم، فإذا نجح في ذلك أمسى مغتبطاً لاغتباطهم. إذ الواقع أن الطبيب الكفء، هو في حدود اختصاصه، خادم لأقل فرد يحتاج لخدماته. ولا أستطيع القول بأنني أحببت كل رجل وامرأة قابلت في حياتي العملية ــ وإن كنت أحببت معظمهم ـ ولكن لا علاقة للمحبة بالاحترام. هناك من الناس من يصبح مرائياً كذاباً، لصاً قاتلاً. ولكن هؤلاء جميعاً

بشـر، ولسـت أسـتطيع إخفـاء مقـتي لهـؤلاء النـاس في بعـض الأحيان، غير أن هذا أمر موقوف. لأن الكراهية لا يمكـن أن تبقى على طول المدى، إلا إذا وجدت ما يغذيها ويذكي نارها بصورة مستمرة.

*

وأنـا شـديد الإيمـان بـالله، الـذي خلـق الأرض ودفعهـا للـدوران حـول الشـمس. وأعـرف كـذلك أن هـذه الأرض في حركتها ودورانها لن تظل هكذا إلى الأبد، ذلك أن حركتها تتضاءل شيئاً فشيئاً، ولا بد أن يأتي يوم ـ وقد يقع بعد مليون سنة ـ يقف فيه دورانها، ويفنى كل شيء فيها. ولكن قبل أن يحدث هـذا بـزمن طويـل، سـتنتهي حيـاة البشـر علـى سـطح البسيطة، وتطوى صفحة جهودهم وجهادهم فيها، فتتلاشى المدن والطرق والآلات والكتب. غير أنني، حتى إذا اختفى وتبدد صوت آخر فرد من أفراد البشرية، وخيم سكون الأبدية الجامد، فطوى هـذا الكوكب، لا زلت أؤمن بخلود الروح على صورة من الصور.

قانون القلب

جورج فردريك

جورج فردريك رئيس مكتب العمل ، وهو منظمة من منظمات البحث والنشر. وعلى الرغم من أنه المؤسس لمكاتب العمل النظامية ، إلا أنه ، بالإضافة إلى هذا ، قد ساهم في تأسيس نادي مديري الأعمال التجارية في مدينة نيويورك. ولعل أهم ما أنجزوه من مهام في هذا المضمار ، هو إكمال الأبحاث الخاصة بتسويق الإنتاج ، ذلك الموضوع الذي يحظى اليوم بجانب عظيم من التقدير والاهتمام وهو متزوج من كاتبة مشهورة بأبحاثها عن إدارة المنزل.

وهكذا انتهيت في آخر الشوط إلى نقطة بسيطة فيما يتصل بما آمنت به. لقد آمنت بما أرى تسميته "قانون القلب"، وتلك عبارة معناها في قاموس الطب، ذلك الكشف العظيم الذي انتهى إليه الأستاذ أرنست هنري ستارلنج، ويتضمن النظام الدقيق الذي يجعل القلب يسرع في دقاته ثم يتباطئ من تلقاء نفسه، مستعيناً على ذلك بعضلة خاصة، هذا فضلاً عن الطريقة التي يعمد إليها في إنجاز عملية حيوية ذات شقين، هي عملية تبادل السوائل فيما بين مجرى الدم وأنسجة الجسم.

وإني لأجد في نظرتي إلى هذه الحياة الدنيا إن هنالك حاجة قصوى لعملية أخرى ذات شقين أيضاً، هي تبادل العواطف القلبية بين البشر، وهو تبادل بدونه تستحيل الروح الإنسانية والعلائق التي تربط بين أعضاء الأسرة البشرية، إلى مرحلة من الجمود والخطورة. وما الاعتماد على الفضائل الجوهرية المجردة إلا من قبيل الأفكار الآلية الجوفاء.. مثال ذلك ما اكتشفناه من أن الأطفال لا يتقدمون بدون حب الأم، ذلك الحب الذي يحفزهم على التقدم.

وعندي أن معنى "قانون القلب" هو أن في مقدوري الظفر بسلامة العقل والجسم سلامة كاملة، بالإضافة إلى تنشئة أقوى الروابط الفعالة بيني و بين الحياة والأحياء، لو أن نفسي

العاطفية الناجحة استطاعت السيطرة على غرائزي وأفعالي. فإذا ما حكمت العقل في أمر من الأمور، ثم أصغيت لإيحاء عواطفي الحقيقية، فهذا هو أصدق الأحكام وأدناها إلى النزاهة على النحو الذي يمكن أن يتسنى لكائن حي مثلي. والواقع أن للإنسان نفساً واحدة لا تتجزأ، وفي اعتقادي أنه كل متماسك يتألف من العقل والروح والجسم، ولكن صوتاً واحداً يصدر عن هذه العناصر جميعاً، ذلك هو صوت القلب.

واعتقادي أن الطريقة التي يعمل بها قانون القلب في هذه الحياة، إن هي إلا صورة رمزية تفيض بأسمى المعاني التي توحي إلينا، فالذي نعلمه هو أن الإنسان لا بد وأن يعطي لأخيه الضعيف الأسوأ حظاً شطراً من دمه كبرهان على روح الأخوة. ونعلم كذلك أن القلوب والشرايين الجامدة التي لا تستجيب ولا تنفعل، قد تنتهي بالمرء إلى موت مفاجئ، بل نعلم أكثر من هذا أن القلوب التي تنسجم دقاتها مع المشاكل والآلام والأحزان والحاجات التي يشعر بها الغير، قد أوتيت علماً بالموسيقى السماوية، وهو علم لا قبل لغيرها به.. وكذلك نعلم أن القلوب التي تسرع في النبض عندما تلمح الجمال والنبل أو تستهويها الشجاعة والتضحية أو يثيرها الحب والتعاطف، أو رؤية طفل أو مشاهدة ضياء الشمس لا بد وأن تغدو عامرة

فياضة بألوان من الحياة، ترتل أناشيدها التي لا يفقهها الغير. ونحن نعلم آخر الأمر أن هؤلاء الذين يكبحون غرائز القلب الطبيعية قد ينتهي بهم الأمر إلى إيقاف تيار عاطف جموح يورثهم الجمود والتبطل.

وإذن، فالقانون الأول من قوانين القلب ـ وهو ما أستطيع توكيده هنا ـ هو أن يخفق، وأن يحب، فإذا فقدت هذا الخفقان أو الحب، فأنت في طريقك إلى موت وحي عاجل أكيد. وهنالك عدد كبير جداً من الناس، يبدو أنه قد شغلته نفسه، فوقع تحت نيرها الباطش، فلم يعد قادراً على الحب أو راغباً فيه، أما القانون الثاني من قوانين القلب فهو، على ما أعتقد، الإعطاء والتسامح والتضحية. وتفصيل ذلك أن القلب هو معين الإمداد و الإغداق لكل ذرة من ذرات الجسم الدفينة، كما أن عضلة القلب هي أقوى عضلات الجسم طراً.

تلك هي الأشياء التي أعرفها وأؤمن بها.. وهي الأسس التي أقيم عليها طرح فلسفتي عن هذه الحياة الدنيا. وهي فلسفة أرى فيها دستوراً نافعاً لنفسي. إنها تقربني إلى الأرض، ولكنها، مع ذلك ترفع رأسي عالياً في السماء. إن قلبي ليكاد يلمس الحقيقة الأزلية. وفي اعتقادي أن القلب المثقف الناضج هو أنبل ما في الإنسان، بل هو أمل هذا الوجود.

الحرب وسيلة الجبناء

لي بريستول

تخرج في كلية هاملتون ، وأصاب نجاحاً كبيراً في الأعمال الحرة ، وعمل مديراً لإحدى الشركات الكبيرة في نيويورك ، ويشترك في كثير من الجمعيات القومية العاملة لخير المجتمع ونشر الأخوة والمحبة بين الناس. وفي سنة 1947 رأس حملة صحفية قامت بها هيئة الدعاية والإعلان لنشر المبادئ القويمة ومكافحة الفوارق الجنسية والدينية بين الأهلين ، فأثبت بالدليل العملي أن استخدام الإعلان في هذا الميدان أبعد أثراً من استخدامه في ميادين التجارة والصناعة.

في مثل مجتمع معقد كالذي نعيش فيه، لا مناص للفرد من أن يشعر أحياناً بشيء من القلق والارتباك. وكثيرون من الناس يرجعون هذا إلى المشكلات العامة التي يعانيها المجتمع أو العالم كله، ولكني أعتقد أن الحل الأساسي لمشكلات الأفراد والجماعات يجب أن يوكل إلى الفرد نفسه أولاً وقبل كل شيء. فالواقع أن لكل فرد منا جانباً روحياً تمتد جذوره إلى أقصى أعماق نفسه، وهو لذلك لا يستطيع أن ينسى هذا الجانب أو يتناساه، مهما يخيل إليه أنه جانب سطحي من السهل نسيانه أو تناسيه.

وليس من شك عندي في أن الأساس الذي يقوم عليه جانبي الروحي هو الإيمان بالخالق، وبما يتجلى في الكون من مظاهر قدرته الخارقة على الإبداع والتنظيم. ومن هنا وقر في نفسي أن السعادة الحقة في هذه الحياة الفانية لا يمكن أن يحصل عليها الفرد من طريق الأنانية وحب الذات فقط، بل عليه في الوقت الذي ينشد فيه السعادة لنفسه أن ينشدها للآخرين، وبذلك يرضى ذلك الجانب الروحي في نفسه، ويكون تصرفه متفقاً مع إيمانه بالله، ومع إيمانه بواجبه في الحياة.

نعم، إن الخدمات التي يؤديها الفرد لغيره هي الطريق الصحيح إلى إسعاد نفسه لأنها هي الزكاة التي يؤديها عن حياته التي وهبها له الله. أما الأنانية والأثرة وحب الذات فهي لا تستطيع أبداً أن تحقق لصاحبها سعادة حقة، وهي في الوقت نفسه تحيط حياته بالمنغصات، بل إليها يرجع ما يشكوه العالم كله من ظلم وفساد، بين الجماعات والأفراد.

والواقع أن كل إنسان ينشد السعادة لا بد له من أن يقبل على الحياة بروح سهلة طلقة طابعها المرح والبساطة، كما يجب عليه أن يحرص دائماً على أن يكون منسجماً مع نفسه ومع من حوله، ليسعد ويسعدوا بحسن التفاهم والتعاون المثمر.

ولئن كان أسلافنا قد أتيح لبعضهم أن يعتنقوا هذه العقيدة استجابة للعظات الدينية التي غرست في نفوسهم حب الخير أملاً في الجنة التي وُعِدَ بها المتقون في الحياة الآخرة، وخوفاً من نار الجحيم التي أعدت هناك عقاباً على الأنانية وحب الذات، فما أحرانا اليوم بأن نعمل بهذه العقيدة لكي نسعد أنفسنا ونسعد العالم الذي نعيش فيه بالقضاء على أسباب الشقاق والمظالم التي تذهب بسلامه وأمنه وسعادته.

لقد كتب "توماس مان" يوماً عن الحرب فقال: "إنها الطريق الذي يسلكه الجبناء فراراً من مشكلات السلام". والواقع أننا لو استطعنا أن يرسم كل منا لنفسه طريقاً مستقيماً لتنظيم حياته على أساس تبادل المحبة والتعاون مع الآخرين، فإنه في الوقت نفسه يكون قد وجد الطريق إلى إسعاد العالم واستمتاعه بالاستقرار والسلام.

للحياة قيمة سحرية كبرى

توماس مان

ولد توماس مان في بلدة ليباخ الألمانية ، ونشأ في رعاية أسرته العريقة الثرية ذات النفوذ الواسع ، فبرزت مواهبه في سن مبكرة ، وعرفه العالم أجمع على أثر نشر قصته الخالدة التي صدرت في ألمانيا قبل عهد هتلر وبيع منها أكثر من مليون نسخة ، وزاد في شهرته ظهور قصته الثانية "جبل السحر" سنة 1927 ، ثم حصوله على جائزة نوبل في الآداب بعد سنتين. ويعده الكثيرون خليفة "جوته". كما يعد كتابه "يوسف وأخوته" في مقدمة الكتب العالمية الخالدة. وقد هاجر إلى أمريكا وجرد من جنسيته الألمانية لعداوته للدكتاتورية. وما زال مقيماً بسانت مونيكا في ولاية كاليفورنيا ومعه أولاده الستة وبينهم ثلاث بنات.

ليس كالفناء حقيقة ناصعة استحوذت على شعوري وتفكيري، فقدرتها حق قدرها عن عقيدة وإيمان. وقد يبدو الفناء ـ وأعني به زوال الحياة ـ شيئاً محزناً إلى أقصى حد، لكنه عند من أمعن النظر فيه ليس فيه ما يحزن، فما هو إلا حقيقة الحياة وجوهرها.. وهو الذي يضفي عليها قيمتها وكرامتها وأهميتها، لأنه هو الذي يخلق الوقت، والوقت هو جوهر الحياة، أو هو ـ على الأقل ـ يمكن أن يكون أعظم النعم وأكبرها نفعاً في الحياة، لما هنالك من صلة قوية بينه وبين ضروب الابتكار والنشاط والتقدم كلها، أو لأنه في الواقع هو كل هذه الأشياء!

والفناء يخلق الوقت، لأن الوقت لا يمكن أن يوجد ما لم يكن هناك فناء، وبعبارة أخرى ما لم تكن هنالك للأشياء بداية ونهاية، أو ميلاد وممات!

إن للحياة قيمة سحرية كبرى، وفي طبيعة كل إنسان ما يجعله يتشبث بالحياة ويتعلق بأهدابها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ولكن الناس جميعاً يعلمون علم اليقين أن هذه الحياة موقوتة، لا بد أن تكون لها نهاية كما أن لها بداية. ومن هنا كانت تلك القيمة الكبرى للحياة، وكان الإيمان ببدايتها

ونهايتها، أو الإيمان بالفناء، أهم ما يميز الإنسان من بين بقية الكائنات.

نعم إن العلم بفناء الحياة هو الذي يبعث في الإنسان تلك القوة المتأججة العاملة، وهو الذي يمد روحه بالقوة المعنوية، ويوجب عليه أن يكون على بينة من أمر الوقت وقيمته. على أن هذا لا يعني أن الإنسان وحده قد اختص بالروح، فالواقع أن الكائنات كلها تحمل طابع الروحانية، ولكن روح الإنسان امتازت بقوة الوعي والإدراك، بفضل ما أوتيت من معرفة الحياة والفناء وتعاقبهما.

ومثل الوقت للإنسان كمثل قطعة من الأرض أعطيت له ابتغاء حرثها والقيام عليها. فهو فسحة من الأجل ينشط فيها الإنسان لتحقيق أسمى معاني نفسيته، ويستطيع من طريقها أن يستخلص الباقيات الصالحات من الذاهبات الفانيات.

إنني أؤمن، كما يؤمن جميع الناس، بأن هذه الأرض التي نحيا عليها يجب أن تستأثر من دون بقية أجزاء الكون بالجانب الأكبر من عنايتنا واهتمامنا، كما أني أؤمن إيماناً عميقاً بأن خلق الكون من العدم، وخلق الحياة من مادة غير عضوية، لم يكن هدفهما إلا خلق الإنسان آخر الأمر. فخلق

الإنسان إذن تجربة كبرى لو فشلت نتيجة لإجرامه لكان هذا الفشل أمراً أخطر مما لو فشت تجربة خلقه.

وسواء أصحت هذه العقيدة أم لم تصح، فلا شك في أن سلوك الإنسان في حياته مسلك المؤمن بها، جدير بأن يجعله أصلح وأسعد في الحياة.

هذا طريقي للنجاح

هربرت. هـ. لهمان

تخرج هربرت لهمان في كلية وليام سنة 1899 ، وأمضى ثلاثين عاماً في ممارسة الأعمال التجارية والصناعية. ثم انتخب نائباً لمحافظ نيويورك ، فمحافظاً لها. وفي سنة 1943 وقع عليه الاختيار لشغل منصب المدير العام لإدارة المعونة والتعمير التابعة للأمم المتحدة ، ومنح ميدالية الخدمة الممتازة ، ثم صار عضواً في مجلس الشيوخ الأمريكي منذ سنة 1949.

هناك عقيدتان، كانت لهما السيطرة على تفكيري، في حياتي الخاصة والعامة: أما إحداهما فقد تبدو للقارئ أمراً عادياً وهي أن الحياة لا تعطينا إلا بقدر ما نقدم من خدمات. وأما الأخرى فهي أن من الضروري أن نحترم آراء غيرنا وأن اختلفت عن آرائنا كل الاختلاف.

وعلى هذا، عشت في كل أطوار حياتي مؤمناً كل الإيمان بأني مدين للحياة بقدر ما هي مدينة لي، وكنت لذلك حريصاً على الأخذ بهذه الفلسفة التي أعتقد صدقها في كل عمل أقوم به، وفي كل علاقاتي بالآخرين، سواء في ذلك أهلي أو من أعمل معهم!

ولقد دلتني التجارب العديدة على أن كل أمر أفعله، أو أقوله، أو أفكر فيه.. لا بد أن يكون له أثر مباشر في علاقتي بمن يعنيهم هذا الأمر، ولا بد أن يكون هذا الأثر متفقاً مع العدل والجزاء الحق. ذلك لأن معاملتي لغيري هي في الواقع تمهيد للطريق الذي ينبغي لهم أن يسلكوه في معاملتهم إياي، فالاحترام يبعث على الاحترام، والبغضاء تورث البغضاء، والارتياب يحمل على الارتياب. ومن هنا قيل بحق: "إذا شئت أن تحصل على صديق مخلص أمين فالطريق إلى ذلك أن تكون صديقاً مخلصاً أميناً".

إن الإخاء والتعاطف والشفقة والآداب الإنسانية وتكافؤ الفرص وقيمة الحياة، وما إلى هذه كلها من الفضائل والحريات المدنية التي نعتز بها، لا يمكن أن تكون حقائق واقعة نمارسها في حياتنا، إلا إذا حرصنا دائماً على احترامها وتطبيقها.

ولا شك في أن احترامي حرية الرأي، وحسن استماعي لآراء غيري وإن خالفت رأيي الخاص، ما أكسبني كثيراً من الدروس النافعة. وإذا كان تاريخ الأمم قد دلنا على أنه ما من أمة استطاعت أن تحتكر لنفسها الحكمة أو العلم أو غيرهما من المواهب، فليس من العقل إذن أن يظن أحد أن فرداً من الأفراد ـ مهما يبلغ من الحكمة والعلم ـ يمكن أن يكون في ذلك أوفر حظاً وأكبر نصيباً من أمة قوية كاملة، فلا يكون الرأي إلا ما يراه هو وحده لا سواه!

وفي يقيني، إن مثل ذلك الاستبداد بالرأي، والاستهانة بآراء الآخرين، إنما يرجعان إلى ضعف ثقة صاحبهما برأيه، وإلى شك في قدرة هذا الرأي على الصمود للمناقشة والموازنة بينه وبين غيره من الآراء.

وإنه لمن التجني على المبادئ الديمقراطية الجوهرية، أن يحاول أحد منا أن يفرض رأيه فرضاً على مواطن آخر، أو أن يمنع هذا المواطن من إبداء رأيه في أي موضوع.

ولنا جميعاً أن نتفاءل خيراً، وأن نطمح إلى مثل أعلى لمستقبل بلادنا ولأولادنا وأحفادنا من بعدنا، ما بقيت حرية الرأي مكفولة لجميع المواطنين.

المحتوى

تقديم: فلك حصرية 5
مقدّمة 13
تصدير: د. أحمد أمين 17

الجزء الأول: أقلام من الشرق 23
إرادة الشعوب لن تقهر/ الواء أركان حرب محمد نجيب 25
الحياة تافهة إذا خلت من مثل أعلى/ د. عبد الرزاق أحمد السنهوري 29
القوة بالعلم لا بالسيف والمال!/ د. شارل مالك 35
رضى الضمير مفتاح السعادة/ د. محمد حسين هيكل 40
موقفي من الناس!/ عباس محمود العقاد 45
الحياة هدف وإرادة/ توفيق الحكيم 50
الرجل الحق يغم نفسه ولا يغم عياله!/ شفيق جبري 55
لتكن آراؤك من وحي ضميرك!/ د. فيليب حتى 60
استقرار المرأة في البيت يربو على آلاف الحقوق السياسية/ أمينة السعيد 64
الرحمة تسع المحسن والمسيء!/ د. أحمد زكي 72
إذا سرت وصلت/ حافظ وهبة 76
الحياة جديرة بأن نحياها!/ محمد شفيق غربال 83
حدد أهدافك/ أميل زيدان 88
حقائق وأوهام/ محمد رضا الشبيبي 94

الولد سر أبيه/ د.إبراهيم مدكور 99
لا يأس مع الحياة!/ د. درية شفيق 103
الحرية وهبت لي السعادة/ محمد فريد أبو حديد 108
الإرادة تحقق المستحيل/ طاهر الطناحي 114
لماذا لم أصفق؟/ د.زكي نجيب محمود 127
أنا شاب في السادسة والستين/ سلامة موسى 131
الأنانية والذل توءمان!/ د. أحمد زكي أبو شادي 135
محاكاة المنبه!/ د. محمد غلاب 139
كلنا نكافح!/ فؤاد إسكندر 143
لابد من توفير حياة اجتماعية سليمة!/ د.محمد كامل عياد 148
درهم حكمة خير من قنطار علم/ د. أحمد أمين 152

الجزء الثاني: أقلام من الغرب 157
هاك كرة لتدحرجها/ روبرت ج. أولمان 159
درس تعلمته في منتصف الليل/ جيمس كي دي بونت 163
لست ألعب للنظارة/ روبرت دوير 167
إني سعيد بوقتي/ بات فرانك 171
النصر للإيمان/ هربرت هوفر 175
العاطفة الإنسانية تربط بين البشر/ لويس هوسكينز 178
الأمانة أساس النجاح/ جون هيوز 182
الإيمان خير زاد/ جيريد انجرسول 186
البشرية لم تزل في المهد/ لويد جوردان 190

كل يوم.. وحي جديد/ أندريه كوستلانيتز 195
احترام كرامة الفرد/ جون لي 199
إني أؤمن بالناس/ دايفيد لوث 203
الإيمان بالعمل يحقق السعادة/ جو ميكل 207
الإنسان لا يمكن تحطيمه!/ ويليام ل.شيرر 212
لم أكف عن الإيمان/ إيفا د.ساكل 217
آلام الحياة من صنع الإنسان!/ د. ليون.ج.سول 221
عشت أربع مرات/ أليس طومسون 226
كلنا نحمل الآلام/ مارتي مان 231
طف حول التل في هوادة/ داريل ف.زانوك 236
فضائل الحياة/ هاري ج.بليك 240
الحرية والعدالة حق للجميع/ يلاند ستو 244
فلنضحك ولنتسامح!/ أليزابيت كوكر 248
حاجتنا إلى الأمناء/ كلود. م. فيوس 252
أؤمن بالإنسانية/ د. هارولد تيلور 257
لنكن جديرين بالحياة/ وليام ف.جيمس 261
دنيا واحدة.. في وقت واحد/ روبرت هيلر 265
أؤمن بخلود الروح/ د. أدموند .أ. براسيت 269
قانون القلب/ جورج فردريك 273
الحرب وسيلة الجبناء/ لي بريستول 277
للحياة قيمة سحرية كبرى/ توماس مان 281
هذا طريقي للنجاح/ هربرت. هـ. لهمان 285

إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القصيرة في سورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة -فؤاد الشايب -د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظاهرة (الأدب الصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النشأة الموضوعات)	محمد توفيق الصواف	محمد توفيق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائد المسرح العربي	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
13	عبد الله عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	ياليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
28	مقهى الباشورة -خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
29	جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
30	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عذبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان في القصة السورية (حضور المكان)-علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمالي ــ مختارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبير سلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
43	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
44	انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	د. ابراهيم الجرادي -عبد العزيز المقالح	2010
45	عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابراهيم الجرادي	2011
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة)	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثائرزين الدين	2011
49	مایاكوفسكي غيمة في سروال	مالك صقور	د. ابراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صقور	مالك صقور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صقور	مالك صقور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صقور	مالك صقور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صقور	2012
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صقور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
61	كان ما كان - ميخائيل نعيمة	مالك صقور	مالك صقور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صقور	مالك صقور	2012
64	الأعاصير - الشاعر القروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائرزين الدين	2012
65	عبد اللطيف عقل دراسات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صقور	مالك صقور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
71	طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صقور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقه والتصوف والمسائل الشرعية في الخلافة	أ. محمد راتب الحلاق	مالك صقور	2013

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
76	صالح العلي ثائراً وشاعراً	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
77	أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
78	أنا من سلالة الصخور	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
79	الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي	د. نزار بني المرجة	مالك صقور	2013
80	الأدب للشعب	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
81	مديح الظل العالي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
82	معارك فكرية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
83	واقعية بلا ضفاف	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
84	كيف تعلمت الكتابة	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
85	السيف والترس	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
86	بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
87	الغربال	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
88	الله	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
89	عصا الحكيم	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2014
90	الفارابي	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
91	الأدب الثوري عبر التاريخ	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2014
92	المسألة اليهودية	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2015
93	مذكرات مستر همفر	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	2015

سنة الكتاب	اختيار الكتاب	تقديم الكتاب	عنوان الكتاب	م
2015	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	صوت أبي العلاء	94
2015	رضوان قضماني	مالك صقور	فن الأدب (جزء 1)	95
2015	رضوان قضماني	مالك صقور	فن الأدب (جزء 2)	96
2015	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	الإسلام بين العلم والمدنية	97
2015	مالك صقور	مالك صقور	حكيم الدهر أبي العلاء المعري	98
2015	مالك صقور	شاهر أحمد ناصر	شظايا من عمري	99
2015	مالك صقور	أ.د. حسين جمعة	لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم	100
2015	مالك صقور		الدين والعلم والمال	101
2015	د. نضال الصالح	نذير جعفر	غابة الحق (أفق التنوير وجماليات السرد)	102
2015	د. نضال الصالح	نذير جعفر	في الحياة والأدب	103
2016	د. نضال الصالح	مالك صقور	إن الأدب كان مسؤولاً	104
2016	عيسى فتوح	د. نضال الصالح	أسرة المرّاش الأدبية في حلب	105
2016	مالك صقور	مالك صقور	الجوهر الرجعي للصهيونية	106
2016	د. نضال الصالح	د. نزار بريك هنيدي	سريال وقصائد أخرى	107
2016	مالك صقور	إسماعيل الملحم	حضارة الطين	108
2016	مالك صقور	نذير جعفر	ضرورة الفن الجزء الأول	109
2016	مالك صقور	نذير جعفر	ضرورة الفن الجزء الثاني	110
2016	مالك صقور	فلك حصرية	قادة الفكر	111

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
112	جرائم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان	حكمت إبراهيم هلال	مالك صقور	2016
113	خارج الحريم	إسماعيل الملحم	مالك صقور	2016
114	عيسى عصفور (بلاغة البازلت)	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2016
115	رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني	د. نزار بني المرجة	د. نضال الصالح	2017
116	(عملاء النفوذ) وتفكيك الاتحاد السوفييتي	د. ناديا خوست	مالك صقور	2017
117	المذابح في أرمينيا	حكمت براهيم هلال	مالك صقور	2017
118	نزاريَّات...أيقونة الحب... والوطن	فلك حصرية	فلك حصرية	2017
119	من ديوان الجرح السوري	ثائر زين الدين	ثائر زين الدين	2017
120	الله والفقر	مالك صقور	مالك صقور	2017
121	قسطنطين زريق مفكراً ومؤرخاً	عيسى فتوح	عيسى فتوح	2017
122	جرح الوطن	محمد حديفي	محمد حديفي	2017
123	فن القصة والمقامة	نذير جعفر	مالك صقور	2017
124	فلاسفة الحكم في العصر الحديث	فلك حصرية	مالك صقور	2017
125	أشعب ملك الطفيليين	فلك حصرية	مالك صقور	2017
126	فيلسوف الفريكة	د. خلف الجراد	مالك صقور	2017
127	الخيال الشعري عند العرب	فلك حصرية	مالك صقور	2018
128	قميص الصوف وقصص أخرى	مالك صقور	فلك حصرية	2018
129	أيقونات	فلك حصرية	فلك حصرية	2018

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
130	الحياة في الظل	صالح سميا	صالح سميا	2018
131	سيد هارتا	فلك حصرية	مالك صقور	2018
132	وجوه الراحلين	د. بديع السيد اللحام	مالك صقور	2018
133	خصام ونقد	مالك صقور	صبحي سعيد	2018
134	أصوات شعرية من الجزيرة السورية	د. نضال الصالح	علي جمعة الكعود	2018
135	أفاعي الفردوس	حكمت إبراهيم هلال	مالك صقور	2018
136	اعترافات شبابي	فلك حصرية	مالك صقور	2018
137	فن القصة لقصيرة	فلك حصرية	مالك صقور	2018
138	شواعر العرب وعظمة الشاعرية	فلك حصرية	مالك صقور	2018
139	عبقرية العرب في العلم والفلسفة	بديع السيد اللحام	مالك صقور	2019